المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة و أصول الدين

قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية

شعبة الدعوة الإسلامية

المنهج الدعوي

في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة الإسلامية

إعداد : هيلة بنت عبيد عبد الله الجدعاني

الرقم الجامعي ٤٢٨٨٠٠٠٤

إشراف: أ.د . عبد الرحمن بن جميل قصاص

١٤٣٢-١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ سورة الأحزاب

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

فهذا ملخص لما احتوت عليه هذه الرسالة وهي بعنوان (المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين) ، وفكرة الرسالة هي توضيح الكيفية التي استخدمها النبي ﷺ في دعوة المنافقين والتعامل معهم وبيان المنهجية الدعوية في ذلك وما يتبعها من أساليب ووسائل .

وقد اشتملت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وذلك كالتالي :

التمهيد : وفيه ذكر مراحل الدعوة النبوية في مكة المكرمة والمدينة المنورة والسمات التي تميزت بها كل مرحلة .

الفصل الأول : جذور النفاق ومخاطره ، وتحدثت فيه عن تعريف النفاق وأنواعه ، ونشأته ، وخطره على المجتمع المسلم وعلى الدعوة إلى الله .

أما الفصل الثاني فكان أساليب المنافقين ووسائلهم في الصد عن الدعوة إلى الله وذكر أساليبهم ووسائلهم القولية والعملية .

وكان الفصل الثالث في المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين واهتم ببيان المحاور التي ارتكز عليها هذا المنهج مع ذكر الأساليب والوسائل المُستخدمة فيه سواء كانت قولية أو عملية .

وتناول الفصل الرابع أثر المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين على المجتمع وعلى الدعوة إلى الله تعالى والدروس الاجتماعية والدعوية المستفادة من ذلك .

ثم ختمت الرسالة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها من هذه الدراسة ومنها :

ـ كانت دعوة النبي ﷺ للمنافقين وتعامله معهم وفق منهجية خاصة تتناسب مع أحوالهم وتظاهرهم بالإسلام .

ـ أن التصدي للمنافقين يكون بجهادهم جهادا باللسان أي بالقول والبيان دون القتال بالسيف .

ـ أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقف سدا منيعا في وجه المنافقين ومخططاتهم .

إلى غير ذلك مما ذكرته ، هذا وأسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اسم الباحثة : هيلة عبيد الجدعاني .

مرحلة الماجستير .

ABSTRACT

Praise be to Allah, peace and blessings be upon the Prophet, his family and companions.

This is summary of the content of this thesis (the Islamic call approach followed by the Prophet in dealing with the hypocrites) the idea of this study demonstrates how the prophet was calling the hypocrites to follow the straight path, His methodology, means, and approaches to fulfill this Noble task.

The study is contained an introduction, four chapters, and conclusion. The details are as follows:

The introduction: Discusses the phases of the Dawá (Islamic call) in Makkah, and Almadina, and the characteristics of each phase.

The first chapter: the origin, the roots, and the danger of hypocrisy, defines the hypocrisy, its types, and its danger on the Islamic society, and the Dawá (Islamic call).

The second chapter: focuses on the means and methods of the hypocrites to push back against the Dawá (Islamic call) to the true Religion, mentioning their theoretical and practical means.

The third chapter: the method of Dawá (Islamic call) used by the Prophet Peace and blessings be upon him in dealing with hypocrites. Paying special attention to the axes of such methodology mentioning its means, and approaches whether theoretical or practical ones.

The fourth chapter: demonstrates the impact of method of Dawá (Islamic call) used by the Prophet Peace and blessings be upon him in dealing with hypocrites, on the society, and Dawá (Islamic call), in addition to the social and *Dawi* learned lessons.

The study is concluded with a conclusion contained its important findings such as:

- Calling the hypocrites by the Prophet Peace and blessings be upon him was through special method that was suitable with their situations and their claims that they are Muslims.

- Fighting & struggling against the hypocrites can be achieved through dialogue and logic rather than fighting by sword.

- The Promotion of Virtue and Prevention of Vice represent strong and safe barrier against the hypocrites, and their evil plans.

- Finally, I Pray to Allah the Almighty to guide and help us, peace and blessings be upon the Prophet, his family and companions.

Researcher Name: Hailah Obaed Aljedaani

Master Degree

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3] .[4]

أما بعد ..

فالحمد لله الذي هدانا للإسلام خير الأديان وأكملها ، والحمد لله الذي جعلنا أتباع سيدنا محمد ﷺ خير الأنبياء وإمام المرسلين ، والحمد لله الذي أنزل علينا القرآن هدى ورحمة ، ودعا فيه لطلب العلم والبحث عن المعرفة ، ومن فضله سبحانه وتعالى أن يسر العلم لمن طلبه وسهل المعرفة لمن بحث عنها ، وقد ذكر سبحانه فضل أهل العلم على غيرهم قال تعالى﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[5] ، إن من أجلّ الأمور التي ينبغي للمسلم معرفتها والاهتمام بها ما يتصل بدينه وله تأثير في حياته ومنها موضوع النفاق ، وأهمية هذا الموضوع تأتي من صلته الوثيقة بالعقيدة الإسلامية وما يتصل بها من العبادات

---

١ ـ سورة آل عمران (١٠٢) .

٢ ـ سورة النساء (١) .

٣ ـ سورة الأحزاب (٧٠ ، ٧١) .

٤ ـ هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها لأصحابه ،وقد رواها النسائي ـ كتاب الجمعة ـ باب كيفية الخطبة ـ حديث رقم ١٤٠٥ ـ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ورواه أبو داود ـ كتاب النكاح ـ باب في خطبة النكاح ـ حديث رقم ٢١١٨ ـ ص ٣٠٦ ، وهذه الخطبة ليست خاصة بالنكاح بل يجوز أن تُفتتح بها الخطب كلها كما ذكر الشيخ محمد الألباني رحمه الله ، انظر كتاب خطبة الحاجة ـ محمد الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ ـ ص ٣٦ .

٥ ـ سورة الزمر جزء من الآية (٩) .

والأخلاق والسلوك وما يترتب عليه من قبول العمل أو عدم كمال أجره ، ولذلك لابد من أن يحرص المسلم على معرفة النفاق والجوانب المتعلقة به كمعنى النفاق وأنواعه وشعبه ودرجاته وصفات المنافقين وأعمالهم وأحوالهم ولا يُكتفى بالمعرفة وحسب بل لابد من فهم ذلك كله بالأدلة الشرعية الواردة فيه ، ويزيد من خطر النفاق أنه دقيق وخفي وقد يقع المسلم فيه ولا يتنبه لذلك ، أو قد يتهاون بصفة من صفات المنافقين ويرى أنها من النفاق الأصغر وهذا خطأ جسيم لأن النفاق الأصغر يعد وسيلة للنفاق الأكبر ، ومن أصر على خصال النفاق يُخشى عليه أن يُسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا[1] .

ومما ينبغي الإشارة إليه إلى أن اسم المنافق يأتي على كل من اتصف بصفة نفاق أو ظهرت عليه علامة من علامات النفاق أو أتى بعمل من أعمال المنافقين أو حال من أحوالهم حتى وإن تغيرت الأسماء وتعددت الألقاب ولذلك جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة في عمومها بعدم ذكر اسم منافق أو تحديد شخصه بل أتى الوصف الذي يدل عليهم ؛ لأن تحديد النفاق باسم أو شخص قد يوهم البعض أن النفاق خاص بمن ذكر فيه وأنه ينتهي بموت صاحبه ، ولكن عندما تذكر الصفات والأعمال فإنها ترسخ في الأذهان دون الارتباط بأشخاص معينين ، إضافة إلى أن هذه الصفات والأعمال متكررة الظهور في الناس ، والنفاق موجود في هذه الأمة إلى آخر الزمان وقيام الساعة وقد ذكر ﷺ أن المنافقين يتبعون المسيح الدجال عندما يخرج قال ﷺ (يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات[2] فيخرج إليه كل كافر ومنافق)[3] ، وفي رواية أخرى قال ﷺ (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة وليس نَقْب[4] من أنقابها إلا عليه الملائكة

---

١ ـ انظر جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي ـ دار الفكر ـ ط ١ ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ ـ ص ٤٤٢ .

٢ ـ رجفات : جمع رجفة والرجف هو الحركة والاضطراب ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ـ مجد الدين المبارك بن الأثير ـ تحقيق عبدالحميد هنداوي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ ـ ج ٢ ص ١٧٢ ، مادة رجف .

٣ ـ صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند) ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ مراجعة وفهرسة محمد القطب وآخرون ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٣٠ ، ٢٠٠٩ ـ كتاب الفتن ـ باب ذكر الدجال ـ حديث ٧١٢٤ ، ص ١٢٦٦ .

٤ ـ نَقْب : هو الطريق بين جبلين ، النهاية ٥ / ٨٥ ، مادة نقب .

صافين تحرسها فينزل بالسبخة[١] فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق)[٢] .

وقد اهتم القرآن الكريم بذكر النفاق والمنافقين ونزلت آيات عديدة في ذكر صفاتهم وأعمالهم وخبث نفوسهم وفساد حياتهم في الدنيا ومآلهم في الآخرة ، كما تحدثت آيات أخرى عن بعض أخبارهم وأعمالهم التي أخفوها عن الناس فأخبر الله تعالى عنها وكان ذلك من الإعجاز القرآني[٣] لأنه إخبار عن غيب الحاضر الذي جرى في عصر النبي ﷺ من حوادث لم يحضرها ﷺ ثم نزل القرآن متضمنا لها ومخبرا بحقيقتها [٤] ، وكذلك اهتمت السنة النبوية بموضوع النفاق في أحاديث النبي ﷺ وسيرته وذلك ببيان النفاق وذكر بعض صفات المنافقين وأعمالهم وتحذير المسلمين من الوقوع في ذلك ، واهتم السلف الصالح أيضا من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء المسلمين بتوضيح معنى النفاق والتحذير منه ببيان نوعيه والتفريق بينهما وقام بعضهم بجمع النصوص التي وردت فيه إما في مصنفات اختصت به أو بإفراد باب له في مصنفاتهم ، ولهذا رغبت في أن أحذو حذو سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام رحمهم الله تعالى في الاهتمام بهذا الموضوع وبذل الجهد فيه دراسة وبحثا في الجوانب المتعلقة بالدعوة إلى الله ؛ لأن هذا الموضوع قد تناولته كتابات عديدة ودراسات كثيرة ولكن لم أجد منها ما تطرق له من الناحية الدعوية من حيث المنهجية والأسلوب والوسيلة فأثار ذلك اهتمامي فكانت هذه الدراسة وهي (المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين) .

أسباب اختيار الموضوع :

---

١ ـ سبخة : هي الأرض التي تعلوها الملوحة ، ولا تكاد تنبت غلا بعض الشجر . انظر النهاية ٢ / ٢٨٠ ، مادة سبخ .

٢ ـ الجامع الصحيح ـ مسلم بن الحجاج القشيري ـ بمراجعة وعناية هيثم الطعيمي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٢٨، ٢٠٠٨ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة ، حديث ٧٣٩٠ ، ص ١١٠٣ .

٣ ـ انظر مباحث في إعجاز القرآن ـ مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط ٤ ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ ـ ص ٢٧٠ .

٤ ـ انظر المرجع السابق / ٢٦٧ .

١ ـ الامتثال لأمر الله تعالى في قوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] فالدعوة إلى الخير تقع على عاتق كل مسلم كل بحسب حاله وعلى قدر علمه ، ومن أهم أعمال الخير وأعظمها الاهتمام بموضوعات العقيدة وما يتعلق بها من أعمال القلب والجوارح .

٢ ـ ضرورة العناية بالسيرة النبوية واستيعاب ما حدث فيها من مواقف وأحداث جديرة بالتأمل والدراسة والبحث والاستفادة منها باستنباط الفوائد والدروس والعبر التي يحتاج إليها المسلم و يستفيد من معرفتها والعمل بها في حياته .

٣ ـ أهمية البحث في هذا الجانب لمعرفة المنهج الذي اتخذه النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين ومعرفة الجوانب المتعلقة بذلك والكيفيات التي تُستخدم في التعامل معهم وكل ذلك يعين الداعية إلى الله في دعوته ويفتح له بعون الله مجالات كثيرة للدعوة .

٤ ـ أننا في زمن تكاثرت فيه الدعوات وعلت الأصوات وبرز في الساحات من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، وغلب في الناس اهتمامهم بتحقيق المصالح الشخصية والمنافع الدنيوية على حساب دينهم ، كما ظهر من ينشر الهزيمة النفسية ويهز ثقة المسلمين بدينهم وعلمائهم وكل ذلك من عمل المنافقين الذين يسيرون على خطا أسلافهم ولذلك لابد من بيان ضررهم وخطرهم والعمل على مواجهتهم والتصدي لهم وقطع دابرهم ووأد شرهم امتثالا لأمر الله تعالى واقتداء بالحبيب المصطفى ﷺ .

أهداف الدراسة :

١ـ تهدف الدراسة إلى بيان المنهجية التي اتّبعها النبي ﷺ في دعوته للمنافقين والكيفية التي تناولها في التعامل معهم وما اتصل بذلك من الأساليب والوسائل

١ ـ سورة آل عمران جزء من الآية (١٠٤) .

القولية والعملية وذلك من خلال ما ورد في النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية العطرة .

٢ ـ تسعى الدراسة إلى بيان الأثر الكبير الذي نتج عن هذا المنهج النبوي في دعوة المنافقين والتعامل معهم وبيان التأثير الايجابي للأساليب والوسائل الدعوية التي اشتمل عليها هذا المنهج ، وأثره من الناحيتين الاجتماعية والدعوية وانعكاس ذلك على الفرد والمجتمع .

٣ ـ تهتم الدراسة بإلقاء الضوء على أهداف المنافقين وجوانب من خطرهم وذكر بعض الأساليب التي يتبعونها في الوصول إلى أهدافهم والوسائل التي تمكّنهم من ذلك مع التذكير بأنهم يغيرون من أساليبهم ووسائلهم تبعا للظروف المحيطة بهم .

٤ ـ تهدف الدراسة في مضمونها إلى خدمة الساحة الدعوية وإثرائها والعناية بجانب مهم فيها لأننا نتعايش معه ونخالطه في حياتنا ألا وهو دعوة المنافق والكيفية المناسبة في التعامل معه من خلال النصوص الواردة في ذلك .

وقد كان رجوعي في هذه الدراسة إلى الآيات القرآنية التي ذكرت النفاق والمنافقين والأحاديث النبوية الصحيحة التي تحدثت عنهم وما ذكرته السيرة النبوية العطرة من أخبارهم ، وكذلك رجعت إلى ما دونته كتب التراث الإسلامي في هذا الموضوع من كتب التفسير المتنوعة وكتب العقيدة والحديث وشروحهما ، كما اعتنيت بالرجوع إلى المؤلفات التي اهتمت بموضوع الدعوة إلى الله وما يتعلق به من المناهج الدعوية وأساليبها ووسائلها ، كذلك رجعت إلى عدة كتب ورسائل علمية للبحث فيها عن كل ما قد يخدم هذا الموضوع ويثري هذه الدراسة .

أما منهج البحث الذي اتبعته في هذه الدراسة فهو الطريقة العلمية التي تجمع بين الطريقتين الاستقرائية والاستنتاجية ، فالطريقة الأولى تتطلب حصر كافة المعلومات والوقائع وفحصها ودراسة ظواهرها ثم إعطاء حكم عام بصددها ، أما الطريقة الاستنتاجية فهي عبارة عن تنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين

ليستنبط منها الباحث نتائج صحيحة تزوده بالمقترحات والحلول[1] ، وقد اعتمدت هذه الطريقة وذلك بجمع النصوص الواردة في هذا الموضوع ثم دراستها دراسة عميقة ومتأنية ثم تصنيفها وتبويبها والخروج منها بالمنهجية النبوية التي اختصت بالتعامل مع المنافقين .

كما اعتنيت بتوثيق المعلومات فكان منهجي في ذلك كالتالي :

أ ـ العناية بتخريج الآيات القرآنية كما هي برسم المصحف مع ذكر رقم الآية واسم السورة ، والرجوع لكتب التفاسير لبيان المعنى وشرح المفردات عند الحاجة لذلك .

ب ـ العناية بتخريج الأحاديث الشريفة وكان ذلك بأحد الأمور التالية :

١ ـ إذا كان الحديث الشريف مما اتفق عليه الإمام البخاري والإمام مسلم أو رواه أحدهما فإني أذكر الحديث من الصحيحين دون غيرهما ، وأوثق ذلك بتخريجه مع ذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث ورقم الصفحة .

٢ ـ الأحاديث الواردة عند أصحاب السنن فقد عزوتها لمصدرها مع ذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث ورقم الصفحة ، أما الأحاديث التي من مسند الإمام أحمد فقد أخرجت الأحاديث مع ذكر رقم الحديث ، ثم بحثت في تخريج كل هذه الأحاديث في الكتب المصنفة لذلك مثل سلسلة الأحاديث الصحيحة وصحاح السنن وذكرت حكم الحديث الوارد فيها .

٣ ـ الأحاديث التي لم أجد له تخريجا عند المحدثين وهو حديث واحد[2] وورد في ذكر أنواع القلوب وهو قوله ﷺ (القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر ....) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ولم أجد له تخريجا في سلسلة الأحاديث الصحيحة فقمت بتخريجه وذلك بتتبع رواته في كتب الجرح والتعديل ووجدتهم جميعهم ثقات فذكرت ذلك في تخريج الحديث .

---

١ ـ انظر كتابة البحث العلمي ـ عبد الوهاب أبو سليمان ـ دار الشروق ـ جدة ـ ط ٣ ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٦ ـ ص ٦٤ .

٢ ـ انظر ص ٦١ .

ج ـ الأعلام[1] الذين وردت أسماؤهم في متن البحث قمت بالترجمة لهم في الحاشية بذكر اسم العلم وكنيته ونسبه ولقبه وتاريخ ولادته ووفاته إن وجدا ، وعرجت على ذكر بعض أخباره ومؤلفاته مع ذكر المرجع الذي وردت فيه الترجمة .

وتحتوي هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، وبيان ذلك كالتالي :

التمهيد : وكان عن مراحل دعوة النبي ﷺ في مكة المكرمة والمدينة المنورة وسمات كل مرحلة منها .

الفصل الأول : جذور النفاق ومخاطره : وفيه ثلاثة مباحث :

ـ المبحث الأول : تعريف النفاق وأنواعه ، وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول : تعريف النفاق لغة وشرعا .

ـ المطلب الثاني : أنواع النفاق .

ـ المبحث الثاني : نشأة النفاق و أهداف المنافقين : وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول نشأة النفاق

ـ المطلب الثاني : أهداف المنافقين .

ـ المبحث الثالث : خطر النفاق على المجتمع المسلم وعلى الدعوة إلى الله : وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول : خطر النفاق على المجتمع المسلم .

ـ المطلب الثاني : خطر النفاق على الدعوة إلى الله .

الفصل الثاني : أساليب المنافقين ووسائلهم في الصد عن الدعوة إلى الله تعالى وفيه مبحثان :

ـ المبحث الأول : أساليب المنافقين وفيه ثلاثة مطالب :

ـ المطلب الأول : معنى الأسلوب في اللغة والاصطلاح .

---

١ ـ استثنيت من ذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وكبار الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، ومشاهير الأئمة والعلماء .

ـ المطلب الثاني :أساليب المنافقين القولية .

ـ المطلب الثالث : أساليب المنافقين العملية .

ـ المبحث الثاني :وسائل المنافقين وفيه ثلاثة مطالب:

ـ المطلب الأول : معنى الوسيلة في اللغة والاصطلاح .

ـ المطلب الثاني : وسائل المنافقين القولية .

ـالمطلب الثالث : وسائل المنافقين العملية .

الفصل الثالث : المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول : تعريف المنهج الدعوي وأنواعه

ـ المطلب الثاني : منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

المبحث الثاني : الأساليب الدعوية التي استخدمها النبي ﷺ في التعامل معهم وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول : الأساليب القولية .

ـ المطلب الثاني : الأساليب العملية .

المبحث الثالث : الوسائل الدعوية التي استخدمها النبي ﷺ في التعامل معهم وفيه مطلبان :

ـ المطلب الأول : الوسائل القولية .

ـ المطلب الثاني : الوسائل العملية .

الفصل الرابع : أثر منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين على المجتمع وعلى الدعوة على الله تعالى وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين على المجتمع المسلم والدروس الاجتماعية المستفادة من ذلك وتحته مطلبان :

ـ المطلب الأول : أثر منهجه ﷺ في التعامل مع المنافقين على المجتمع .

ـ المطلب الثاني :الدروس الاجتماعية المستفادة من ذلك .

المبحث الثاني :أثر منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين على الدعوة إلى الله والدروس الدعوية المستفادة من ذلك وتحته مطلبان :

ـ المطلب الأول : أثر منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين على الدعوة إلى الله .

ـ المطلب الثاني : الدروس الدعوية المستفادة من ذلك .

ثم ختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها ما توصلت له الدراسة من نتائج وتوصيات .

لقد سبقت هذه الدراسة عدة مؤلفات وكتابات ودراسات العلمية تناولت موضوع النفاق من جوانب مختلفة وأقربها إلى موضوعنا دراستان هما :

الأولى ـ كتاب المنافقين في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز الحميدي واهتم بما ورد عن النفاق والمنافقين في القرآن الكريم وبيان حقيقة دورهم وأعمالهم ومواقفهم من خلال الآيات القرآنية التي تحدثت عنهم .

الثانية ـ رسالة علمية بعنوان النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة للأستاذ الدكتور عبد الرحمن قصاص وهي دراسة بحثت في هذا الموضوع من خلال الأحاديث النبوية الشريفة ، وتتفق هاتان الدراستان مع الدراسة المطروحة في أنها جميعا تتناول موضوع النفاق والمنافقين لذلك تتشابه في ما يتعلق بمقدمة الموضوع كتعريف النفاق ونشأته وأنواعه وما ورد عن المنافقين في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتختلف هذه الدراسة بأنها تهتم بالناحية الدعوية ، وتعتني ببيان المنهجية الدعوية في التعامل مع المنافقين كما تهتم بدراسة الأساليب والوسائل الدعوية التي استخدمها الرسول ﷺ في ذلك .

وختاما فإني أحمد الله تعالى على منه وكرمه أن يسر لي طلب العلم وفتح علي بما لم أكن أعلم ، وأحمده سبحانه أن أمدني بعونه وسخر لي من الأسباب ما أعانني في عملي فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

كما أشكر أسرتي الحبيبة التي وقفت معي وساندتني حتى يتسنى لي إكمال هذه المرحلة وإنجاز هذه الدراسة فجزاهم الله عني خيرا .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن قصاص المشرف على هذه الرسالة والذي كان معلما وموجها ، فبارك الله فيه وفي علمه وجزاه عني خير الجزاء ، كما أشكر سعادة الأساتذة في لجنة المناقشة والذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء الملاحظات عليها وتقويمها ، والشكر موصول إلى فضيلة المشائخ وسعادة الأساتذة أعضاء هيئة التدريس في قسم الدعوة

والثقافة الإسلامية الذين درست على يديهم وتعلمت منهم ، وإلى كل من أفادني وأعانني فلهم مني جزيل الشكر والتقدير .

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويتقبل منا إنه الهادي إلى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

إن من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لهم رسلا يدعون إليه ويهدون إلى دينه ، يرشدون إلى طريقه المستقيم ويسعون إلى خير البشرية قال تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [1] ودعوة النبي ﷺ والتي هي آخر الرسالات والخاتمة لما سبقها من دعوات الأنبياء عليهم السلام وهي كما وصفها ﷺ بقوله (مَثلي ومَثل الأنبياء كمَثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله ، فجعل الناس يُطِيفون به يقولون : ما رأينا بنيانا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة ، فكنت أنا تلك اللبنة)[2] .

وقد زخرت قصص الأنبياء عليهم السلام وسِيَر دعوتهم إلى الله تعالى بالكثير من المواقف التي تدعو إلى النظر والتأمل لأنها تتحدث عن أقوامٍ وصلت إليهم دعوة الله و ظهر فيهم اختلاف النفس البشرية في كيفية تعاطيها لما جاءت به الرسل وكيف كان تعامل أنبياء الله تعالى مع ذلك.

ودعوات الأنبياء عليهم السلام كانت تمر بمراحل وتنتقل في أطوار وذلك كله بوحي من الله سبحانه وتعالى وأمر منه ، فقد يأذن جل وعلا لرسله بالخروج بالدعوة من الأرض التي رُفضت فيها وتعرّض فيها المؤمنون للأذى وأن ينتقلوا إلى أرض جديدة تأخذ الدعوة فيها مسارًا جديدًا ببناء مجتمعٍ مؤمنٍ تقام فيه شعائر الله وتنفذ حدوده وأحكامه .

وقد أخبر الله تعالى عن بعض أنبيائه عليهم السلام في شأن خروجهم من ديارهم أو هجرتهم منها ، ومن ذلك ما أخبر به تعالى عن نوح عليه السلام عندما بنى السفينة بأمر الله قال تعالى ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [3]، ثم ركبها عليه السلام هو ومن كان معه من المؤمنين عندما ظهرت علامة الأمر بركوبها قال تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [4]، وإبراهيم عليه السلام بادر

---

١ ـ سورة النساء جزء من الآية (١٦٥) .

٢ ـ رواه مسلم كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته ، حديث ٥٩٥٩ ، ص ٨٧٥ .

٣ ـ سورة هود جزء من الآية (٣٧).

٤ ـ سورة هود الآية (٤٠).

باعتزال قومه وما كانوا عليه من الكفر قال تعالى ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي ﴾ [1] ثم هاجر من أرضهم وخرج مهاجرا بإيمانه ، قال تعالى ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [2] .

وكذلك كانت دعوة المصطفى ﷺ إذ أن لها مراتب وأدوار ومراحل[3] ؛ فتدرجت من مرتبةٍ إلى التي تليها وانتقلت من دورٍ إلى آخر[4] ثم من مرحلة إلى أخرى[5] وكل ذلك كان بوحي من الله تعالى بما يتناسب مع الوضع الذي تكون عليه الدعوة والأحوال التي تمر بها .

ومراتب الدعوة النبوية كما ذكرها الإمام ابن القيم خمسٌ هي :

المرتبة الأولى : النبوة .

المرتبة الثانية :إنذار عشيرته الأقربين .

المرتبة الثالثة : إنذار قومه .

المرتبة الرابعة :إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة .

المرتبة الخامسة : إنذار جميع من بلغته الدعوة من الجن والإنس إلى آخر الدهر [6] .
. وهذه المراتب تحققت منذ بدء مبعثه ﷺ إلى أن توفاه المولى عز وجل وكان ذلك في ثلاث وعشرين سنة هي مدة دعوة الرسول ﷺ والتي كانت على مرحلتين تفصل بينهما الهجرة النبوية .

---

١ ـ سورة مريم جزء من الآية (٤٨).

٢ ـ سورة العنكبوت جزء من الآية (٢٦).

٣ ـ انظر الرحيق المختوم / ٥٤ .

٤ ـ اقصد بذلك دور الدعوة السرية ثم دور الدعوة الجهرية ، كما سيأتي .

٥ ـ أعني بها المرحلة المكية والمرحلة المدنية ، وستأتي .

٦ ـ انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ـ ابن قيم الجوزية تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ٢٣ ـ١٤٠٩ـ ١٩٨٩ـ ج ١ ص ٨٦.

فالمرحلة الأولى هي التي بدأت بمبعثه ﷺ ونزول الوحي عليه في مكة إلى أن هاجر ﷺ وتسمى المرحلة المكيّة ومدتها ثلاث عشرة سنة ، وكانت هذه المرحلة على دورين .

والمرحلة الثانية بدأت من وصوله ﷺ إلى المدينة (يثرب) حتى وفاته ﷺ ومدتها عشر سنوات وتسمى المرحلة المدنيّة .

ولكل من المرحلتين سمات تميّزها وأحداث وقعت فيها وأوضاع مرت بها وبيانها كالتالي :

المرحلة الأولى : المرحلة المكيّة :

لم تنطلق النّبوة والرّسالة في وقت واحد إذ كانت النّبوة أولا ثم كانت الرّسالة والأمر بالتبليغ [1] ، وقد بدأت نبوة النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي جبريل عليه السلام في غار حراء عندما كان يتعبد فيه ، وذلك فيما روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث[2] فيه ـ وهو التعبّد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه المَلك فقال : اقرأ ، قال ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجَهد ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١

١ ـ انظر تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير الدمشقي ـ تحقيق حسين زهران ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٤٠٨ ـ١٩٨٨ـ ٦٩٠/٤.

٢ ـ فيتحنث : أي يتعبد ، النهاية ١ / ٤٠٦ ، مادة حنث .

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [١] ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال :(زمّلوني[٢] زمّلوني) ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : (لقد خشيت على نفسي) . فقالت السيدة خديجة رضي الله عنها : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ[٣] وتَكسِب المعدوم[٤] وتَقري الضّيف وتُعين على نوائب[٥] الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءا تنصر[٦] في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عَميَ فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ (أو مُخرجي هم). قال: نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يَنشَب ورقة أن تُوفي ، وفتر الوحي[٧])[٨].

الوحي[٧])[٨].

فهذا الحديث يروي كيف كانت بداية نزول الوحي على رسولنا الكريم ﷺ في غار حراء كما نجد ذكر أول من آمن بنبوّة الرسول ﷺ وهما خديجة رضي الله عنها وابن عمها ورقة بن نوفل .

---

١ ـ سورة العلق (١ ـ ٣).

٢ ـ زملوني : يقال تزمل بثوبه إذا التف فيه . النهاية ٢ /٢٦٤ ، مادة زمل .

٣ ـ الكلّ : بالفتح هو الثقل من كل ما يُتكلف ، النهاية ٤ /. ١٦٧ مادة كلل .

٤ ـ تكسب المعدوم : أي تكسب الناس الشيء المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون إليه ، وقيل أرادت بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه . النهاية ٣ / ١٥٩ ، مادة عدم .

٥ ـ النوائب : جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان أي ما ينزل عليه من المهمات والحوادث . النهاية ٥ / ١٠٣ ، مادة نوب .

٦ ـ وردت روايات عديدة في أن ورقة بن نوفل كان على النصرانية ، وهذه الروايات ردها ودفعها الشيخ عويد المطرفي وأكّد أن ورقة بن نوفل كان عنده علم بكتب النصارى وأحسن الإطلاع عليها ، ولكنه لم يدن بدينهم أو يدعوإليه بل كان على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، انظر كتاب ورقة بن نوفل في بطنان الجنة ـ للشيخ عويد عياد المطرفي ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة .

٧ ـ الفترة : هي حال السكون ، انظر النهاية ٣ / ٣٣٧ مادة فتر ، وقوله " فتر الوحي" : أي تأخر مدة من الزمان ، انظر فتح الباري ١ / ٣٦ .

٨ ـ رواه البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي ـ حديث رقم ٣ ص ١٥ .

وبعد نزول الوحي بنبوته ﷺ فتر الوحي كما في حديث عائشة رضي الله عنها وقد روى جابر بن عبد الله[1] رضي الله عنهما وهو يحدّث عن فترة الوحي فقال في ما رواه عن النبي ﷺ قوله (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا المَلك الذي جاءني بحراء جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض فرُعبت منه فرجعت فقلت : زملوني زملوني . فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [2] فحمي الوحي[3] وتتابع)[4] وبدأت هذه هذه المرحلة وباشر النبي ﷺ الدعوة و الأمر بالنذارة وكان ذلك على دورين هما :

الدور الأول : الدعوة إلى الله سرًا:

لم يعلن الرسولﷺ دعوته للملأ في مكة واختار أن يبدأها سرًا ، وبدء ﷺ بعرض دعوته على من يرى فيه الاستعداد لقبولها [5] ، فكان أول من أسلم هم أهل بيته ونفر من أصحابه ﷺ [6] .

وتميز هذا الدور بعدة أمور منها:

١ـ لم تنطلق النّبوة والرّسالة في وقت واحد إذ كانت النّبوة أولا ثم كانت الرّسالة والأمر بالتبليغ ، يقول الإمام ابن كثير[7] في تفسيره لقوله تعالى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ " أي

---

١ ـ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه شهد بيعة العقبة الثانية مع والده رضي الله عنه وكان أصغرهم سنا ، واختلف في شهوده بدرا وأحدا لكنه شهد ما بعدهما ، كان من المكثرين الحفاظ للسنن ، كُف بصره في آخر عمره وتوفي سنة ٧٨ هـ وقيل غير ذلك ، وكانت وفاته في المدينة . الاستيعاب ٢٩٢/١ .

٢ ـ سورة المدثر (١ـ٥).

٣ ـ حمي الوحي : أي جاء كثيرا ، فتح الباري ١ / ٣٨ .

٤ ـ رواه البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي ـ حديث رقم ٤ ص ١٦ .

٥ ـ انظر هذا الحبيب يا محب ـ أبو بكر الجزائري ـ طبعة مؤسسة راسم ط ٥ ـ١٤١٢ـ ١٩٩٢ص ٩١.

٦ ـ مثل علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبي بكر بن أبي قُحافة " الصديق " ، وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيالله رضي الله عنهم ، انظر السيرة النبوية ـ عبد الملك بن هشام ـ تحقيق محمد القطب ومحمد بلطه ـ المكتبة العصرية ١٤٢٩ـ ٢٠٠٨ ـ ج ١ / ١٣٠ .

٧ ـ ابن كثير (٧٠٠ـ ٧٧٤ هـ) :هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصروي ، نشأ في دمشق وسمع من علمائها ، اشتغل الحديث مطالعة في متونه ورجاله ، جمع التفسير والتاريخ وشرع في كتاب للأحكام ولم يكمله ، كان إماما في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ ، وله تصانيف كثيرة سارت في البلاد وانتفع بها الناس ، مثل تفسير القرآن والبداية والنهاية ، انظر الدرر الكامنة ١ / ٢١٨ .

شمّر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة "[1]
فنبأه ﷺ بقوله سبحانه وتعالى ﴿اقْرَأْ﴾ وأرسله بقوله[2] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ .

٢- التخفي بالدعوة وعدم إعلانها حتى يأذن الله تعالى بذلك فالأوضاع في مكة لم تكن مناسبةً لإعلان دعوة التوحيد والجهر بالعقيدة الصافية الخالصة من شوائب الشرك ومواجهة الكفار بها .

٣- أهمية دور الزوجة المؤمنة الواعية التي تعين زوجها على مرضاة الله تعالى كما في موقف السيدة خديجة رضي الله عنها التي كانت خير عونٍ للنبي ﷺ فقد ورد في سيرته ﷺ " أنها آمنت به وصدّقت بما جاءه من الله وآزرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدّق بما جاء منه فخفف الله عن نبيه ﷺ لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه و تصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى "[3] . ونجد في في هذا الموقف منها رضي الله عنها درس كبير للنساء عامة ولزوجات الدعاة والعلماء خاصة في مؤازرة الزوج والوقوف معه في طريق الدعوة والعمل معه على تبليغها ونصرتها والصبر في ذلك .

٤- كان المسلمون يخرجون خارج مكة للتعبد بعيدًا عن أعين الناس فقد ورد أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشّعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم [4] ، وهذا حرص من الصحابة ﷺ في كتمان أمرهم ، إذ تحملوا مشقة الخروج لأداء عبادتهم .

٥- لم تحدث مواجهة مع المشركين إلا ما ذكر من أن سعد بن أبي وقاص ﷺ كان في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في شعبٍ من شعاب مكة [5] " إذ ظهر عليهم نفرٌ

---

١ - تفسير ابن كثير ٦٩٠/٤.
٢ - انظر زاد المعاد ١٥٨/٣.
٣ - السيرة النبوية ١ / ١٢٨.
٤ - انظر السيرة النبوية ١٣٠/١.
٥ - انظر فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان - جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة - ط ٤ - ١٤١٥ - ١٩٩٥- ص ١٤٤-١٤٥ .

من المشركين وهم يصلّون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلاً من المشركين فشجّه[1] فكان أول دم هُريق[2] في الإسلام " [3]. وهذه الحادثة هي المواجهة الوحيدة مع المشركين في هذا الدور ولا نجد في السيرة خبر عن موقف المشركين منها إن كانوا قد علموا بها أو وصلت إلى مسامعهم .

٦ـ كانت الدعوة في هذا الدور تتم عن طريق الاصطفاء والتخيّر وبذلك تكوّنت القاعدة الأساسية للدعوة وتم إعدادها في دار الأرقم وفي شعاب مكة حيث يخرجون للصلاة [4]. إن أولئك السابقين رضي الله عنهم دخلوا في دين الله طوعًا واختيارًا فآمنت قلوبهم واستقر بها اليقين وكان هذا الدور بمثابة الاستعداد والتهيؤ للدور الذي يليه .

ولابد من التنويه إلى بعض ما ذكره علماء معاصرون في مؤلفاتهم عن السيرة النبوية ومن ذلك رأي بعضهم أن أهل مكة لم يكترثوا أو يهتموا لأمر دعوة النبي ﷺ بقوله "أن قريشًا حسبت النبي ﷺ أحد أولئك الديّانين الذين يتكلمون في الإلوهية وحقوقها[5]" وهذا يوحي بأنهم قد بلغهم أمر الدعوة ، والصحيح أنهم لم يعلموا يعلموا بها إلا عندما أمر الله رسوله ﷺ بذلك ، وقال آخر "وخلاصة القول أن الدعوة في هذه المرحلة وإن كانت سرية وفردية لكن بلغت أنباءها إلى قريش بيد أنها لم تكترث بها"[6] ، فقوله بلغت أنباءها إلى قريش ولم تكترث بها هذا أمر مستبعد لأنه لم يرد نص أو خبر يؤيده ، بل على العكس ورد ما يثبت حرص الصحابة على التخفي والكتمان ، كما أن أهل مكة لو علموا بأمر الدعوة أو تناهى إلى أسماعهم خبر عنها لبادروا بحربها ومواجهتها . أما خروج المسلمين إلى الشعاب وتعبدهم فيها فهذا ربما علم به أهل مكة وسمعوا به لكنهم لم يعلموا بأمر الدعوة وحقيقتها لذلك لم يبالوا ولم

---

١ ـ شجّه : الشجّ في الرأس هو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه ، ثم استعمل في غير الرأس من الأعضاء ، النهاية ٢ / ٣٧٨ ، مادة شجج .

٢ ـ هُريق : أي أُريق ، فالهاء بدل من الهمزة ، النهاية ٥ / ١٣٩ ، مادة هرق .

٣ ـ السيرة النبوية/ ابن هشام ١ /١٣٦ .

٤ ـ انظر فقه السيرة النبوية ـ منير محمد غضبان / ١٤٤ .

٥ ـ فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ دار الريان ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ـ ١٩٨٧ـ ص ١٠٣.

٦ ـ الرحيق المختوم ـ صفي الرحمن المباركفوري ـ مكتبة الباز ـ مكة المكرمة ص ٥٦.

يروا بأسا في التغاضي عن أشخاص قلة تجمّعوا في الشعاب . فقد حفظ الله تعالى أمر الدعوة فلم يعلم بها إلا من اختصه النبي ﷺ بذلك .

الدور الثاني : الجهر بالدعوة :

كان الانتقال إلى هذا الدور بعد أن أصبحت القاعدة الصلبة مستعصية على الإبادة ، ولها من القوة والصلابة والجذور في الأعماق ما يجعلها أقوى من الإفناء [١] ، إذ تعمق الإيمان في القلوب ، واستقر بها ، وكان الجهر بالدعوة إلى دين الله بنزول قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [٢] " فأمر سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به " [٣] وذلك يكون بالجهر بدعوة لا إله إلا الله محمد رسول الله وما أمر ﷺ ببيانه والدعوة إليه من التوحيد والتنفير من الشرك [٤] .

كما نزل قول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [٥] ولما أنزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ قريشًا فقال : (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسكِ من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبُلُّها ببِلالها[٦])[٧] .

---

١ ـ فقه السيرة النبوية ـ الغضبان/١٤٦.

٢ ـ سورة الحجر (٩٤).

٣ ـ تفسير ابن كثير ٨٦٦/٢.

٤ ـ انظر أيسر التفاسير لكلام العلي القدير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير ـ أبو بكر الجزائري ـ مؤسسة راسم ط ٣ ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ـ ج ٣ ص ٩٦.

٥ ـ سورة الشعراء (٢١٤) .

٦ ـ سأبلها ببلالها : أي أصلكم في الدنيا ، والبِلال جمع بَلل وهو كل ما بلّ الحلق ، والمراد ببلها أي تنديتها بالصلة . انظر النهاية ١ / ١٤٧ مادة بلل .

٧ ـ رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة الشعراء ـ حديث رقم ٤٧٧١ ، ص ٨٥٩ . ورواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ـ حديث رقم ٥٠١ ،ص ٩٩ . واللفظ لمسلم .

وفي رواية لعبدالله بن عباس[1] ﷺ قال لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾

صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي (يا بني فهر يا بني عدّي) لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهبٍ وقريش فقالﷺ (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدّقيّ) قالوا : نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا ، قال ﷺ (فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد) فقال أبو لهب" تبًا[2] لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا" ، فنزلت[3] ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ

أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ [4] .

وفي هذه المرحلة واجه الرسول ﷺ الأذى والبلاء وكان ﷺ صابرًا محتسبًا وكانت للمشركين محاولات لإيقاف الدعوة والصد عن دين الله ولكن جهودهم تلك لم تفلح لأن الإسلام كان يدخل إلى القلوب قبل البيوت ويستقر في الأفئدة ولا يبارحها فصبر المسلمون على الأذى والبلاء وكان الضعفاء من المسلمين هم أكثر من يتعرض إلى التعذيب والاضطهاد فأذن الرسول ﷺ لمن أراد الفرار بدينه بالهجرة إلى الحبشة .

وفي المواسم كان الرسول يعرض الدعوة على قبائل العرب التي تَقدُم إلى مكة فسمع منه بعض أهل يثرب وعرفوا أنه النبي الذي كان يخبرهم عنه اليهود [5] فقبلوا منه ودعوا قومهم فلقي الرسول ﷺ بعضهم في العام الذي بعده وكانت بيعة العقبة الأولى وبدء الإسلام ينتشر في المدينة ، ثم كان العام الذي بعده وفيه بيعة

---

١ ـ ابن عباس: هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وكان عمره عند وفاة النبي ﷺ ثلاثة عشر عاما ، دعا له النبي ﷺ أن يؤتيه الله العلم والفقه والحكمة وينشر عنه ذلك ، ولعلمه الغزير لقب بالبحر والحبر وترجمان القرآن ، شهد مع علي ﷺ الجمل والنهروان وصفين وتوفي في الطائف ﷺ . انظر الاستيعاب ٣ / ٦٦ .

٢ ـ تبا : التبّ هو الهلاك ، النهاية ١ / ١٦٩ .

٣ ـرواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب في تفسير سورة الشعراء ـ حديث رقم ٤٧٧٠ ، ص ٨٥٩ ، ورواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ـ حديث رقم ٥٠٨ ص ١٠٠ . واللفظ للبخاري .

٤ ـ سورة المسد (١ ـ ٢).

٥ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٩/٢.

العقبة الثانية والتي تعهد فيها الأوس والخزرج بحماية الرسول ﷺ والقتال لنصرة دين الله ، ثم بدأت أفواج المهاجرين بدين الله تتجه نحو مدينة رسول الله ﷺ .

واتسم هذا الدور بعدة سمات منها :

١ـ لقد كانت مكة المكرمة تتميز بوضعها الخاص عن سائر المدن ، وكانت لها مكانتها العظيمة عند العرب[١] ؛ لأن فيها بيت الله وإليها يأتي الحجاج كل عام وتلتقي فيها قبائل العرب لذلك كانت هي المكان المناسب لظهور الدعوة بإعلان التوحيد ونبذ الشرك وطرح المعتقدات الوثنية التي كانت تحكم الناس ، فاختيار المكان له أهميته في الدعوة .

٢ـ إن إعلان الدعوة والجهر بها كان بعد أن اجتمع حول النبي ﷺعدد من المؤمنين الصادقين الذين ملأ الإيمان قلوبهم فكانوا عونا وسندًا لبعضهم البعض ، وفي هذا درس للدعاة إلى الله لأن الداعية يحتاج إلى الدعم والمساعدة ولا يتحقق ذلك إلا في جماعة يتفق أفرادها في العقيدة و يحملون نفس المبدأ .

٣ـ إن من الحكمة الإلهية أن شرع الله جل وعلا التدرج في الدعوة إليه بما يتناسب مع المجتمع الذي تكون فيه . و في هذا دلالة على تعدد طرائق الدعوة إلى الله وتنوع قنواتها .

٤ـ كان الخطاب الدعوي موجهًا إلى فئتين هما :

ـ المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ .

ـ المشركون في مكة وخارجها .

٥ ـ استخدم الكفار بعضًا من الأساليب للصد عن الدعوة منها[٢] :

---

١ ـ انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ـ أحمد غلوش ـ دار الكتب المصرية ودار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ط ٢ ـ ١٤٠٧ـ ١٩٨٧ ص ٧٦.

٢ ـ انظر فقه السيرة النبوية ـ منير الغضبان ص ١٤٩ وما بعدها.

أ ـ الأساليب القولية : كالسخرية والاستهزاء والترغيب والتهديد وتشويه الحقائق كوصفهم للنبي ﷺ بالكذب أو الجنون أو السحر .

ب ـ الأساليب العملية : مثل ممارسة التعذيب والاضطهاد وكذلك التحدي والتعجيز بطلب أمورٍ معجزةٍ وخارقةٍ ، كما أنهم استخدموا أسلوب الحصار والمقاطعة ، وفي نهاية المطاف حاولوا قتل النبي ﷺ ولكن الله تعالى خذلهم.

٦ـ كان موقف الرسول ﷺ في التعامل معهم :

ـ الدعوة بالحسنى والرد عليهم باللطف واللين .

ـ تكرار الدعوة على مسامعهم وعدم الكلّ في ذلك .

ـ دفع الاعتراضات بالحجج والبراهين .

ـ الإقناع بعرض التساؤلات والإجابة عنها بطريقة شافية كافية .

ـ الصبر وتحمل الأذى .

٧ ـ سلك النبي ﷺ جميع المسالك التي تعينه في تبليغ الدعوة فخرج إلى الطائف ليعرض الدعوة على أهلها . كما كان ﷺ يعرض الدعوة على القبائل التي تأتي إلى مكة ، لأن بعض تلك القبائل ربما لم تسمع بالدعوة ولم تعرف عن النبي ﷺ فكان يعرض الدعوة عليهم حتى يعرّفهم بها ، وإن كانت سمعت به ﷺ وبدعوته فليس أبلغ من أن يسمعوا منه حتى يعرفوا ما عنده يقينًا لا سماعًا .

ثم أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، وكانت الهجرة هي الفيصل بين مراحل الدعوة إذ أنها كانت انطلاقة جديدة للدعوة وتغييرًا جذريًا في مسارها لأن المدينة النبوية صارت أرضًا للإسلام فيها يقوم المسلمون بعبادتهم وشعائرهم الدينية بكل حرية ،كما فُرضت الأحكام والحدود الشرعية لأن المجتمع في المدينة أصبح مجتمعًا مسلمًا خاضعًا لله وتحكمه العقيدة الإسلامية التي ارتضاها الله لعباده .

المرحلة الثانية : المرحلة المدنيّة :

وهي الفترة التي قضاها رسول الله ﷺ داعيًا إلى الله في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية ، وقد كانت المدينة المنورة قبل دخول الإسلام إليها مجتمعًا عربيًا خليطًا بين الوثنية واليهودية وكان أهلها ينحدرون من قبائل هي :

ـ قبيلتي الأوْس والخَزْرَج[1] والذين كانوا على الوثنيّة .

ـ بنو النَّضِير[2] وبنو قُرَيظة[3] وبنو قيْنُقاع[4] وكانت هذه القبائل الثلاث على الديانة اليهودية.

لقد " قام رسول الله ﷺ بدور الرسالة والقيادة في المدينة "[5] وكان العهد المدني هو عهد تأسيس الدولة وخروج الدعوة إلى أنحاء المعمورة فكان النبي ﷺ يقود الجيوش ويبعث السرايا ويرسل أصحابه دعاة إلى دين الله[6]. وأخذ على عاتقه ﷺ مهمة الإصلاح والتأسيس وبناء المجتمع المسلم والدولة الإسلامية في المدينة المنورة وكان ذلك في عدة خطوات هي :

أ ـ بناء المسجد النبوي والحجرات الطاهرة ، ثم أرسل ﷺ من يأتي بأهل بيته من مكة حتى يكتمل استقراره ﷺ في دار هجرته والتي صارت تعرف بالمدينة النبوية .

ب ـ الاتصال باليهود ودعوتهم إلى الإسلام .

---

١ ـ الاوس والخزرج : قبيلتان عربيتان وهما بطنان عظيمان من الأزد من قحطان ، موطنهم الأصلي بلاد اليمن ثم هاجروا إلى يثرب ، وقد نشبت بينهما حروب طويلة أشهرها يوم بُعاث ، انظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ عمر كحّالة ـ دار العلم ـ بيروت ـ ١٣٨٨، ١٩٦٨ ـ ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ وَ ٣٤٢ ،٣٤٣ .

٢ ـ بنو النَضِير : هم قبيلة من اليهود كانوا ملوكا على المدينة ، ثم استبدوا بها فأخرجهم منها الأوس والخزرج ، فسكنوا في ظاهرها ، انظر معجم البلدان ج ٥ / ٩٧ و ٣٣٥ ، وقد خانوا العهد مع النبي ﷺ وحاولوا قتله ﷺ ، فأجلاهم منها بعد غزوة أحد ، انظر السيرة النبوية ٣ / ٥٣٠ .

٣ ـ بنو قُريظة : هم قبيلة من اليهود كانوا مع بني النضير ملوكا على المدينة حتى استبدوا فأخرجهم منها الأوس والخزرج ، انظر معجم البلدان ج ٥ / ٩٧ ، ٣٣٥ ، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أقام عهدا معهم كباقي اليهود فغدروا به واجتمعوا مع الأحزاب في غزوة الخندق فغزاهم النبي ﷺ ولم يدر بينهم قتال وترك النبي ﷺ الحكم عليهم لسعد بن معاذ رضي الله عنه لأنهم كانوا حلفاء للأوس فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وتقسيم الأموال ، انظر السيرة النبوية ٣ / ٥٥٦ .

٤ ـ بنو قينقاع : بفتح القاف وسكون الياء ، وضم النون وفتحها وكسرها كلٌ يروى ، هم شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة أضيف إليهم سوق كان بها ويقال سوق بني قينقاع ، انظر معجم البلدا ن ٤ / ٤٨١ ، وقد غدروا بالعهد مع المسلمين بقتلهم لرجل مسلم فغضب المسلمين ووقع شر بينهم وبين االيهود فحاصرهم النبي ﷺ حتى نزلوا على حكمه ﷺ فلم يقتلهم بل وهبهم لعبدالله بن أبيّ لأنهم حلفاء للخزرج ثم أخرجوا من المدينة ، السيرة النبوية ٣ / ٤٣٧ .

٥ ـ الرحيق المختوم ص ١٣٠.

٦ ـ انظر زاد المعاد ٦٩/٣ وما بعدها .

ج ـ وضع ﷺ ميثاقًا للمهاجرين والأنصار متضمنًا موادعة اليهود بالمدينة .

د ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فالمهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم فرارًا بدينهم وعقيدتهم وقد أستقبلهم الأنصار في المدينة المنورة أحسن استقبال فرضي الله عنهم أجمعين [١].

وقد اتسمت هذه المرحلة بعدة سمات منها :

١ـ كان المجتمع المدني الذي أقامه الإسلام في المدينة المنورة مجتمعًا عقديًا [٢] يرتبط بالإسلام ولا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين وهو أعلى أنواع الارتباط وأرقاها إذ يتصل بوحدة العقيدة والفكر والروح فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ، وهذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتمي إليه مهما كان لونه أو جنسه على أن ينخلع من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الإسلامية ليتمتع بسائر حقوق المسلمين[٣] .

٢ـ لقد " بدأت في المدينة المنورة الخطوات العملية لإقامة أول دولة إسلامية على وجه الأرض وذلك على أسس ثابتة متينة "[٤] ، هذه الدولة قامت بعد اكتمال أركانها الثلاثة وهي : القاعدة الصلبة التي قامت عليها وهم المؤمنون .

ـ الأرض الملائمة لقيامها وهي المدينة المنورة .

ـ النظام الواضح الذي تخضع له وهو شريعة الله تعالى [٥].

٣ـ كانت المدينة المنورة هي مقر الدعوة إلى الله عز وجل وعاصمة الدولة الإسلامية ومركز القيادة فيها إذ كانت تخرج منها الجيوش والسرايا ، كما كانت تستقبل الوفود والجموع التي تدخل في دين الله لتبايع الرسول ﷺ .

---

١ ـ انظر هذا الحبيب يا محب / ١٧٤ وما بعدها .

٢ ـ وردت في المرجع بلفظ "عقيديا " والصواب ما ذكرته .

٣ ـ انظر المجتمع المدني في عهد النبوة ـ أكرم ضياء العُمري ـ المجلس العلمي لأحياء التراث الإسلامي ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ١ ـ ١٤٠٣ـ ١٩٨٣ ـ ص ٨٤.

٤ـ المدخل إلى علم الدعوة ـ محمد أبو الفتح البيانوني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ٣ ـ ١٤٢٢ـ ٢٠٠١ـ ص ٧٩.

٥ ـ انظر المرجع السابق / ٨٥.

٤ـ بعد أن أصبحت السلطة في المدينة المنورة بيد حكومة إسلامية تتبع منهجا ربانيا وشريعة إلهية يخضع لها جميع من كان يسكن في المدينة " كان الاهتمام بتطبيق الأحكام الشرعية على جميع المستويات الفردية والجماعية "[1] دون محاباة أو مفاضلة لأحد في ذلك .

٥ـ كان الخطاب الدعوي يوجه إلى فئتين هما :

ـ المؤمنون سواءً الطائع منهم أو العاصي و يشمل هذا الخطاب المنافقين باعتبار أن ظاهرهم الإسلام .

ـ غير المؤمنين وهم المشركون وأهل الكتاب من يهود المدينة ومن هم في خارجها كنصارى نجران وكذلك يدخل في هذا الخطاب المنافقون إذا اظهروا عملا أو قولا دل على كفرهم وعداوتهم لدين الله .

٦ـ تميّز المجتمع الإسلامي في المدينة بالاستقرار لأن النبي ﷺ كان يهتم بأن تكون المدينة آمنة لأهلها وما حدث في غزوة الأحزاب من قيام المسلمين ومعهم رسول الله ﷺ بحفر الخندق ليكون حاجزًا أمام المعتدين يؤكد حرص النبي ﷺ على أن لا تكون المدينة ساحة قتال حتى يعيش الناس حياتهم آمنين وتستمر معيشتهم وهم مطمئنين على أنفسهم وأهليهم في داخل المدينة .

٧ـ المجتمع الإسلامي في المدينة لم يشهد صراع الطبقات ولم يعرف استعلاء غني على فقير ولا حاكم على محكوم ، ولم يعترف ابتداءً باختلاف البشر تبعًا لألوانهم أو أعراقهم أو دمائهم ، فالمسلمون جميعهم متساوون ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وأضحى المجتمع مفتوحا أمام الجميع ففرص الارتقاء والكسب متكافئة أمام أفراده كما كانت العلاقات الاجتماعية متكافئة أيضًا فليست هناك طبقية يصطدم رقي الفرد بسقوفها[2] وهذا الأمر كان جديدًا على البيئة العربية آنذاك .

---

١ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة /٨٦.

٢ ـ انظر المجتمع المدني في عهد النبوة / ٨٧.

إن الدعوة الإسلامية في مراحلها وأطوارها والأحداث التي مرت بها والفئات التي وُجّه لها الخطاب الدعوي ، كان لها في كل ذلك منهجًا للدعاة إلى الله يقتدون فيه بالنبي ﷺ ويسيرون على أثره .

الفصل الأول : جذور النفاق ومخاطره :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :تعريف النفاق وأنواعه .

المبحث الثاني : نشأة النفاق وأهداف المنافقين .

المبحث الثالث : خطر النفاق .

المبحث الأول :تعريف النفاق وأنواعه :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف النّفاق لغة وشرعاً.

المطلب الثاني: أنواع النّفاق.

المطلب الأول : تعريف النّفاق

أولاً: النّفاق لغةً:

النّفاق أصله من نفق ، وهذا الأصل له معنيان :

الأول : انقطاع الشيء وذهابه .

الثاني : إخفاء الشيء وإغماضه .

فالأول مثل نفقت الدّابة ، ونفق السعر والنفقة [١] ، وبهذا المعنى يكون نفق الشيء إذا مضى ونفد إما بالبيع وإما بالموت وإما بالفناء [٢] .

أما المعنى الثاني فهو المراد هنا لأن" النّفاق بالكسر: فعل المنافق " [٣]، يقال " نافق في الدين أي ستر كفره وأظهر إيمانه " [٤] ، وقد ذكر العلاّمة ابن الأثير [٥] " أن النّفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى الخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وان كان أصله في اللغة معروفا " [٦] ولهذا تذكر بعض معاجم اللغة المعنى الشرعي للنفاق ففي لسان العرب ورد أن النفاق هو" الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر " [٧].

والنفاق مشتق من النَّافقاء [٨] وهي موضع يرققه اليربوع من جُحره ، فيكتمها ويظهر غيرها [٩] وله جحرٌ آخر يقال له القاصِعاء فإذا طُلب من أحد جحريه خرج من الجحر الآخر، وهكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه

---

١ ـ انظر مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق أنس الشامي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ ص ٩٠٨ ، مادة نفق .

٢ ـ انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ تحقيق نديم مرعشلي ـ دار الفكر ص ٥٢٣ مادة نفق .

٣ ـ الصحاح ـ إسماعيل الجوهري ـ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ـ دار العلم ـ بيروت ـ ج ٤ / ١٥٦٠ ، مادة نفق .

٤ ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروز آبادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩١ ـ ج ٣ / ٤١٤ ، مادة نفق

٥ ـ ابن الأثير(٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) : هو العلامة مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري قرأ الحديث والأدب والعلم ،وله مؤلفات مشهورة منها جامع الأصول ، وله أخوان آخران وجميعهم مشهورون بابن الأثير . سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٥ .

٦ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ مجد الدين ابن الأثير ـ تحقيق محمود الطناجي ـ ٥ / ٩٨ ، مادة نفق .

٧ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٣ ـ ج ١٢ / ٢٣٧ ، مادة نفق

٨ ـ مقاييس اللغة / ٩٠٨ .

٩ ـ انظر الصحاح ٤ / ١٥٦٠ ، مقاييس اللغة / ٩٠٨ ، لسان العرب ١٢ / ٢٣٧ ، القاموس المحيط ٣ / ٤١٤ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ /٩٨ .

الذي دخل فيه [١] فهذا وجه شبهٍ بين المنافق واليربوع في التخفي وسرعة الهرب ، كما أن " المنافق إذا لُوحق من قِبل المؤمنين فرّ واظهر نفسه في صفهم وإذا لُوحق من قبل الكافرين فرّ وأظهر أنه منهم "[٢] وهذا وجه شبهٍ آخر بينهما في التلاعب وخداع من يطلبه ويلحق به .

وقيل أن النّفاق مشتق من النّفق وهو السّرب الذي يُستتر فيه فيكون المنافق سُمِّي بهذا الاسم لسِتره كفره[٣] ، وكذلك يطلق على الطريق النافذ الذي له مخرج أو السّرب النافذ في الأرض والذي له مخلص إلى مكان آخر[٤] ، وهذا يتفق وحال المنافق لأنه يتخذ من التظاهر بالإيمان طريقا لبلوغ أهدافه والخلوص إلى مبتغاه .

والخلاصة من كل ما سبق أن كلمة النّفاق لها أصل في اللغة ولكنها من الألفاظ العربية التي ظهرت باعتبارها مصطلحًا شرعيًا عُرف من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحدثت عن النفاق والمنافقين وكشفت عنهم .

---

١ ـ انظر غريب الحديث ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ مادة نفق ٣٨٢/١.

٢ ـ روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عبد الرحمن حبنكة الميداني ـ دار القلم ـ دمشق ط ٥ ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩١ ص ٩٤.

٣ ـ انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٩٨ .

٤ ـ الصحاح ٤ / ١٥٦٠ ، مقاييس اللغة ٩٠٨ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٢٤ ، لسان العرب ١٢ / ٢٣٧ ، القاموس المحيط ٣ / ٤١٤

ثانيا : تعريف النّفاق شرعاً:

النفاق كما سبق هو مصطلحٌ شرعيٌ و" المصطلحات الشرعية تتميز بأنها ذات دلالة واضحة ومحددة لأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث فالقرآن الكريم قسّم الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق[1] ولكل من الثلاثة صفاتٌ محددةٌ وثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعب فيها "[2] ولا مجال فيها للخلط أو التمييع .

والمعنى الشرعي للنفاق وردت فيه عدة معاني في كتب متنوعة من مختلف العلوم مثل كتب الحديث والتفسير والعقيدة و كتب اللغة وهذه المعاني متشابهة في مضمونها ومتقاربة في ألفاظها ويرجع ذلك لأن العلماء قد استنبطوا تلك المعاني من خلال ما ورد عن النّفاق في القرآن الكريم والسنة الشريفة ومن تلك المعاني التي وردت في تعريف النفاق أنه :

١ـ " إظهار الخير وإسرار الشر " [3].

٢ـ " إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب "[4].

٣ـ " سَتر الكفر وإظهار الإيمان" [5].

٤ـ " الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر"[6].

٥ـ " الدخول في الشّرع من باب والخروج عنه من باب "[7].

٦ـ إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر وسُمِّي بذلك ـ أي النّفاق ـ لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر[8].

---

١ ـ وذلك في سورة البقرة من (١ـ ١٦).

٢ ـ المجتمع المدني في عهد النبوة / ٢٣ .

٣ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ ـ ج ١ / ٤٩ .

٤ ـ التعريفات ـ الشريف الجرجاني ـ تحقيق محمد باسل عيون السود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط ٣ ـ ٢٠٠٩ ص ٢٤١.

٥ ـ النهاية في غريب الأثر ٥/ ٩٨ ـ القاموس المحيط ٣/ ٤١٤.

٦ ـ معجم ألفاظ العقيدة ـ عامر عبد الله فالح ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠ـ ص ٤٣٤.

٧ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن/ ٥٢٤.

٨ ـ انظر عقيدة التوحيد ـصالح الفوزان ـ دار العاصمة ـ الرياض ط ١ ـ ١٤٢٠ـ ١٩٩٩ ـ ص ١٠٥

٧ـ هو " اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل والمدخل والمخرج "[١] ويظهر لي أن هذا التعريف هو أكملها لأنه جمع معاني النفاق كما أنه اختصر التعريفات السابقة بعبارة جامعة .

وفي معنى النفاق لابد من التنبه إلى أن اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهرا وأتوا بما أتوا به من الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة والحج والجهاد[٢] . "وقد يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق ، وبعض شعب الإيمان وشعبة من الكفر" [٣] ، وهذا ما سيأتي في المطلب التالي بإذن الله تعالى .

---

١ ـ صفة النفاق وذم المنافقين ـ أبو بكر الفريابي ـ تحقيق محمد عطا ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ ـ ص ٤٧.

٢ ـ انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه ـ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ ١٤١٦ ـ ١٩٩٥ ـ ج ٧ ص ٣٥١ ٣٥١

٣ ـ المرجع السابق ٧ / ٥٢٠ .

المطلب الثاني : أنواع النفاق

أنواع النفاق:

إن النفاق ليس شكلا واحدًا وليس له مظهرٌ واحدٌ بل له أشكالٌ عدة ومظاهرٌ مختلفة والمنافقون لهم علامات كثيرة تدل عليهم[١] ، ومن هذه العلامات ما ذكره رسول الله ﷺ في قوله (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[٢] في هذا الحديث وضّح الرسول ﷺ أن النفاق ليس نوعا واحدا ونتبيّن ذلك من قوله ﷺ (كان منافقا خالصا) وقوله (كانت فيه خصلة من النفاق) ومن هنا ينقسم النفاق إلى نوعين هما : النفاق الأكبر والنفاق الأصغر ، ولابد من التفريق بين هذين النوعين ومعرفة مظاهر كل منهما ؛ لأن التعامل مع المنافق يختلف بحسب ما فيه من النفاق فالمسلم الذي يحب الله ورسوله ولكنه قد يتصف ببعض صفات المنافقين لا يمكن مساواته بالمنافق الذي يبطن الكفر ويعادي الله ورسوله ، وفيما يلي سنذكر أنواع النفاق ومظاهر كل نوع منهما .

أولاً: النفاق الأكبر[٣]:

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه ، وهذا النوع هو الذي نزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم[٤]، وقد نفى الله عن صاحبه الإيمان لأنه قال قولا وخالفه بمعتقده وعمله كما في قوله تعالى

---

١ ـ انظر رسالة النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة ـ عبدالرحمن قصاص ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم الكتاب والسنة ـ ١٤١٦ ـ فقد أفرد فضيلته بابا لعلامات النفاق تحدث فيه بإسهاب وافي .

٢ ـ رواه البخاري ـ كتاب الإيمان باب علامة المنافق ـ حديث رقم ٣٤ ـ ص ٢٤، وفي كتاب المظالم والغصب باب إذا خاصم فجر ـ حديث رقم ٢٤٥٩ ـ ص ٤٢٢، وفي كتاب الجزية والموادعة باب إثم من عاهد ثم غدر ـ حديث رقم ٣١٧٨ ـ ص ٥٥٩ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق ـ حديث رقم ٢١٠ ـ ص ٤٧ واللفظ للبخاري .

٣ ـ مجموع الفتاوى ٥٢٤/٧.

٤ ـ انظر جامع العلوم والحكم / ٤٤٢ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] فالمرء لا يعدّ مؤمنا إلا إذا اجتمعت فيه ثلاثة أمور وهي الاعتقاد والقول والعمل .

وقد اتفق أصحاب الكفر والنفاق في عداوتهم لله ورسوله ولذلك جمع الله بينهما وأمر بجهادهما وبيّن مآلهما ومصيرهما في آيات كثيرة كقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [3] وقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [4] .

ولهذا يدخل هذا النوع من النفاق في الكفر إذا ذُكر الكفر مفردًا في وعيد الآخرة كقوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [5] وقوله تعالى﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾ [6] فهذه الآيات يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الإيمان شيء كما يدخل الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار كما أخبر الله بذلك[7] في قوله﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ

---

١ ـ سورة البقرة (٨) .
٢ ـ سورة النساء (١٤٠) .
٣ ـ سورة التوبة (٧٣) ، وسورة التحريم (٩) .
٤ ـ سورة الأحزاب (١) .
٥ ـ سورة المائدة (٥) .
٦ ـ سورة الزمر جزء من الآية (٧١) .
٧ ـ انظر مجموع الفتاوى ٧ / ٥٣ ـ ٥٤ .

ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [١] ولهذا يسمى هذا النوع من النفاق بنفاق الكفر [٢] لأنه نوع من أنواعه الأربعة وهي :

١- كفر الجهل والتكذيب وهو أن ينتفي تصديق القلب مع عدم العلم بالحق .

٢- كفر الجحود والكتمان وهو أن يكتم الحق مع العلم بصدقه .

٣- كفر العناد والاستكبار بأن ينتفي عمل القلب وعمل الجوارح مع معرفة القلب والاعتراف باللسان .

٤- كفر النفاق وهو أن ينتفي عمل القلب وإن حصل اعتراف اللسان وعمل الجوارح لكنه كفر لانتفاء عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان [٣] .

وسمي هذا النوع بالنفاق الأكبر لأنه أعظم ذنبا وأقوى عقوبة من النوع الثاني كما يسمى أيضا " بالنفاق الاعتقادي " [٤] والسبب في هذا " أنه يدخل في أصل الاعتقاد وهو الإيمان " [٥]. وقد سماه الإمام الحسن البصري [٦] نفاق التكذيب فقال "النفاق نفاقان نفاق العمل ونفاق التكذيب" [٧] لأن المنافق مُكذّبٌ في اعتقاده الذي يتظاهر به .

مظاهر النفاق الأكبر:

إن النفاق الأكبر له مظاهر وأعمال تبيّن صاحبه وتدل على عداوته لدين الله وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية باختصار ، وتفصيلها كما يلي :

---

١ ـ سورة النساء (١٤٥) .

٢ ـ انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن حجر العسقلاني ـ تحقيق الشيخ عبد القادر شيبة الحمد ط ١ ـ ١٤٢١ ـ ٢٠٠١ ـ ج ١ ص ١١١.

٣ ـ انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ـ حافظ الحكمي ـ تحقيق عمر محمود أبو عمر ـ دار ابن القيم ـ الدمام ط ٣ ـ ١٤١٥ـ ١٩٩٥ـ ج ٢ ص ٥٩٣/٥٩٤ .

٤ ـ تفسير ابن كثير ٤٩/١ .

٥ ـ النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية ص ٢٦.

٦ ـ الحسن البصري(ت ٨٨ هـ) : هو أبو سعيد الحسن بن يسار ، مولى زيد بن ثابت وقيل لغيره وأمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة ، وهو من كبار التابعين ولد في آخر خلافة عمر وشهد يوم الدار ، كان جامعا عالما فقيها ثقة له رواية في الحديث وله مراسيل عن الصحابة ، انظر سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٧ .

٧ ـ جامع الترمذي ـ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ دار السلام ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ـ ١٩٩٩ـ كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في علامة المنافق ـ حديث رقم ٢٦٣٢ ، وقال حديث حسن صحيح ، ص ٥٩٨ .

١ـ " تكذيب الرسول ﷺ وجحود بعض ما جاء به "[١] :

يقول الله تعالى في ذلك ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [٢] ، فيخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم كاذبون في ما أخبروا به من تصديقهم للنبي ﷺ ، وإن كان قولهم مطابقا لظاهرهم إلا أنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم [٣] .

ويقول تعالى فيهم أيضا ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [٤] فهم كاذبين جاحدين وقد فضحهم الله وبيّن عوارهم .

٢ـ "بغضه ﷺ أو بغض بعض ما جاء به " [٥] :

والبغض ضد الحب ونقيضه [٦] وهو الكره ، وهذا المظهر لا نجده إلا في الكافر لأن المؤمن محبٌّ لله ولرسوله ولما جاء به النبي ﷺ قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [٧] ، وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [٨] . وهم كذلك يقتدون بمن هم مثلهم في عداوتهم لدين الله ويطيعونهم ، يقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ

---

١ ـ مجموع الفتاوى ٤٣٤/٢٨.
٢ ـ سورة المنافقون (١).
٣ ـ انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٥ .
٤ ـ سورة الأحزاب (١٢).
٥ ـ مجموع الفتاوى ٤٣٤/٢٨.
٦ ـ انظر مادة بغض في لسان العرب ٣٨٩/٤ ـ القاموس المحيط ٤٧٨/٢ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٣ .
٧ ـ سورة محمد جزء من الآية (٩).
٨ ـ سورة محمد (٢٨).

﴿ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [1] والمعنى أنهم " مالؤوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل " [2] فلولا اتفاقهم في بغض دين الله ما اجتمعوا .

كما أنهم ولشدة بغضهم لرسول الله ﷺ كانوا يحضرون إلى مجلسه ﷺ ثم يخرجون ويسخرون منه ، قال الله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [3]، وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [4] .

٣ـ " اعتقاد عدم وجوب اتباع الرسول ﷺ " [5] :

وذلك بمخالفتهم لما يأمر به رسول الله ﷺ فإذا كان الأمر بالنفقة في سبيل الله امتنعوا عن ذلك ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ ﴾ [6] وإذا دعا داعي الجهاد عصوا وتخلفوا ودعوا غيرهم للعصيان قال الله تعالى فيهم ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ [7] .

---

١ ـ سورة محمد (٢٦).

٢ ـ تفسير ابن كثير ٢٧٦/٤.

٣ ـ سورة محمد (١٦).

٤ ـ سورة التوبة (٦١).

٥ ـ مجموع الفتاوى ٤٣٤/٢٨.

٦ ـ سورة المنافقون جزء من الآية (٧).

٧ ـ سورة التوبة جزء من الآية (٨١).

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾[1] كما ذكر الله تعالى عصيانهم وصدهم عن سبيل الله واستكبارهم بإعراضهم عن الحق بقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[2] .

٤ـ " المسرة لانخفاض دين الله أو المساءة بظهوره "[3] :

وهذا لا يكون إلا من عدو لله ورسوله إذ أن المؤمن يسعى لنصر دين الله وإعلاء كلمته سبحانه أما من يسر لمصائب الأمة وما تتعرض له من محن وفتن فهو كما وصفه الله تعالى ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[4] .

كما أن المؤامرات التي كانت بينهم وبين اليهود في المدينة هي دليل قاطع على رغبتهم في النيل من المسلمين وانهزامهم ، ويصف الله عز وجل موقفهم هذا في قوله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[5] .

---

١ ـ سورة الأحزاب جزء من الآية (١٣).

٢ ـ سورة المنافقون (٥).

٣ ـ مجموع الفتاوى ٤٣٤/٢٨.

٤ ـ سورة التوبة (٥٠).

٥ ـ سورة الحشر (١١-١٢).

٥ـ لا يقرؤون القرآن وإذا قرؤوه فإنهم لا يتدبرون آياته :

لقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [١] .

ويقول ﷺ (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح و طعمها مر)[٢]. فقد بيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث أن المنافقين قسمان :

فالأول : هم الذين يقرؤون القرآن ولا ينتفعون به .

الثاني : هم الذين لا يقرؤون القرآن وهؤلاء في أعلى قمة النفاق[٣] .

وقراءة المنافق للقرآن لا تفيده ولا تنفعه لأنه لم يؤمن بما فيه ولم يعمل بمقتضاه و يقول العلماء في ذلك "إن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده وإنما يزكو عنده ما أُريد به وجهه وكان عن نية التقرب إلى الله"[٤].

كما أنهم حُرموا من هداه ؛ لنفاقهم لأن الله تعالى اختص أهل الإيمان والتقوى بهدى القرآن وحرم منها أهل الزيغ والنفاق ، كما أنهم مع كفرهم به قد يقرؤون القرآن ليكيدوا للإسلام ويضلوا العباد ، أو تكون قرأتهم له رياءً وسمعةً أو ليتثقفوا ويؤتى أحدهم علمًا أو ليجادلوا المؤمنين بالباطل[٥] . وقد قال رسول الله ﷺ (أكثر منافقي أمتي قراؤها)[٦] " وجعل النفاق في أكثر القراء لأن الرياء فيهم أكثر منه في غيرهم "[٧] فوصفهم بالنفاق لأنهم يتظاهرون بالطاعة ويمشون مع الصالحين ويراءون في ذلك .

---

١ ـ سورة محمد (٢٤).

٢ ـ رواه البخاري ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب إثم من راءى بقراءة القرآن ـ حديث رقم ٥٠٥٩ ـ ص ٩٣١ ، وفي كتاب الأطعمة ـ باب ذكر الطعام ، حديث رقم ٥٤٢٧، ص ٩٩٦ ، ورواه مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضيلة حافظ القرآن ـ حديث رقم ١٨٦٠ ص ٢٨١ ، واللفظ له .

٣ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ١٠١.

٤ ـ فتح الباري ٥٤٥/١٣.

٥ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ١٠١ ـ١٠٣ .

٦ ـ رواه الأمام أحمد ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٧٥٠ .

٧ ـ غريب الحديث ـ عبد الله بن قتيبة الدينوري ـ فهرسه نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ـ١٤٠٨ـ ١٩٨٨ ١٨٥/١.

والصلة بين النفاق والرياء " أن كلاهما إظهار غير ما في الباطن " [1] .

وينبغي التنبيه على أن الرياء نوعان :

الأول : رياء النفاق وقد ورد في الآيات القرآنية التي تحدثت عن المنافقين مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [3] كما ورد بمعناه دون لفظه في الآيات التي تحدثت عن المنافقين في في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [4] فهذا النوع يكون الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل لنيل جاه أو رئاسة أو طلب دنيا أو حقن دم أو عصمة مال فهذا هو رياء النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار .

النوع الثاني : رياء العمل وهو الذي سماه النبي ﷺ شركًا أصغر في قوله ﷺ (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء) [5] وذكره في قوله ﷺ (الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل) [6] وهذا النوع يكون فيه الباعث على العمل إرادة الله عز وجل

---

١ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٩٨.

٢ ـ سورة النساء (١٤٢).

٣ ـ سورة البقرة جزء من الآية (٢٦٤).

٤ ـ سورة البقرة (١٤).

٥ ـ رواه أحمد جزء من حديث رقم ٢٤٠٣٠ ، ٢٤٠٣١ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٥١ .

٦ ـ سنن ابن ماجه ـ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ دار السلام ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ـ كتاب الزهد ـ باب الرياء والسمعة ـ حديث رقم ٤٢٠٤ ، ص ٦١٢ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٤٠٨ .

والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فهو لا يخرج من الملة ولكنه ينقص من العمل بقدره وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله [١] .

إذن النفاق الأكبر هو ما كان في اختلاف الاعتقاد بأن يَظهر المرء بمظهر المسلم المؤمن المصدق ولكنه في حقيقته كافر يوالي أعداء الله ويعادي أولياءه ويتحيّن الفرص لإيذاء المؤمنين والنيل منهم ، كما أنه لا يتلقى ما جاء عن الله سبحانه وتعالى وعن رسول الله ﷺ بالقبول ، وهذا ينافي حقيقة الإيمان التي ترتكز على تطابق ما يظهره العبد مع ما يبطنه في قلبه إذ أن معنى الإيمان هو " تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح " [٢] ، ولو أن مسلم تلفظ بالشهادتين وأقر بما أنزل الله سبحانه وتعالى على رسله عليهم السلام وأقر بجميع الشرائع التي افترضها الله تعالى ثم جحد بذلك وقال أنه لم يعقد قلبه على شيء من هذا وأنه لا يصدق به فهذا ليس بمسلم وإن كان ظاهره الإسلام لأنه لم يأت بما هو أعلى من تظاهره ذلك وهو الإيمان الباطني المنعقد في القلب [٣] .

---

١ ـ انظر معارج القبول ٢ / ٤٩٣ ـ ٤٩٤ .

٢ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ هبة الله ابن الحسن اللالكائي ـ تحقيق أحمد سعد الغامدي ـ مؤسسة الحرمين ـ ط ٨ ـ ١٤٢٤ـ ٢٠٠٣ـ ج ٣ ص ٩٣٢ .

٣ ـ انظر المرجع السابق ٣ / ٩٣٢ .

النوع الثاني من أنواع النفاق : النفاق الأصغر .

ويسمى " نفاق العمل "[1] وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب " وهذا لا يخرج من الملة ولكنه وسيلة إلى ذلك وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا "[2] . ودليله ما رواه أبو هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ أنه قال (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)[3] وما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)[4] .

وفي هذا الحديث يقول الإمام النووي [5] في شرحه لصحيح مسلم "وهذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مُشكلا من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال وكذا وُجد لبعض السلف أو العلماء بعض هذا أو كله . وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار . وقوله ﷺ (كان منافقا خالصا) معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال ، قال بعض العلماء وهذا فيمن

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى ٤٣٥/٢٨ ، فتح الباري ١١١/١ ، جامع العلوم والحكم / ٤٣٩.

٢ ـ عقيدة التوحيد / ١٠٨.

٣ ـ رواه البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب علامة المنافق ـ حديث ٣٣ ، ص ٢٤ ـ ورواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان خصال المنافق ـ حديث ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ـ ص ٤٧ ، ٤٨ ، واللفظ للبخاري .

٤ ـ سبق تخريجه ص ٣٩ .

٥ ـ النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) : هو محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري الحزامي الحوارني الشافعي ، ولد في نوا وإليها نسبته ، وقدم دمشق فاشتغل بالعلم وكان علامة بالفقه والحديث واللغة وغيرها من العلوم ، رجع إلى نوى فمرض ومات فيها ، له مؤلفات كثيرة منها : شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين وشرح المهذب في الفقه الشافعي ، انظر تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٧٠ .

كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه فهذا هو المختار في معنى الحديث"[1]

وقد يتساءل البعض لماذا ذكر ﷺ ثلاث صفات للمنافقين في حديث وفي الآخر ذكر ﷺ أنها أربع و الجواب ذكره الإمام النووي أيضًا بقوله "وأما قوله ﷺ في رواية (أربع من كن .....) وقوله في الرواية الأخرى (آية المنافق ثلاث) فلا منافاة بينهما فإن الشيء الواحد قد تكون له علامات كل واحدة منهن تحصل بها صفته ثم قد تكون تلك العلامة شيئا واحدا وقد تكون أشياء والله أعلم"[2] . وهذا النوع من النفاق يدخل فيه الفعل والترك في العمل دون أن يدخل ذلك في الاعتقاد ، كما أن له مراتب يتفاوت فيها من وقع فيه[3] فتكون بحسب الأعمال والصفات التي بها يشابه صاحبها المنافقون ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا بل فيهم المنافق المحض ، وفيهم من فيه إيمان ونفاق ، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق ، وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان فيهم "[4] ، فالنفاق الأصغر يتفاوت بين الناس ، ويختلف من شخص لآخر بحسب عمل المنافق الذي هو عليه .

---

١ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ـ أبو زكريا يحي بن شرف النووي ـ دار الريان ـ القاهرة ـ ٢/ ٤٦ ، ٤٧.

٢ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨/٢.

٣ ـانظر فتح الباري ١١١/١.

٤ ـ مجموع الفتاوى ٥٢٣/٧.

مظاهر النفاق الأصغر :

النفاق الأصغر توجد له مظاهر وأعمال تدل عليه منها :

١ـ الكذب في الحديث : وذلك بأن لا يصدق في كلامه متعمدًا الكذب ، وقد قال ﷺ (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب ليهدي إلى الفجور وإن الفجور ليهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا)[١] ، ويسمى الكاذب فاجرًا لميله عن الصدق[٢] وقد سئل الإمام مالك عمن جُرّبَ عليه كذب فقال : "أي نوعٍ من الكذب؟ لعله حدّث عن عيشٍ له سالف فبالغ في وصفه فهذا لا يضر ّوإنما يضرّ من حدّث عن الأشياء بخلاف ما هي عليه قاصدًا الكذب"[٣].

٢ـ خيانة الأمانة : "وتكون الأمانة في عدة أمور أشدها وأعظمها هي الودائع وكذلك تكون الأمانة في الصلاة والصوم والحديث "[٤] بين الناس ، والخائن هو من إذا ائتمنه الناس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء فإنه يخون ذلك ولا يحفظه .[٥] والخيانة من أقبح الصفات لذلك فهي لا تليق بالمؤمنين ،كما أنها تدل على على أن نفس صاحبها نفسٌ وضيعة لا تبالي بحقوق الآخرين .

٣ـ إخلاف الوعد : سواءً كان هذا الوعد في مالٍ أو إعانةٍ أو موعدٍ أو غير ذلك مما يعد المرء به[٦] . فلابد من الوفاء به إلا أن يتعذر ، " فإن كان عند الوفاء عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق وأما من عزم على الوفاء فطرأ له عذرٌ منعه من الوفاء لم يكن منافقًا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق "[٧] .

---

١ ـ رواه مسلم ـ في كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق ، حديث ٦٦٣٧ ، ص ٩٨٠ .

٢ ـ لسان العرب ـ مادة فجر ٣ / ٣٥٣.

٣ ـ انظر فتح الباري ١١٢/١.

٤ ـ جامع العلوم والحكم /٤٤١.

٥ ـ انظر شرح رياض الصالحين ـ محمد بن صالح العثيمين ـ تحقيق عبد الرحمن الهاشمي ـ دار الآفاق العربية ـ القاهرة ـ ط ١ـ ١٤٢٦ـ ٢٠٠٥ ـ ج ٢ ص ٤٨٨.

٦ ـ انظر شرح رياض الصالحين ٤٨٨/٢.

٧ ـ إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي وبذيله المغني من الأسفار لأبي الفضل العراقي ـ تحقيق سيد عمران ـ دار الحديث القاهرة ـ ١٤٢٥ ، ٢٠٠٤ ـ ج ١٧١/٣.

وهذه الخصال الثلاث ذكرها ﷺ في قوله (آية المنافق ثلاث .....) ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث " أنها مبنيةٌ على ما عداها إذ أصل الديانة منحصرٌ في ثلاث : القول والفعل والنية فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخُلف "[١] .

٤ـ الغدر بالعهد : وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ ﴾ [٢] وقال ﷺ (لكل غادر لواء يوم القيامة يُعرف به)[٣] والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره ولو كان كافرا فقد أمر الله تعالى بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا ، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثما ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من تابعه ورضي به ، ويدخل في العهود جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة ، وكذلك ما يعاهد العبد ربه عليه من نذر التبرر ونحوه[٤].

٥ـ الفجور عند المخاصمة : والفجور أصله الميل عن الحق ، وسمّي الكاذب فاجرا لميله عن الصدق والقصد[٥] . والخصومة هي المخاصمة عند القاضي ونحوه والفجور والفجور في الخصومة على نوعين :

أحدهما : أن يدّعي ما ليس له .

الثاني : أن ينكر ما يجب عليه .

وفي كليهما يحلف الفاجر لينال مراده[٦] .

---

١ ـ فتح الباري ١١٢/١.

٢ ـ سورة الإسراء (٣٤).

٣ ـ رواه البخاري في كتاب ـ الجزية والموادعة ، باب إثم الغادر ، حديث رقم ٣١٨٦ ،٣١٨٧ ،ص ٥٦١ ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب تحريم الغدر ، حديث ٤٥٣٦ ـ ص ٦٧٠ ، واللفظ له.

٤ ـ انظر جامع العلوم والحكم /٤٤٠.

٥ ـ لسان العرب ، مادة فجر ٣٥٣/٣.

٦ ـ انظر شرح رياض الصالحين ٤٨٩/٢ .

٦ـ الإعراض عن الجهاد : وهو من خصال المنافقين[١] ودليل ذلك قوله ﷺ (من مات ولم يغزُ ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)[٢] يقول الإمام الصنعاني[٣] رحمه الله " ولا يخفى أن المراد من الحديث هنا أن من لم يغز بالفعل ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على خصلة من خصال النفاق ، فقوله (ولم يحدّث نفسه) لا يدل على العزم الذي معناه عقد النية على الفعل بل معناه هنا لم يخطر بباله أن يغزو ، ولا حّدث به نفسه ولو ساعة من عمره ، ولو حدثها به وأخطر الخروج للغزو بباله حينا من الأحيان خرج من الاتصاف بخصلة من خصال النفاق"[٤] . فهمة المؤمن تظهر في في إعلاء كلمة الحق والجهاد في سبيل الله ولو كان ذلك أمنية أو حديث النفس وهذا بعيد عن المنافقين .

٧ ـ ذو الوجهين : وهو الذي يتلون ويتغيّر في مواجهته للناس ، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله (تجدون من شر الناس ذا الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[٥] ، وهذا يوجد في كثير من الناس والعياذ بالله وهو شعبة من النفاق ، تجده يأتي إليك يتملّق ويثني عليك وربما يغلو في ذلك الثناء وإن كان من ورائك عقرك وذمّك وشتمك وذكر فيك ما ليس فيك فهذا من كبائر الذنوب لأن النبي ﷺ وصف فاعله بأنه شر الناس ، والواجب على الإنسان أن يكون صريحًا لا يقول إلا ما في قلبه فإن كان خيرًا حُمد عليه وإن كان سوى ذلك وُجّه إلى الخير[٦] .

إن ما ذُكر سابقا من مظاهر النفاق الأصغر كان على سبيل المثال وليس الحصر لأن كل صفة أو عمل يشابه صفات المنافقين وأعمالهم التي ذمها الله تعالى ورسوله ﷺ هي من مظاهر النفاق ولذلك لابد للمسلم أن يتبصّر في كل أموره التي

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى ٤٣٦/٢٨.

٢ ـ رواه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب ذم من مات ولم يغزُ ـ حديث ٤٩٣١ ـ ص ٧٣٩ .

٣ ـ الصنعاني (١٠٩٩ـ ١١٨٢ هـ) : هو أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني الكحلاني الصنعاني المعروف كأسلافه بالأمير ، إمام مجتهد ولد بمدينة كحلان ونشأ وتوفي في صنعاء ، له مؤلفات كثيرة تبلغ نحو المائة كتاب منها كتاب توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار ، الأعلام ٦ / ٣٨ .

٤ ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ـ محمد الصنعاني ـ تحقيق خليل شيحا ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ ـ ج ٤ ص ٦٣ .

٥ ـ رواه البخاري في كتاب الأدب باب ما قيل في ذي الوجهين ـ حديث ٦٠٥٨ ـ ص ١٠٩٠ ، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب باب ذم ذي الوجهين ـ حديث ٦٦٣٢ ص ٩٧٩ ، واللفظ له.

٦ ـ انظر شرح رياض الصالحين ١٢٥/٤.

تتعلق بدينه وحياته ويعرض جميع نواياه وصفاته وأقواله وأفعاله على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فما وافقهما فلابد فيه من الإتباع على الوجه الذي يرتضيه الله جل وعلا .

إن الحديث عن النفاق يشمل المنافقين ذكورا وإناثا ، لأن لفظ المنافقين يقع عليهم جميعا وقد ورد ذكر المنافقات في القرآن الكريم معطوفا على المنافقين في خمسة مواضع من كتاب الله الكريم وهي: قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴾ [2]، وقوله تعالى ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [4] فهذه فهذه الآيات ذكرت المنافقين والمنافقات في اجتماعهم في عذاب الآخرة .

كما ورد ذكر المنافقات مع المنافقين في وصف الله سبحانه وتعالى لهم بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وذلك في قوله تعالى ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [5] .

---

١ ـ سورة التوبة (٦٨) .
٢ ـ سورة الأحزاب (٧٣) .
٣ ـ سورة الفتح (٦) .
٤ ـ سورة الحديد (١٣) .
٥ ـ سورة التوبة (٦٧) .

وفي السنة النبوية جاء لفظ المنافقات في قوله ﷺ (المختلعات هن المنافقات) [١] ، والمختلعات هن اللاتي يطلبن الخلع والطلاق من أزواجهن بغير عذر [٢] ، وهن بذلك يخالفن أمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ بطاعة الزوج في غير معصية والقرار بالبيت ، "فهن عاصيات في الباطن ومطيعات في الظاهر" [٣] ، واختلاف الظاهر والباطن هو النفاق ، ولكن هذا الوصف النبوي لا يحصر المنافقات في المختلعات فقط بل إن وصف النفاق يقع على كل من اتصف بصفة نفاق أو عَمل عملا من أعمال المنافقين ذكرا كان أو أنثى .

---

١ ـ رواه الترمذي ـ كتاب الطلاق ـ باب ما جاء في المختلعات ـ حديث رقم ١١٨٦ ، ص ٢٨٩ ، وقال حديث غريب ، وروى النسائي بنحوه في كتاب الطلاق ـ باب ما جاء في الخلع ـ حديث رقم ٣٤٩١ ـ ص ٤٨٥ ، وصححه الألباني وقال "وبالجملة فهذا الإسناد متصل فلا يلتفت إلى اعلال النسائي بالانقطاع " ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٦٣٢ ، ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١١ .

٢ ـ النهاية في غريب الحديث ٢ / ٥٨ .

٣ ـ تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ـ محمد المباركفوري ـ تحقيق علي معوض وآخرون ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ ـ ج ٤ / ٤٠٩ .

المبحث الثاني: نشأة النفاق وأهداف المنافقين .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأة النفاق وظهور المنافقين .

المطلب الثاني : أهداف المنافقين .

المطلب الأول : نشأة النفاق وظهور المنافقين

أولا : نشأة النفاق :

إن حقيقة النفاق تعتمد على الخداع والتّستر لأن المنافق لا يقوى على مواجهة أهل الإيمان فيرى أنه من الأسلم له الدخول في صفهم والعمل بعملهم والتظاهر بأنه منهم .

وظهور النفاق في الأمة كانت له بواعث هي :

ـ اعتقاد الكفر وكراهية الإسلام .

ـ وجود المنافق تحت سيطرة حكومة إسلامية .

ـ ضعفه عن مواجهة هذه الحكومة بعقيدته التي يضمرها في نفسه[1] .

فالمنافقون يظهرون في بيئة لا يستطيعون إعلان كفرهم فيها حمايةً لأنفسهم ومصالحهم ولهذا تزامنت نشأة النّفاق مع قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية وهذا ثابت من عدة نواحٍ:

أولاً: إن بناء الدولة الإسلامية على ركائزها القوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية جعلها تثبت في وجه الكفر وأهله وتزداد قوتها وهيبتها وهذا منع بعض أهل المدينة ومن حولها من إظهار كفره خوفاً وجبناً منهم فتستروا بالإيمان يقول شيخ الإسلام رحمه الله "فإنه من حين هاجر النبي ﷺ صار الناس ثلاث أصناف: إما مؤمن وإما كافر مظهر للكفر وإما منافق بخلاف ما كانوا وهو بمكة فانه لم يكن هناك منافق ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره : لم يكن من المهاجرين منافق وإنما كان النّفاق في قبائل الأنصار، فان مكة كانت للكفار مستولين عليها فلا يؤمن ويهاجر إلا من هو مؤمن وليس هناك داع يدعو إلى النّفاق والمدينة آمن بها أهل الشوكة فصار للمؤمنين بها عزة ومنعة بالأنصار فمن لم يظهر الإيمان آذوه فاحتاج المنافقون إلى إظهار

---

١ ـ انظر المنافقون في القرآن الكريم ـ عبد العزيز الحميدي ـ دار المجتمع ـ جدة ـ ط١ ـ ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩ـ ص ١٩.

الإيمان مع أن قلوبهم لم تؤمن"[١]. وقال الإمام ابن كثير "وقد نزلت صفات المنافقين في السور المدنيّة لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه فمن الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن"[٢].

فالمنافقون يتتبعون مراكز القوة ويظهرون حيث بدت لهم المكاسب فهم كما ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[٣]. ومثال ذلك أن انتصار المسلمين في غزوة بدر كان سببا ليعلن بعضهم إسلامه لما رأى من عظمة الإسلام وعزة أهله ويدل عليه ما رواه الإمام البخاري (أن رسول الله ﷺ لما غزا بدراً فقتل الله به من صناديد كفار قريش ، قال ابن أبي بن سلول[٤] ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمرٌ قد توجّه[٥]، فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا)[٦].

ثانياً : إن منشأ فكرة النّفاق في المجتمع الإسلامي كان مرتبطا باليهود ، يقول الله تعالى ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٧] فهذه الآية توضح أن طائفة من يهود المدينة تولت التخطيط لإرجاع من آمن من أهل المدينة عن دينه[٨] " فاليهود والنّفاق مقترنان ولم يعرف الإسلام النّفاق إلا منذ احتك باليهود في المدينة "[٩].

١ـ مجموع الفتاوى ٧ / ٢٠١ .

٢ ـ تفسير ابن كثير ١ / ٤٩ .

٣ ـ سورة النساء (١٤٣) .

٤ ـ عبد الله بن أبيّ بن سلول : هو أبو الحُباب وسلول هي جدته وهي امرأة من خزاعة كان من أشراف الخزرج وسادتهم اجتمع قومه مع الأوس ليتوجوه ملكا عليهم فلما دخل الإسلام المدينة وأسلم الناس والتفوا حول النبي ﷺ أضمر النفاق في نفسه وأضحى رأس المنافقين وكبيرهم . انظر الاستيعاب ٣ /٧١،٧٢ .

٥ ـ توجّه : أي ظهر وجهه ، فتح الباري ٨ / ٨٤ .

٦ ـ صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ حديث رقم ٤٥٦٦ ـ ص ٧٩٧ .

٧ ـ سورة آل عمران (٧٢) .

٨ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية ص ٣٣ .

٩ ـ الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم ـ رسالة دكتوراه ـ سليمان ناصر مرزوق ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الدعوة والإعلام ـ قسم الدعوة والاحتساب ـ ١٤١٨ـ ١٩٩٧ـ ص ٥٤٨.

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين مما يضمره لهم أعداؤهم في نفوسهم من الشر فقال تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] ففي هذه الآية يخبر الله تعالى المؤمنين بنفسية كثير من أهل الكتاب وهي الرغبة الملحّة في أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحق ليصبحوا كافرين ، ومنشأ هذه الرغبة الحسد الناجم في نفوس المنافقين والتي لا ترغب في أن ترى المسلمين يعيشون في نور الإيمان بدل ظلمات الكفر[2] ، وذلك لأنه كان في ظنهم أن النبي ﷺ سيكون منهم وأن مبعثه ﷺ سيكون فيهم فلما خاب ظنهم لم يجدوا سبيلا إلا التشكيك في صدق نبوته ﷺ ولكن الله تعالى نصر نبيه ﷺ وعباده المؤمنين ورد كيدهم في نحرهم .

ثالثًا : إن الآيات التي تحدثت عن النّفاق والمنافقين وذكرت صفاتهم وأعمالهم هي آيات نزلت مرتبطة بأحداث وقعت بعد الهجرة إلى المدينة مثل الآيات التي تحدثت عن القتال والجهاد وما كان يحدث في الغزوات النبوية كحادثة الإفك ، وكذلك الآيات التي تحدثت عن علاقة المنافقين بيهود المدينة وموالاتهم لهم ، وقد سبق قول الإمام ابن كثير"وقد نزلت صفات المنافقين في السور المدنيّة "[3].

ويرى بعض العلماء المعاصرين[4] أن نشأة النفاق كانت في مكة ، وكانت بالتحديد في أواخر المرحلة المكية وبدء ظروف المرحلة المدنية واستدل بآيات من سورة مكية ، وهي سورة العنكبوت[5] وذلك في قوله تعالى﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[6] ، وهذا الرأي يُردُّ عليه بأن سورة العنكبوت سورة مدنية ،

---

١ ـ سورة البقرة جزء من الآية (١٠٩) .

٢ ـ انظر أيسر التفاسير ـ ٩٨/١ .

٣ تفسير ابن كثير ٤٩/١ .

٤ ـ وهو الشيخ العالم عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .

٥ ـ انظر ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ ـ عبد الرحمن حسن الميداني ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ ـ ١٤٨/١ .

٦ ـ سورة العنكبوت (١١) .

وقيل " أنها سورة مكية باستثناء الآيات العشر الأولى منها فإنها نزلت في المدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة "[١] ، والذين خرجوا مرتين يريدون الهجرة إلى المدينة فقاتلهم المشركون وفي المرة الثانية قتل بعضهم[٢] .

وقد يقول قائل : إن سورة المدثر وهي سورة مكية قد ذكرت وصف المنافقين في قوله تعالى﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [٣] فكيف يتفق هذا وقولنا أن النّفاق ظهر في المدينة وقد نزلت السورة قبل ذلك؟

والجواب على هذا يكون من وجهين:

الوجه الأول: أن المعنى المراد لمرض القلب في هذه الآية قد يُحمل على المعنى اللغوي لمرض القلب وهو الشّك والريب والفتور عن الحق[٤] وهذا موجود في كفار قريش فهم بكفرهم وتكذيبهم وإعراضهم عن الحق يملأهم الشك في صدق الرسول ﷺ وتلازمهم الرِّيبة في دين الله ، يقول الإمام الشوكاني[٥] "المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن بالكفار" [٦].

الوجه الثاني : قد يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض أنهم المنافقون وحيث أن النفاق لم يظهر زمن نزول الآية فيكون ذلك من الإخبار عما سيكون في المدينة بعد الهجرة من ظهورهم واتفاقهم مع الكافرين [٧] .

---

١ ـ تفسير القرطبي ـ١٣ /٢٨٧ .

٢ ـ انظر لباب النقول في أسباب النزول ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٢٨ ـ ٢٠٠٧ ص ١٨١ .

٣ ـ سورة المدثر جزء من الآية (٣١).

٤ ـانظر لسان العرب ٩٩/٥ـ١٠٠ـ القاموس المحيط ـ ٢/ ٥٧.، مادة مرض .

٥ ـ الشوكاني (١١٧٣ ـ١٢٥٠ هـ) : هو محمد بن علي الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن تولى القضاء في صنعاء ، مؤلفاته تربو على المائة كتاب منها نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ، وتحفة الذاكرين ، الأعلام ٦ / ٢٩٨ .

٦ ـ فتح القدير ـ محمد بن علي الشوكاني ـ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ ١٤٢٤ ج ٥ ص٣٣٠.

٧ ـ انظر المرجع السابق ٥ /٣٣٠ ـ وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود بن محمد الحنفي ـ تحقيق عبد القادر عطا مكتبة الرياض الحديثة ـ ١٤٠٢ـ ١٩٨٢ـ ج ٥، ص ٤٢٤.

ثانيا: النفاق ومرض القلب :

لقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم مرضى القلوب كما في قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ ﴾[3] ، وفي آيات أخرى ذكر الله المنافقين وعطف عليهم بذكر الذين في قلوبهم مرض قال تعالى ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ﴾[5] ، فهذه الآيات الكريمة دلت على وجود اختلاف بين النفاق ومرض القلب ؛ لأن العطف يدل على عدم التطابق التام بين الوصفين وإن وُجد بينهما تداخل ، قال الإمام القرطبي[6] " قيل المنافقون : الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، والذين في قلوبهم مرض : الشاكون وهم دون المنافقين لأنهم حديثو عهد بالإسلام وفيهم بعض ضعف نية "[7] .

إذن النفاق ومرض القلب متغايران وإن كان بينهما تداخل ، ويتضح ذلك بمعرفة معنى كلٍ منهما ، أما معنى النفاق فقد سبق وأما معنى مرض القلب فسيأتي فيما يلي ولكن لابد قبل ذكره من معرفة معنى القلب .

١ـ سورة البقرة جزء من الآية (١٠).

٢ ـ سورة محمد جزء من الآية (٢٠).

٣ ـ سورة الأحزاب جزء من الآية(٣٢) .

٤ ـ سورة الأحزاب جزء من الآية (٦٠).

٥ ـ سورة الأنفال جزء من الآية (٤٩) .

٦ ـ القرطبي (ت ٦٧١هـ) : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي ، كان إماما علما من الغواصين على معاني الحديث ، وما وما أكثر فوائده ، حاكى مذاهب السلف كلها ، من تصانيفه التفسير الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة بأمور الآخرة ، انظر شذرات الذهب ٥ / ٤٧٨ ، ٤٧٩ .

٧ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ محمد الأنصاري القرطبي ـ تحقيق محمد الحفناوي و محمود عثمان ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢ـ ٣٨٧/٤ـ ٣٨٨ .

القلب لفظ يطلق على معنيين[1] :

أحدهما : ذلك اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر .

الثاني : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، وهذا المعنى هو المقصود هنا .

وأهمية القلب تكمن في أنه مركز الصلاح أو الفساد ، يقول ﷺ (ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صَلَحت صلح الجسد كله وإذا فَسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2]. والقلوب أنواع كما ذكر ﷺ في قوله (القلوب أربعة قلب أجرد[3] فيه سراج يزهر فذلك فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس[4] فذلك قلب الكافر ، وقلب أغلف[5] مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح[6] فيه إيمان ونفاق مثل الإيمان فيه كمثل البقلة[7] يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة[8] يمدها القيح والصديد فأي فأي المدتين غلبت عليه حكم الله بها)[9] . فهذه القسمة النبوية رباعية كاشفة عن حقيقة أحوال القلوب وفيها زيادة وتفصيل في النوع الثالث وهو القلب المريض[10] ، إذ ذكر رسول الله ﷺ له نوعان وفي هذا إشارة إلى أن مرض القلب ليس نوعا واحدا بل يختلف ذلك بحسب الفساد الموجود فيه وقد ذكر شيخ الإسلام أن مرض القلب هو نوع فساد يحصل للقلب فيفسد به تصوره أو إرادته ، ففساد تصوره يكون بالشبهات التي تعرض

---

١ ـ انظر إحياء علوم الدين ٣ / ٤.

٢ ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه ـ حديث رقم ٥٢ ـ ص ٢٧ ، ورواه مسلم ـ كتاب المساقاة والمزارعة ـ باب أخذ الحلال وترك الشبهات ـ حديث رقم ٤٠٩٤ ـ ص ٦٠٢ ، واللفظ للبخاري .

٣ ـ أجرد : أي ليس فيه غل وغش ، فهو على أصل الفطرة ، يزهر فيه نور الإيمان . انظر النهاية في غريب الحديث ١ / ٢٣٤ ، مادة جرد .

٤ ـ منكوس : من نكس أي انقلب على رأسه ، النهاية ٥ / ٩٧، مادة نكس .

٥ ـ أغلف : أي عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله ، النهاية ٣ / ٣١٣ مادة غلف .

٦ ـ مصفح : الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهل الإيمان بوجه ، النهاية ٣ / ٣٠ مادة صفح .

٧ ـ البقلة : مفرد البقل وهو نبات عشبي ، المعجم الوسيط ١ / ٦٦ مادة بقل .

٨ ـ القرحة : من القرح بفتح القاف أو ضمها وهو الجرح . النهاية ٤ / ٣١ . مادة قرح .

٩ ـ رواه الإمام أحمد برقم ١١١٤٦ ، ورجاله ثقات .

١٠ ـ انظر القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان ـ سيد محمد ساداتي الشنقيطي ـ دار اشبيليا ط ٤ ـ ١٤١٧ ـ ١٩٩٧ ـ ص ٥٦ .

له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه ، وفساد إرادته يكون ببغض الحق النافع ومحبة الباطل الضار[1] .

معنى مرض القلب :

مرض القلب في اللغة يطلق على الشك والريب والفتور والظلمة والنقصان[2]. والمرض : السُّقم وهو نقيض الصحة ويكون المرض والسقم في البدن والدين جميعا كما يقال أن الصحة في البدن والدين جميعا . وأصل المرض النقصان فبدن مريض أي ناقص القوة والقلب المريض هو ناقص الدين[3] .

وبناء على ما سبق ينقسم مرض القلب إلى :

- الشك والريب .

- الفتور والظلمة والنقصان .

فالأول هو ما عبّر عنه العلماء بمرض الشك والشبهة والثاني هو مرض الغي والشهوة[4] ، ومرضى القلوب بالشهوات يُلحقون بمرضى القلوب بالشك وهم المنافقون بجامع المرض في القلب [5] ولكنهم يختلفون في أمرين :

الأول : أن مرض الشبهة أردأ من مرض الشهوة إذ أن مرض الشهوة يرجى له الشفاء بقضاء الشهوة أما مرض الشبهة فلا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته[6]. وهذا النوع هو المقصود بوصف المنافقين .

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى ٩٣/١٠ .

٢ ـ انظر القاموس المحيط ٥٠٧/٢ مادة (مرض).

٣ ـ انظر لسان العرب ٩٨/٥ وما بعدها مادة (مرض) .

٤ ـانظر زاد المعاد ٥/٤.

٥ ـ انظر القلب في القرآن / ٧٥ .

٦ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق جماعة من العلماء ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ٩ ـ ١٤٠٨ـ ١٩٨٨ـ ص ٢١٦.

والثاني : أن مرض الشهوة يكون في قلب صاحبه إيمان و لكنه إيمان ناقص لأنه يعاني من فتور في الامتثال للأوامر واجتناب النواهي وهذا أدى إلى ظلمة في قلبه والتي يمكن إزالتها بالرجوع إلى الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام في قوله تعالى﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ [1] فقلوبهم لم تمت كموت الكفار والمنافقين وليست صحيحة كصالح قلوب المؤمنين بل فيها مرض شبهة وشهوات وكذلك ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [2] وهو مرض الشهوة فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه[3] .

وبهذا ينصرف معنى مرض القلب بحسب من وُصف به أو بحسب الحالة التي يكون عليها صاحب الوصف ، لأن مرض القلب صفة تطلق على المنافقين الخُلّص لأن قلوبهم مليئة بالشك والريب والشبهات كما تطلق على عصاة المسلمين إذا كان أحدهم على شبهة أو شهوة تنقص إيمانه، وعلى هذا يكون كل منافق هو مريض قلب لكن ليس كل مريض قلب هو منافقا، والله تعالى أعلم .

---

١ ـ سورة الأحزاب جزء من الآية (٦٠).

٢ ـ سورة الأحزاب جزء من الآية(٣٢) .

٣ ـ انظر مجموع الفتاوى ٩٥/١٠.

ثالثا : ظهور المنافقين :

إن المنافقين ظاهرهم الإسلام لذلك يُحسن الظن بهم على أنهم مؤمنون ولكن تظهر حقيقتهم في وقت الفتن والمحن والأزمات التي تصيب الأمة فيكشفهم الله تعالى بها ويُظهر خفايا نفوسهم الخبيثة وفي ذلك حكمة ربانية قال تعالى﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [1] وهذا التمييز يكون في عدة أحوال من أمثلتها :

الحالة الأولى : عند وقوع الابتلاء والامتحان :

يظهر النفاق في امتحان الله سبحانه وتعالى لعباده وعرضهم على اختبارات تبيّن مقدار إيمانهم وتكشف سرعة استجابتهم للأوامر ومن الأمثلة على ذلك الأمر بتحويل القبلة إلى مكة المكرمة ، يقول الإمام ابن القيم "وكان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حِكم عظيمة ، ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين فأما المسلمون فقالوا : سمعنا وأطعنا ، وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع لديننا ، وأما اليهود فقالوا : خالف قِبلة الأنبياء قبله ولو كان نبيا لكان يصلي إلى قِبلة الأنبياء وأما المنافقون فقالوا : ما يدري محمد أين يتوجه إن كانت الأولى حقا فقد تركها ، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل" [2] ، فقول المنافقين ذلك يدل على أنهم ليسوا من أهل الإيمان وإلا ما كانوا عارضوا وسخروا لأن المؤمن يستجيب لله ورسوله ﷺ دون تأخر منه وذلك لعلمه أن ذلك حق ولابد فيه من الإتباع .

كما برز وجه النفاق عند الأمر بالخروج إلى غزوة تبوك إذ تخلف بعضهم وتعذر منهم آخرون فذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ

---

١ ـ سورة آل عمران جزء من الآية (١٧٩).

٢ ـ انظر زاد المعاد ٦٧/٣ .

﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [2] .

الحالة الثانية : في وقت الهزائم والمصائب والنكسات :

إن المنافقين تسقط عنهم أقنعتهم في هذه الأوقات ؛ لأنهم يظنون أن الأزمات والنكسات التي تمر بالأمة قد تهلك دولة الإسلام ، أو أنها قد تقضي على المسلمين وتنال منهم ، لذلك يظهرون حقيقة كفرهم ويعلنون نواياهم ، فإذا رأوا أن المؤمنين ما زالوا متمسكين بدينهم ولم يتخاذلوا أو يفقدوا إيمانهم ، تراجع أولئك الخبثاء عما قالوه وفعلوه وبادروا بالاعتذار والحلف الكاذب حتى يصدقهم المؤمنين ويتغاضون عنهم ، ومن الأمثلة على ذلك موقف المنافقين مع ما حدث للمسلمين من هزيمة في غزوة أحد " والتي اقتضت فيها حكمة الله عز وجل أن سبّب لعباده محنة ميّزت بين المؤمن والمنافق فأطلعَ المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتمونه "[3] ، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في قوله تعالى﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾ [4] .

---

١ ـ سورة التوبة (٨١).

٢ ـ سورة التوبة (٤٥).

٣ ـ زاد المعاد ٢١٩/٣.

٤ ـ سورة آل عمران (١٦٦، ١٦٧) .

وقد ذكر شيخ الإسلام[1] عن ما حدث في زمانه في حرب المسلمين مع التتار وكيف كان دور المنافقين مشابهاً لأسلافهم الذين كانوا في عهد النبّوة واستشهد بالآيات القرآنية التي تحدثت عن مواقفهم وأفعالهم وأدوارهم المتشابهة في عداوتهم لدين الله وخيانة الأمة .

١ ـ مجموع الفتاوى ٢٨ /من ص٤٢٤إلى ص ٤٦٧ .

المطلب الثاني : أهداف المنافقين

إن أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم وأفكارهم [١]، وكل عمل يقوم به الإنسان له هدف يسعى إليه وتختلف هذه الأهداف باعتبارات عدة هي :

ـ اعتبار هذا الهدف بذاته .

ـ اعتبار العمل الذي يوصل إلى هذا الهدف .

ـ اعتبار العامل الذي يسعى إليه .

يقول الله تعالى في ذلك ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [٢] فهذه الآية الكريمة ذكرت الاعتبارات الثلاثة السابقة ، فالهدف هو الدار الآخرة ، و العمل هو السعي لها ، والعامل هو المؤمن . فالمؤمن المصدق الطائع لله ورسوله ﷺ يسعى لرضا الله تعالى وسكنى جنته ، أما المنافق فإن له أهدافه التي يطمح للوصول إليها أو الحصول عليها . وهذه الأهداف تتنوع بحسب حال المنافق ووضعه بين المسلمين ، كما أنها قد تتشكل تبعا للظروف المحيطة بصاحبها .

ومما جاء في القرآن الكريم و السيرة النبوية من ذكر أعمال المنافقين يمكن تحديد ثلاثة أهداف رئيسة لهم وهي :

ـ الهدف الأول : حماية أنفسهم وأموالهم ومكانتهم .

ـ الهدف الثاني : الصد عن سبيل الله ومحاولة إيقاف الدعوة إليه .

ـ الهدف الثالث : تحقيق مصالحهم الشخصية وغاياتهم الدنيوية .

وسنتحدث عن هذه الأهداف بالتفصيل فيما يلي :

---

١ ـ انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ـ محمد الطاهر عاشور ـ الشركة التونسية ـ ١٩٧٩م ـ ص ٦٣.

٢ ـ سورة الإسراء (١٩).

الهدف الأول : حماية أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم :

إن الإسلام يعصم دماء معتنقيه وأموالهم ، والمنافقون من الكفار في باطن أمرهم فإذا أظهروا كفرهم عاملهم المؤمنون معاملة الكفار والمرتدين[1] فظهر لهم أن يكتموا كفرهم ويلتصقوا بالمسلمين ويعلنوا أنهم منهم حتى لا يصابوا في أنفسهم أو أولادهم أو في أموالهم وحتى لا يفقدوا مكانتهم في أقوامهم .

وقد يكون هذا هو الهدف الأساس لهم وهو أن يتخذوا من الدخول في الإسلام درعا واقيا لهم بل إنهم يحلفون كذبا أنهم مؤمنين حتى يقوا أنفسهم يقول الله تعالى في وصفهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ [2] " أي جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم به إنهم لمنكم وإن محمدا لرسول الله وقاية تقيهم منكم وسترة يستترون بها من القتل والأسر" [3] فأظهرت ألسنتهم الإيمان خوفا القتل ولكن لم تؤمن قلوبهم[4] ، فكأنهم " اتخذوا هذه الأيمان ترسا ووقاية يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين "[5] . وقد أخبر الله تعالى عن رغبتهم في الحياة وخوفهم من الموت فقال تعالى ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَـٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَـٰهُنَاۗ ﴾ [6] .

---

١ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٢٠.

٢ ـ سورة المجادلة جزء من الآية (١٦) ، سورة المنافقون جزء من الآية (٢) .

٣ ـ فتح القدير ٢٣٠/٥.

٤ ـ انظر المرجع السابق ١٩٢/٥.

٥ ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ـ عبد الرحمن السعدي ـ تحقيق عبد الرحمن اللويحق ـ مكتبة العبيكان ـ ط ١ ـ ١٤٢٢ـ ٢٠٠١ ص ٨٤٧.

٦ ـ سورة آل عمران (١٥٤).

وهدفهم هذا يدل على حبهم للحياة الدنيا والحرص على ملذاتهم فيها، ولهذا فهم غير مستعدين للتضحية بأي شيء في سبيل العقيدة التي يدّعونها بل يتشبثون بما لديهم خوفا من ضياعه .

إن المنافقين متعلقون بزينة الدنيا وملذاتها حتى أنهم لا يدركون أنها سبب لهلاكهم ، يقول الله تعالى في وصف مغبة تعلقهم بأموالهم وأولادهم ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[1] " أي فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فإنه لا غبطة فيها ، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضي ربهم وعصوا الله لأجلها ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ والمراد بالعذاب هنا ما ينالهم من المشقة في تحصيلها والسعي الشديد في ذلك وهمّ القلب فيها وتعب البدن ، فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم لم يكن لها نسبة إليها فهي لما ألهتهم عن الله وذكره صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا ، ومن وبالها العظيم الخطر أن قلوبهم تتعلق بها ، وإرادتهم لا تتعداها ، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ فأي عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة"[2] .

---

١ ـ سورة التوبة (٥٥)

٢ ـ تيسير الكريم المنان / ٣٤٠.

الهدف الثاني : الصد عن سبيل الله ومحاولة إيقاف الدعوة إليه :

الصد عن سبيل الله يكون بالعمل على صرف الناس عن أعمال المؤمنين ، وإشغالهم عن دعوة الخير[1] وهذا من عمل المنافقين الخائنين فهم لم يكتفوا بأن يتخاذلوا عن طاعة الله ورسوله ونصرة دينه بل كانوا يدعون غيرهم لذلك ، ولهم طرق متنوعة كالتثبيط عن فعل الخيرات ، أو الإغواء للإيقاع في المحرمات وقد ينجرف بعض المسلمين معهم في ذلك ويتبعهم ، فحذر الله تعالى عباده المؤمنين منهم يقول الله تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [2] ويقول تعالى في وصفهم أيضا ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [3] أي أنهم اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليُصدّقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم واعتقد أنهم مسلمون وربما اقتدى بهم آخرون فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على الناس[4] .

إن المنافقين بصدهم عن سبيل الله يكونون قد اتخذوا النفاق وسيلة لحرب الإسلام والمسلمين ومحاولة إيقاف الدعوة [5] ، فهم حاقدون فاسدون وقد وصفهم المولى جل وعلا بقوله ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

---

١ ـ انظر فتح القدير ٥/ ٢٣٠.

٢ ـ سورة المجادلة (١٤،١٥ ، ١٦) .

٣ ـ سورة المنافقون (١،٢) .

٤ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٧٥/٤.

٥ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٢١.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[1] فهم فاسدون في طبيعتهم ومفسدون في عملهم ، وهم مع ذلك يجحدون أنه فسادا بل ويسمونه بغير اسمه وهذا من عمى البصيرة والعياذ بالله ، وقد كانت لهم أساليب ووسائل في ذلك سيأتي ذكرها في الفصل التالي بإذن الله تعالى .

١ ـ سورة البقرة (١٠ ، ١١) .

الهدف الثالث : تحقيق مصالحهم الشخصية ورغباتهم الدنيوية :

إن أسوأ البشر هو من تسيّره مصالحه ورغباته لأنه يتغيّر ويتشكل وفق ما يخدم أهدافه التي لا يهتم إلا بها ولا يبالي كيف يكون الوصول إليها وهذا نجده دائما عند من افتقدوا العقيدة الصحيحة الثابتة لأنهم يسيرون وفق مبدأ المنفعة الشخصية .

والمنافقون في كل زمان ومكان يحملون هذا الهدف لأنهم يفتقرون إلى الإيمان الذي يحمي صاحبه من الانزلاق والوقوع في هذه الفتنة . فهم يسيرون خلف منافعهم الدنيوية ويسعون إليها ولا يُقبلون إلا على عمل يحقق لهم ذلك ولهذا وصف الله تعالى سبب تخلفهم عن الجهاد بقوله ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ [1] "والعرض ما يعرض من منافع الدنيا والمعنى غنيمة قريبة "[2] ، وقوله تعالى ﴿لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ أي جاءوا معك ولحقوا بك [3] .

ولشدة تعلقهم بالدنيا فهم يطلبونها أينما كانت ويتبعون الجهة التي تنالها وهذا ما أخبرنا الله تعالى به في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4] وهذه صورة منفّرة في وصف المنافقين وتبدأ بتقرير ما تكنّه صدورهم من الشر لأهل الإيمان ، وما يتربصون بهم من الدوائر ، وهم في كل هذا يتظاهرون المودة للمسلمين[5] ، ولهذا وصفهم الله تعالى بأنهم يتربصون أي يترقبون الأحداث ليغيروا وجهتهم نحو مصالحهم الشخصية والمنافع التي يسعون لها .

---

١ ـ سورة التوبة جزء من الآية (٤٢) .

٢ ـ فتح القدير ٣٦٣/٢ .

٣ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٦١/٢ .

٤ ـ سورة النساء جزء من الآية (١٤١) .

٥ ـ انظر في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ٧٨١/٥.

المبحث الثالث :خطر النفاق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : خطر النفاق على المجتمع المسلم .

المطلب الثاني : خطر النفاق على الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول : خطر النفاق على المجتمع المسلم

أولا : الكيد للمسلمين و زرع الفتنة بينهم :

الكيد هو المكر[١] وهذا المكر قد يكون بالقول السيئ كالهمز واللمز[٢] وفضح العورات التي سترها الله تعالى ، وقد يكون بالسعي في إثارة المشكلات والإيقاع بين الناس ، ورغبة المنافقين في الأذى تنبع من نفوسهم الحاقدة التي تستمتع بالإساءة إلى الآخرين وتشعر بالراحة إذا أضرّت بغيرها ، ولذلك نهى الرسول ﷺ عن أذى المسلمين ، قال عبدالله بن عمر[٣] رضي الله عنهما صعد رسول الله ﷺ على المنبر فنادى بصوت رفيع فقال (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ[٤] الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)[٥] .

وقد حذر الله عباده المؤمنين منهم ببيان صفة من صفاتهم وهي إثارة الأحقاد وزرع بذور الفتنة فقال تعالى ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦] " والمعنى لسعوا بينكم بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب المشتملة على الإرجاف والنمائم الموجبة لفساد ذات البين "[٧]. ومعنى قوله تعالى

---

١ ـ الصحاح ٢ / ٥٣٣ ، مادة كيد .

٢ ـ الهمز واللمز : العيب ، وأصل اللمز الإشارة بالعين ونحوها ، انظر الصحاح ٣ / ٨٩٥ ، ٩٠٢ ، ويكون الهمز بالقول واللمز بالفعل ، انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٨٧٢.

٣ ـ ابن عمر رضي الله عنه : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفيل القرشي ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهو أخ شقيق للسيدة حفصة زوج النبي ﷺ ، لم يشهد بدرا لصغره وقيل لم يشهد أحد أيضا ، كان من أهل الورع والعلم كما كان شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه ، وعُرف بأنه كثير الاتباع لآثار الرسول ﷺ ، توفي رضي الله عنه سنة ٧٣ في مكة . الاستيعاب ٣ / ٨٠ .

٤ ـ لم يُفْضِ : أي لم يصل ، تحفة الأحوذي ٦ / ١٧٢ .

٥ ـ رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في تعظيم المؤمن ـ حديث رقم ٢٠٣٢ ، وقال حسن غريب ، وقد حسنه الإمام الألباني في تعليقه لسنن الترمذي برقم الحديث نفسه .

٦ ـ سورة التوبة جزء من الآية (٤٧) .

٧ ـ فتح القدير ٣٦٦/٢ .

﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ " أي مطيعون لهم ومستجيبون لحديثهم وكلامهم يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير "[1] .

وهم حين يثيرون الفتن والخصومات بين المسلمين يُشغلون الناس بذلك ويتسببون في نشر الأحقاد والضغائن وهذه إشارة تدل على خبث طويتهم وسوء نيتهم وقد يتسببون بإشعال فتيل النزاع والخلاف بين الناس كما حدث فيما رواه أنس بن مالك[2] رضي الله عنه قال : " قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبدالله بن أبّي ، فانطلق إليه وركب حمارا وانطلق المسلمون ، وهي أرض سَبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال ، فبلغنا أنها نزلت فيهم ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾[3] "[4] .

وقد بين الله تعالى أن هؤلاء المنافقين يفرحون بما يصيب المؤمنين من المصائب والحوادث ويسوؤهم عز الإسلام وانتصار أهله حيث قال تعالى في خطابه للمؤمنين ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾[5] ، وذلك كانتصاركم على الأعداء وزيادة قوتكم وأنصاركم ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾[6] وذلك كإصابتكم في المعارك ووقوع الخلاف بينكم[7] .

---

١ ـ تفسير ابن كثير ٥٦٣/٢ .

٢ ـ أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري ، أمه هي أم سُليم والتي جاءت به للرسول ﷺ ليكون في خدمته ، وكان في حينها في العاشرة من عمره ، ويعدّ من المكثرين في رواية الحديث ، وقد دعا له النبي ﷺ أن يرزقه الله مالا وولدا ويبارك له فيهما وكان له ذلك توفي رضي الله عنه في العراق سنة ٩١ هـ وكان عمره بضع وتسعون عاما . انظر الاستيعاب ١ / ١٩٨ .

٣ ـ سورة الحجرات جزء من الآية (٧) .

٤ ـ رواه البخاري ـ كتاب الصلح ـ باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ـ حديث ٢٦٩١ ـ ص ٤٦٨ ، رواه ومسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ـ حديث ٤٦٦١ ـ ص ٦٩٦ ، واللفظ له .

٥ ـ سورة آل عمران جزء من الآية (١٢٠) .

٦ ـ سورة آل عمران جزء من الآية (١٢٠) .

٧ ـ انظر المنافقون في القرآن / ١٥٨ .

ثانيا : إفساد الأخلاق ونشر الفواحش :

إن النفاق إفساد في الأرض من الناحية الاجتماعية لأن المنافقين لا يحملون في قلوبهم الإيمان الذي يحمي صاحبه ويمنعه من الوقوع في الفواحش والجرائم والاستهانة بمكارم الأخلاق لذلك هم فاسدون ومفسدون[1] ، وقد وصفهم المولى تعالى بذلك فقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[2] .

وإفساد البشر في الأرض نوعان :

الأول : إفساد حسي مادي مثل الهدم والتخريب وما أشبه ذلك .

الثاني : إفساد معنوي ويكون بالمعاصي ، وبعض المعاصي مثل الشرك بالله ونشر الفواحش تعدّ من الفساد الكبير[3]، وهذا النوع هو الذي يقع فيه عمل المنافقين .

ولأنهم أتباع هوى وعُبّاد شهوة فقد يمتنع عليهم الوصول إلى ما يطمحون إليه من ملذاتهم وشهواتهم التي حرمها الله تعالى لوجودهم في مجتمع صالح يرفض وجود العصاة المفسدين ويقيم الحدود الشرعية عليهم . كما أن المؤمنين هذا المجتمع يرفضون الخروج عن شرائعه ويرفضون من يفعل ذلك ؛ ولهذا لم يجد أولئك المفسدون سبيلا لتحقيق ما يصبون إليه إلا بنشر المعاصي و الفواحش في المجتمع لأنهم يريدون أن يقع الآخرون فيما وقعوا فيه ويعملون مثل عملهم وبالتالي يخرجون من دائرة الرفض فتزول الموانع وتهدم الحصون ويصير المجتمع إلى حالة من الفوضى والفساد .

وقد أخبر الله تعالى عن حبهم لنشر الفواحش في المجتمع ، وعن قذفهم لأعراض المؤمنين والمؤمنات بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا

---

١ ـانظر المنافقون في القرآن /٤٤٥ .

٢ ـ سورة البقرة (١١) .

٣ ـ انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ـ محمد بن صالح العثيمين ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ط ٤ ١٤٢١ ـ ٢ /١٧٢ .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] ومعنى تَشِيعَ أي تفشو وتنتشر، والفَاحِشَةُ "هي فاحشة الزنا أو القول السيئ" [2] ، والمراد بها هنا جريمة الزنا كما يُستفاد من سياق الآيات[3].

ومن أسباب نشرهم للفواحش هو سعيهم للمال دون اعتبار لما يسببه ذلك من آثار سيئة على الفرد والمجتمع ومثال ذلك ما فعله كبير المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول إذ كان يُكره جاريتين عنده على البغاء فشكت الجاريتان ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله قوله تعالى[4] ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[5] فالدافع الأول له كان هو الرغبة في الحصول على المال[6] .

إن المنافقين لا يُصرحون بحقيقة مطالبهم في شيوع الرذيلة بل يغلفونها بكلمات عذبة وجميلة تجذب الأشخاص الذين لا يدركون أبعاد ما يُخطط له المتربصون والمفسدون ، وأكثر ما يستغلونه لتحقيق مآربهم هي المرأة المسلمة إذ يسعون للتأثير عليها وإخراجها من عفافها وحيائها ، ولهذا يحذرها الشاعر بقوله :

لا تستجيبي للدعاوى إنها كذب	وفيها للظنون مثار
إعلام هذا العصر شر ظاهر	فعلى يديه تزور الأخبار
وعلى يديه تشاع كل رذيلة	وعلى يديه تشوه الأفكار
و به تشبّ النار يوقد جمرها	و به يثار من الشكوك غبار[7]

---

١ ـ سورة النور (١٩) .
٢ ـ فتح القدير ١٤/٤ .
٣ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٣٠١ .
٤ ـ انظر لباب النقول / ١٧٣ .
٥ ـ سورة النور جزء من الآية (٣٣) .
٦ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٨٥ .
٧ ـ من قصيدة " أختاه دونك حاجز وستار " ديوان يا أمة الإسلام ـ عبد الرحمن عشماوي مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ط ٢ ـ ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢ ـ ص ٩٣ .

ثالثا : تعزيز الأنانية في المجتمع بتقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة :

إن الإنسان بطبيعته البشرية يؤثر ويتأثر بمن حوله في البيئة المحيطة به ولذلك رغب الإسلام في المبادرة لعمل الخير والتصدر للطاعة قال رسول الله ﷺ (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1] ، والمنافقون بطبيعتهم الخبيثة يمثلون الجوانب السيئة في الحياة ويبادرون بها وهذا شر لا يستهان به لأن بعضهم يُعد قدوة في مجتمعه ورأسا في أهله فتراهم يتبعون خطاه ويقتدون به .

إن سعيهم وراء المنافع الدنيوية يدفعهم حتى في الخروج للقتال مع المؤمنين قال تعالى﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾[2] ، كما أن تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله لظنهم أن المسلمين بعيدون عن النصر وعن تحصيل الغنائم ولو بدا لهم عكس ذلك لتسابقوا للخروج ، وهذا ما أخبر الله عز وجل عنه في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] فهم يتبعون منافعهم ومصالحهم الخاصة ولا يبالون إن كان في ذلك تحالفا مع الأعداء ، فكل همهم الحصول على الغنائم ولو كان ذلك على حساب مصالح المجتمع .

وهدف المنافقين في طلب المنفعة والمصلحة الخاصة يكون خطيرا إذا كان أولئك المفسدون لهم شأن كبير في المجتمع كأن يكونوا ذوي مكانة وقدر بين الناس أو أنهم في مناصب قيادية هامة ويبرز هذا الخطر في جانبين :

---

١ ـ رواه مسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ـ جزء من حديث رقم ٢٣٥١ ـ ص ٣٥٦، ٣٥٧ .

٢ ـ سورة التوبة جزء من الآية (٤٢) .

٣ ـ سورة النساء جزء من الآية (١٤١) .

الجانب الأول : أن تصرفاتهم تلك قد تترك أثرا في ضعيف الإيمان وربما اقتدى بهم وعمل بعملهم لأنه يرى أنهم يستفيدون أكثر من غيرهم .

الجانب الثاني : أنهم يحثون غيرهم على الأنانية وعلى الاهتمام بما يفيدهم لأن ذلك في نظرهم أهم وأولى ، كما يعظم هذا الخطر لو كان منهم من تتوفر فيه مؤهلات الزعامة فلا يتردد المسلمون في تقليدهم أمور الحكم لأنهم مسلمون في الظاهر وقد يتغلبون على الحكم بالقوة وحينئذ ينحرف سير الدعوة الإسلامية وتسود الفوضى في المجتمع لأنهم سيستغلون ما في أيديهم من السلطة لتحقيق منافعهم الشخصية وتنفيذ مخططاتهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين . كما أنهم سيقربون منهم ضعفاء الإيمان والمنافقين من أمثالهم ويسندون إليهم الأمور الهامة ويبعدون من يتوسمون فيه قوة الإيمان والثبات على الدين لأنه لا يسير معهم في تنفيذ مخططاتهم التي يدبرونها ضد المصلحة العامة [١] .

---

١ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

المطلب الثاني : خطر النفاق على الدعوة إلى الله تعالى:

أولا : الترصد للدعوة ومحاربتها :

إن للدعوة إلى الله أعداء يتربصون بها ويكيدون لها ولكن المنافقين أخطرهم على الإطلاق ؛ والسبب في ذلك " أن المنافق يتميز عن الكافر الذي يعلن كفره وعداوته بالخداع والتضليل وإمكان تسلله في صفوف المسلمين فيكون إيذاؤه شديدا والحذر منه قليلا ، بخلاف الكافر الذي لا يحصل فيه الاشتباه ولا يمكن أن يخدع المسلمين بحقيقته الظاهرة " [١] ، والمنافقون في حقيقتهم يعيشون دون انتماء يخلصون له وهم وإن كانوا من بني جلدتنا ويتحدثون بلغتنا ويعيشون بيننا لكنهم لا ينتمون لديننا ولا لعقيدتنا ؛ والسبب في ذلك هو أن الولاء الذي يدين به المسلم لربه عز وجل لم يتأصل في نفوسهم ولم يدخل في قلوبهم لذلك هم لا يشعرون بالانتماء للأمة بل هم كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٢]، ودائما ما يسعى المنافقون إلى محاربة الدعوة إلى الله ومن ذلك موالاتهم لأعداء الله وتعاونهم معهم ضد المسلمين ووعدهم إياهم بالنصر .

ومن طرقهم الخبيثة في الترصد بالدعوة ومحاربتها محاولة إضعاف الانتماء العقدي عند المسلمين فهم لا يترددون في انتهاز الفرص واتخاذ الحيل التي تُضعف هذا الانتماء كحيلتهم الخبيثة في نشر العصبية القبلية أو القومية أو العرقية أو الإقليمية التي يسعون لأن تكون بديلا للانتماء العقدي الذي يميّز المسلم .

ولهم طرق أخرى يحاربون بها الدعوة إلى الله مثل محاولاتهم صرف الناس عن دينهم وعبادتهم وإشغالهم بأمور الدنيا ، فهم يعلمون أن حب الدنيا إذ تملك بقلب العبد صرفه عن دينه وعبادته .

١ـ انظر أصول الدعوة ـ عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٧ ـ ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ ـ ص ٣٩٧ .

٢ ـ سورة المجادلة (١٩) .

إن كل قول أو عمل يأتي به المنافقون فإنهم يسعون من ورائه إلى محاربة دين الله والترصد بالدعوة إلى الله والإضرار بها ، وهم مع شدة عداوتهم لدين الله ومحاربتهم له إلا أنهم في أغلب الأحوال يبتعدون عن المواجهة المباشرة لأنهم يدركون أنهم أضعف من ذلك بل هم في حقيقتهم عاجزون عنها لأنهم لا يملكون المقومات التي تحثهم وتحفزهم عليها ، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله تعالى﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[1] .

١ ـ سورة الحشر (١٣) .

ثانيا : معاداة القائمين على الدعوة ومهاجمتهم :

وهذه العداوة سببها ما تمتلئ به قلوبهم من البغض والحسد لأهل الإيمان فيكرهونهم ويعادونهم ، ولقد كانت عداوتهم لرسول الله ﷺ عداوة عظيمة وكان زعيمهم في ذلك عبدالله بن أبّي بن سلول وسبب عداوته للرسول ﷺ ما ذكر عن ابن أبيّ من أنه كان له شأن في المدينة وكان سيد أهلها ولا يختلف عليه في شرفه اثنان ، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله على رجل من أحد الفريقين غيره حتى جاء الإسلام وكان قومه قد نظموا الخرز ليتوّجوه ثم يملكوه عليهم فجاء الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِنَ[1] ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكا[2] ولذلك كان يعادي رسول الله ﷺ ويؤذيه .

ومن عداوتهم لدعاة دين الله أنهم كانوا يسخرون ويتهكمون ويؤذون الرسول ﷺ قال تعالى﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ ﴾ ثم أخبر تعالى عن عقوبتهم على ذلك ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3] ، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدثت عن أسلوب السخرية والاستهزاء الذي كان يستخدمه المنافقون في إيذاء الرسول ﷺ وفي إيذاء المؤمنين .

وفي حادثة الإفك وقصة الإفتراء على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها كان للمنافقين دورا كبيرا في التكلم بتلك الفرية العظيمة وفي نشرها ، وقد أخبر الله تعالى بذلك في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ

---

١ ـ ضغن : الضّغن : هو احقد والعداوة والبغضاء ، النهاية ٣ / ٧٧ مادة ضغن .

٢ ـ انظر السيرة النبوية ـ ابن هشام ٢: ٣٢٢،٣٢٣ .

٣ ـ سورة التوبة (٦١) .

ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] ومعنى ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ أي ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه وأكثر المفسرين على أنه عبدالله بن أُبيّ [2]، وقصد ابن أبيّ من إشاعة الإفك هو الإساءة إلى النبي ﷺ وإلى دعوته وهذا لا يمكن أن يكون من أحد المؤمنين وإنما كان ذلك منهم نتيجة التسرع والانخداع بما قاله المنافقون[3] .

ولقد كانت محاولتهم لقتل الرسول ﷺ وهو في طريق عودته من غزوة تبوك [4] دليلا على العداوة التي يخفونها في قلوبهم ولكن المولى جل وعلا أطلعه على مُرادهم وأرعبهم وأخزاهم ، كما كان أذاهم لأولياء الله أذى عظيما ولهذا فهم يدخلون في الوعيد الذي توعد الله به كل من آذى مؤمنا قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [5] .

وما زال هذا حال المنافقين إلى اليوم فإنهم إذا لم يجدوا وسيلة للطعن في ملة الإسلام طعنوا في دعاته بوصفهم بأوصاف مقصودها تنفير الناس منهم حتى يتسنى لهم تنفير الناس من الدين ذاته [6] ، ولذلك هم يفرحون دائما بزلات العلماء وأخطاء الصالحين وينشرونها بل أنهم لا يتورعون عن الكذب وتلبيس الحق بالباطل قاتلهم الله .

---

١ ـ سورة النور (١١) .

٢ ـ تفسير ابن كثير ٤٣٦/٣ .

٣ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٢٩٠ .

٤ ـ تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٩ ، ورواه البيهقي ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ أبو بكر أحمد البيهقي ـ تحقيق عبد المعطي قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ ـ ج ٥ ص ٢٥٦ .

٥ ـ سورة الأحزاب (٥٨) .

٦ ـ انظر الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن ـ محمد مصطفى السيد ـ كتاب المنتدى الإسلامي ـ ط ١ ـ ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢ ـ ج ١ ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

ثالثا : إضعاف الحماسة لدين الله ونشر الوهن بين المسلمين.

وهذا عمل الخائنين الذين يحطمون العزائم ويزرعون الوهن والضعف في نفوس المؤمنين خاصة في أوقات الهزائم والنكبات لأنهم يكيدون للدعوة وأهلها ويفرحون عند وقوع المصائب حتى ينفثوا سمومهم وآفاتهم ، ومثال ذلك ما حدث في غزوة أحد إذ كان المنافقون ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الأرض طاعة لله عز وجل وطاعة لرسوله ﷺ [1] فحذر الله تعالى منهم في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [2].

ثم ما حدث من تمرد عبدالله بن أبيّ حين انسحب بثلث الجيش ولم يكن سبب هذا الانعزال هو ما أبداه هذا المنافق من رفض رسول الله ﷺ لرأيه وإلا لم يكن سار مع الجيش من البداية بل كان هدفه أن يُحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ وتنهار معنويات من بقي معه ،بينما يتشجع العدو وتعلو همته لرؤية هذا المنظر فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه ويرجع ابن أبيّ لرياسته . وكاد المنافق أن ينجح في ذلك فقد همت طائفتان أن تفشلا ولكن الله تعالى تولاهما وثبتهما [3] ، قال تعالى ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [4] .

---

١ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤٨٢/٣ .

٢ ـ سورة آل عمران (١٥٦) .

٣ ـ انظر الرحيق المختوم /١٧٧، ١٧٨ .

٤ ـ سورة آل عمران (١٢٢) .

وبعد انتهاء الغزوة انتهز الكفار والمنافقون واليهود في المدينة ما أصاب المسلمين من الهزيمة والقتل والقرح ليثبطوا عزائمهم ويخوفوهم عاقبة السير مع محمد ﷺ ويصوروا لهم مخاوف القتال وعواقب الاشتباك مع مشركي قريش وحلفائهم ، وجو الهزيمة هو أصلح الأجواء لبلبلة القلوب وخلخلة الصفوف وإشاعة عدم الثقة في القيادة والتشكيك في عدم الإصرار في المعركة مع الأقوياء وتزيين الانسحاب ومسالمة المنتصرين فيها مع إثارة المواجع الشخصية والآلام الفردية وتحويلها كلها لهدم كيان الجماعة ثم لهدم كيان العقيدة ثم للاستسلام للأقوياء الغالبين [١]، ولهذا كانت غزوة أحد درسًا مهمًا يدعو للحذر من المنافقين وأخذ الحيطة منهم خاصة في أوقات الشدائد والأزمات لئلا يجدون مدخلا لهم .

---

١ ـ انظر في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط ٣ ـ ج ١٠٠/٣ .

الفصل الثاني : أساليب المنافقين ووسائلهم في الصد عن الدعوة إلى الله تعالى وفيه مبحثان :

المبحث الأول :أساليب المنافقين القولية والعملية .

المبحث الثاني :وسائل المنافقين القولية والعملية .

المبحث الأول : أساليب المنافقين القولية والعملية .

وتحته مطالب هي :

المطلب الأول : معنى الأسلوب .

المطلب الثاني : الأساليب القولية .

المطلب الثالث : الأساليب العملية .

المطلب الأول : معنى الأسلوب .

أولا : معنى الأسلوب في اللغة :

الأسلوب أصله من سَلَب ، وسلبه الشيء يسلُبه سلبا وسلبا .

والأسلوب هو الطريق[1] ، كما يطلق على الوجه والمذهب ، وكل طريق ممتد يطلق عليه أسلوب ، وكذلك يسمى السطر من النخيل بالأسلوب [2] .

يقال سلكت أسلوب فلان في كذا أي طريقته ومذهبه والجمع أساليب[3] .

ويقال أخذ في أساليب القول أي أفانين منه [4] . فالأساليب هي الفنون المختلفة [5] .

مما سبق من المعاني يمكن القول أن الأسلوب في اللغة يطلق على الطريقة المُتّبعة والمتميّزة في أمر ما .

---

١ ـ انظر القاموس المحيط ١/ ٢٢٥ ، المعجم الوسيط ٤٤١/١ ، لسان العرب ٤٥٦/١ مادة سلب .

٢ ـ انظر لسان العرب ٤٥٦/١

٣ ـ انظر المعجم الوسيط ٤٤١/١ .

٤ ـ انظر لسان العرب ٤٥٦/١ .

٥ ـ انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن / ٢٤٤ .

ثانيا : الأسلوب في الاصطلاح :

لقد اختلفت المعاني الاصطلاحية للأسلوب وهو اختلاف تنوع في اللفظ لا اختلاف تضاد[١] . وهذا الاختلاف يكون بحسب الفن أو العلم المضاف إليه فهناك الأسلوب الأدبي ، والأسلوب البلاغي ، والأسلوب القرآني ، والأسلوب الدعوي وكل مصطلح منها يحمل معنىً خاصًا به ولكنه يدور حول المعنى السابق وهو الطريقة المُتّبعة والمتميّزة في أمر ما.

ويرى بعض العلماء أن الأسلوب في الاصطلاح هو :

ـ الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه .

ـ أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

ـ أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم[٢] .

وهذه المعاني جميعها حصرت معنى الأسلوب في الكلام فقط ، وأغفلت الجانب العملي منه ، وبعد التدقيق يمكن القول أن الأسلوب هو الطريقة المتّبعة المتميّزة في أمر ما سواء كانت هذه الطريقة قولا أو عملا .

وبناء على ذلك فإن معنى أسلوب المنافقين هو:

الطرق القولية والعملية التي اتّبعها المنافقون واختصوا بها في تعاملهم مع النبي ﷺ والمسلمين في عهده ، وما زال يعمل بها المنافقون في كل زمان و مكان وقد يطرأ عليها بعض التغيير تبعا لما يخدم أهدافهم .

---

١ ـانظر أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ـ حمد ناصر العمار ـ دار اشبيليا ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤١٦ ـ ١٩٩٦ ـ ص ٢٨ .

٢ ـ انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد الزرقاني ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩١ ـ ٢/ ١٩٩ .

المطلب الثاني : الأساليب القولية عند المنافقين

أولا : أسلوب السخرية والاستهزاء :

السخرية من سَخَرَ ، سخر منه وسخر به أي هزئ منه أو به[1] ، فالسُّخرية أو السُّخريّة تطلقان على الهزء[2] .

والاستهزاء من هَزَأَ " هزأ منه وهزأ به أي سخر منه أو به "[3] .

فهاتان الكلمتان مترادفتان في المعنى وتؤديان نفس الغرض ، وقد وردت كلتاهما في القرآن في وصف المنافقين .

وهذا الأسلوب الذي استخدمه المنافقون يحمل في ثناياه كل الصفات السيئة كالحقد والحسد والبغض والأنانية ، وجميعها تدل على عمق الخبث في نفوسهم وعلى سوء نيتهم . وقد أخبر الله تعالى عن قباحة فعلهم وعظيم جرأتهم فقال تعالى﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[4] ، والمعنى "ساخرون بالمؤمنين نظهر لهم أنّا مسلمون لنخادعهم "[5] . وكان الرد عليهم بقوله تعالى﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[6] .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الصالحين عن مجالسة المستهزئين والساخرين بآيات الله تعالى من الكفار والمنافقين ، قال تعالى ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ

---

١ ـ انظر لسان العرب ٦ /١٦ ،القاموس المحيط ٢/ ٦٦ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن /٢٣٢ ، المعجم الوسيط ١/ ٤٢١، مادة سخر .

٢ ـ المعجم الوسيط ٤٢١/١ .

٣ ـ اللسان ١٧٨/١ ، القاموس ١ / ١٥٠ ، المفردات / ٥٤٠ ، المعجم الوسيط ٢/ ٩٨٣،٩٨٤ مادة هزأ .

٤ ـ سورة البقرة (١٤) .

٥ ـ تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة وسورة البقرة) ـ محمد بن صالح العثيمين دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ١/ ٥٤ .

٦ ـ سورة البقرة (١٥) .

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1] " أي أنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يُكفر فيه بآيات الله ويُستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه"[2] .

والمنافقون لم يكتفوا بمخالفة الأمر بالصدقة بل إنهم آذوا المؤمنين الذين يبذلون ما يجدون في سبيل الله ، فلم يسلم منهم أهل الطاعة . ومن ذلك ما أخبر الله عنه في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] ومعنى الآية أن المنافقين كانوا يعيبون فقراء المؤمنين الذين كانوا يتصدقون بما فَضُل عن كفايتهم ويستهزئون بهم لحقارة ما يخرجونه في الصدقة مع كون ذلك جهد المقل وغاية ما يقدر عليه ويتمكن منه[4] . فسخريتهم بالمتصدقين اقترنت مع بخلهم وامتناعهم عن الصدقة وهذا يدل على عظيم فسادهم وإفسادهم .

ومن عادتهم إذ افتضح أمرهم وكُشف خزيهم أن يبحثوا عن الأعذار كما في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[5].

وأسلوب السخرية والاستهزاء يستخدمه الخبثاء في عصرنا كثيرا جدا فهم يسخرون من الدين وأهله ، بل هم يتجرؤون على الله تعالى و يتحدثون عن الذات الإلهية بطريقة ساخرة ويستهزئون بآيات الله ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ

---

١ ـ سورة النساء (١٤٠) .
٢ ـ تفسير ابن كثير ١/٥٤٤ .
٣ ـ سورة التوبة (٧٩) .
٤ ـ انظر فتح القدير ٢/ ٣٨٥ .
٥ ـ سورة التوبة (٦٥) .

وأحيانا تجدهم يسخرون من بعض الواجبات الشرعية كالحجاب مثلا . وقد يخوضون في القَدَر وينسبون له كل سوء يمر بهم ، أو يصفونه بالظلم والمكر والسخرية .

وهذا الأسلوب يخرجونه في قوالب متعددة مثل الكتابة والتأليف أو في المسلسلات والأفلام ، بل تجده حتى في الطُرفة التي يتحدث بها الناس ويتناقلونها ويضحكون منها وهم لا يُدركون خطرها وحقيقة مصدرها ، لكن مهما أضمرت النفوس الماكرة من خبث ومكر فقد توعد الله عز وجل بإخراج ما تحذر من خروجه قال تعالى﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[1] لأن ما يخفونه في داخلهم تبديه كلماتهم وهمساتهم وتصرفاتهم .

١ ـ سورة التوبة (٦٤) .

ثانيا : أسلوب الذم والتحقير(التصغير) :

الذم نقيض المدح ، يقال ذممته وأذمّه ذما فهو مذموم وذميم [١] ، "وذامه أي عابه "[٢].

والذم لا يخلو من أن يكون أحد أمرين :

الأول : أن يكون حقًا بذكر عيب أو فعل قبيح وقع من الشخص المذموم .

الثاني : أن يكون باطلا وذلك بمحاولة إلصاق العيوب بالمذموم ، وهذا ما كان يفعله المنافقون ومازالوا مستمرين عليه إذ يؤذون المؤمنين ويستصغرونهم ويتحاقرونهم ويذمونهم وينتقصون منهم وهذا من عمى البصيرة وغلبة الهوى والعياذ بالله .

والتحقير هو التصغير، يقال حَقَرَ الشيء إذا استهان به واستصغره[٣]، وقد حدث هذا من المنافقين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[٤] ، وهذه الآية نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول إذ كان مع الرسول ﷺ في سفر فقال مقولته تلك[٥] وذلك عندما وردت واردة الناس على ماء فازدحم رجلان أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين فصرخ الأول : يا معشر الأنصار ، وصرخ الثاني : يا معشر المهاجرين فغضب عبدالله بن أبيّ وقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما عدنا وجلابيب[٦] قريش إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم

---

١ ـ انظر لسان العرب ١١٠/١٥ ، معجم مفردات ألفاظ القرآن / ١٨٣ مادة ذم .

٢ ـ المعجم الوسيط ٣١٨/١ ، مادة ذم

٣ ـ انظر المرجع السابق ١ /١٨٧ ، مادة حقر .

٤ ـ سورة المنافقون جزء من الآية (٨) .

٥ ـ رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ...﴾ ـ حديث رقم ٤٩٠٧ ـ ص ٨٩٦ ، ورواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ حديث رقم ٧٠٢٤ ـ ص ١٠٤٣ .

٦ ـ جلابيب قريش : الجلابيب جمع جلباب وهو الإزار والرداء ، وقيل المِلحَفة ، انظر النهاية ١ / ٢٥٩ ، مادة جلب . وهذا الاسم اطلقه كفار قريش على من أسلم من المهاجرين ، انظر السيرة النبوية ٣ / ٥٩٤ الحاشية .

وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم[1] ، وتوقف المؤمنون الصادقون عند هذه المقولة ولم يقبلوا بها بل دفعوها ورفضوها فانقلبت على قائلها، وحاق المكر السيئ بأهله ، فقد قال أسيد بن حضير[2] ﷺ للرسول ﷺ حينما أخبره ﷺ بها فقال " فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز"[3] .

وأما عبدالله بن عبدالله بن أبي[4] ﷺ وهو الابن المؤمن الصالح ، فقد كان له موقف رائع إذ وقف على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء عبد الله بن أبيّ قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ شكا له ابن أبيّ ما فعله ابنه . فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله فقال: أما إذا أذن لك رسول الله فجز الآن ، كما أنه أستأذن النبي ﷺ إن كان سيأمر بقتل أبيه المنافق فإنه سيفعل ذلك[5] .

إن أهل الغيّ والباطل لا يكلّون في إيذاء المؤمنين ولا يملّون من البحث عن معايب ونقائص يلصقونها بهم ويفترون بها عليهم ، فيذمونهم بما ليس فيهم ، أوينتقصونهم بوصف صحيح لكنهم يحمّلونه معنى معاكسا لحقيقته ، ومن ذلك وصفهم للنبي ﷺ بأنه أذن وقولهم هذا كان ذما وانتقاصا على غير الحقيقة ، وقد رد الله تعالى قولهم وبيّن أذاهم ثم ذكر عز وجل معنىً مغايرا لما وصفوا به النبي ﷺ وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ

---

١ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥ .

٢ ـ أسيد بن حضير : هو أسيد بن الحضير الأنصاري الأوسي الأشهلي ، أسلم على يد مصعب بن عمير وكان ممن شهد العقبة الثانية وهو أحد النقباء فيها ، كان ﷺ من عقلاء الأشراف وذوي الرأي وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، شهد أحد وما بعدها ، توفي سنة ٢٠ هـ ودفن بالبقيع ، انظر الاستيعاب ١ / ١٨٥ .

٣ ـ السيرة النبوية لابن هشام ٥٩٤/٣، ٥٩٥ .

٤ ـ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول : الأنصاري الخزرجي كان اسمه الحُباب وغيّره النبي ﷺ إلى عبد الله وكان من فضلاء الصحابة وأخيارهم شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ واستشهد في يوم اليمامة سنة ١٢ هـ وقد روت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها ، انظر الاستيعاب ٣ / ٧١ .

٥ ـ انظر تفسير ابن كثير ٤ /٥٨٢ ، السيرة النبوية ٣ /٥٩٤، ٥٩٥ .

﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] فهم كانوا يقولون للنبي ﷺ على وجه الطعن والذم هو أذن لأنهم نسبوه إلى أنه يصدّق كل ما يقال له ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغترارا منهم بحلمه ﷺ وصفحه عن جناياتهم كرما وحلما وتغاضيا ، ثم أجاب الله عن قولهم هذا فقال تعالى﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾ والمعنى أنه يسمع الخير ولا يسمع الشر ، وقد يجعلون الذم فيما محله المدح وهذا من عمى بصيرتهم والعياذ بالله .

---

١ ـ سورة التوبة (٦١) .

ثالثا : أسلوب الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف :

المنكر ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه[1] ، المعروف هو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع من المحسَّنات ونهى عنه من المقبحات ، وهو من الصفات الغالبة ، فالأمر المعروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه[2] .

والمنافقون لهم طريقة مغايرة في النظر للأمور يقول الله تعالى في وصف ذلك ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] فهذه الآية فيها يذكر الله تعالى حال المنافقين ذكورا وإناثا ويبيّن سبحانه وتعالى انعكاس المفاهيم لديهم إذ انقلبت الحقائق في نفوسهم وتشكلت في غير شكلها الصحيح فغدا المعروف منكرا والمنكر معروفا ،وهم بذلك يتجاوزون الحد في بلادة الطبع والقلب والعقل فيتحول المعروف عندهم إلى منكر ينهون عنه ، ويصبح المنكر معروفا يأمرون به ، فما كان من خلائق الإيمان التي رضيها الله لعباده يرفضونه ، وما كان من نقائص الأخلاق التي كرهها الله لعباده فهم يقبلونه ، وفي سبيل هذا القبول وذلك الرفض تجنّد قوة اللسان والبدن[4] .

والتعرض لذكر حال الإناث مع الذكور هو للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق وقوله تعالى ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ أي متشابهون في حالهم من النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد بالشخص[5] .

---

١ ـ لسان العرب ٩٢/٧ مادة (نكر) .

٢ ـ لسان العرب ١٤٤/١١ مادة (عرف) .

٣ ـ سورة التوبة (٦٧) .

٤ ـ انظر صفة النفاق وذم المنافقين / المقدمة ص ١٠.

٥ ـ انظر تفسير أبي السعود ٢/ ٥٧٣ .

كما أن قوله تعالى ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ فيه إشارة إلى أن هؤلاء المنافقين هم على خلاف صفات المؤمنين لأن المؤمنين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [1] .

ومن الأمثلة على أسلوبهم هذا قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [2] فقولهم ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي إلى بيوتكم ومنازلكم ، وكذلك قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [3] فقولهم ﴿ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار [4] ، ففي هذا الوقت العصيب كان المشركون يحاصرون المدينة والمؤمنون متكاتفون حول رسول الله وهذا الموقف يستدعي الأمر بالصبر ورفع المعنويات عند المجاهدين ولكن المنافقين يقومون بعكس ذلك ويدعون المجاهدين إلى ترك المرابطة في سبيل الله والرجوع إلى بيوتهم ، ومما ذكره الله عز وجل في نهيهم عن فعل المعروف ودعوتهم لترك عمل الخيرات قوله تعالى ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [5] ، فزعيمهم عبد الله بن أبيّ ينهاهم عن النفقة [6]، وحقيقة الأمر أن أن نفقتهم لا تؤثر ولا يُرجى خيرها ، كما أن الله تعالى غنيٌ عنهم وعن نفقتهم ولكن موقفهم هذا يظهر حقيقتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

---

١ - انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٣ .

٢ - سورة الأحزاب جزء من الآية (١٣) .

٣ - سورة الأحزاب (١٨) .

٤ - انظر تفسير ابن كثير ٣ /٧٥٤، ٧٥٥ .

٥ - سورة المنافقون (٧) .

٦ - انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٩ .

رابعا : أسلوب الإرجاف و التشكيك وإثارة الشبهات :

الإرجاف أصله من الرجف وهو الحركة والاضطراب وأرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذِكر الفتن[1] ، وهذا الأسلوب يلجأ له المنافقون إذا عدموا الحيلة في أن يطيعهم المؤمنون ، فيقومون برمي الشكوك ورصد الشبهات وإثارتها وهم يأملون أن تُؤثر في المؤمنين فيدخل الشك في قلوبهم ، قال تعالى﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] أي أن ما وُعِدنا به من النصر ما هو إلا غرورا وباطلا[3] ، وذلك أنهم لما كانوا يحفرون الخندق قال بعض المنافقين" كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط "[4]، وهذا القول خرج منهم لأنهم لم يحملوا هذه العقيدة في قلوبهم ، ولو أنهم أنهم كانوا من أهل الإيمان لصبروا وصمدوا مثل غيرهم . كما أنهم بكلامهم ذلك كانوا يثيرون الفوضى ويكثرون من التساؤلات بين أفراد الجيش ولكنّ الله أحبط مخططاتهم فنصر جنده وهزم الأحزاب وحده سبحانه .

والمنافقون يحبون إثارة الشك في نفوس المؤمنين الصادقين و من ذلك ما حدث في غزوة تبوك حينما خلف الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه ، فأخذ علي ﷺ سلاحه ثم خرج حتى أتى الرسول ﷺ فقال له : يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني ، فقال ﷺ (كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة

---

١ ـ انظر لسان العرب ١٢/١١ مادة رجف .

٢ ـ سورة الأحزاب (١٢) .

٣ ـ انظر أيسر التفاسير ٢٤٩/٤ .

٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ٢٨٢/٢ .

هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي) ، فرجع علي ﷺ إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ إلى سفره[1] .

وحين مر الجيش على الحِجر واستقى الناس من بئرها فنهاهم النبي ﷺ عن الشرب والأكل و الوضوء من تلك البئر ، فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله تعالى فأرسل الله عز وجل سحابة أمطرت ، فأقبل الناس على أحد المنافقين وقالوا له : ويحك ، هل بعد هذا من شيء فقال : سحابة مارة[2] ، وكذلك حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ فقال بعض المنافقين أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فعلم النبي ﷺ بما قاله المنافق وأخبر من كان معه بهذه المقالة وقال ﷺ (وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني عليها) ثم أخبر عن مكان الناقة [3] .

إن المنافقين لا يعترفون بأخطائهم ولا يتراجعون عنها كما أنهم لا يتعظون بما مر بهم من الأحداث بل يصرّون على ما هم عليه من الغيّ والضلال ومرد ذلك إلى ما أخبرنا الله تعالى عنه بقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [4] .

---

١ ـ انظر السيرة النبوية ٤ / ٧٤٣ ، ورواه مسلم دون ذكر للمنافقين في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي ﷺ ـ حديث ٦٢١٧ ، ٦٢١٨ ، ٦٢١٩ ، ٦٢٢٠ ، ٦٢٢١ ـ ص ٩١٣ ، ٩١٤ .

٢ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٧٤٥/٤.

٣ ـ انظر المرجع السابق ٧٤٥/٤.

٤ ـ سورة المنافقون (٣) .

المطلب الثالث: الأساليب العملية عند المنافقين

أولا : أسلوب التآمر :

التآمر هو التشاور في إحداث الأذى بالغير[1] ، وهذا الأسلوب هو حيلة الضعفاء الذين لا يقدرون على المواجهة فيعملون في الخفاء ويحيكون خيوط المؤامرات فإن أثمرت فقد نالوا ما يتمنون ، وإن باءت بالفشل فلا يخشون أن يلحقهم ضرر لأن أمرهم لم ينكشف ، وقد كان الله سبحانه وتعالى يطلع رسوله الكريم ﷺ على ما يقوم به أولئك الخبثاء ، وينزل من القرآن ما يرد كيدهم في نحرهم .

إن المؤامرات عند المنافقين تكون على ثلاث أصعدة :

الأول : مؤامرات تدور بين المنافقين فيما بينهم ، ومثاله ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2] ، فالمنافقون قاموا ببناء مسجد لهم سماه الله سبحانه وتعالى مسجد الضرار وسبب بنيانهم لهذا المسجد كما أخبر الله تعالى﴿ ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ أي يريدون به إيقاع الضرر للمؤمنين ووقوع المشاقة بينهم ، وقد أعدوه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله ﷺ ، وحتى يكون حصنا عند الاحتياج إليه[3] ، فهم كانوا يرغبون في التجمع في مكان يخصهم دون أن يثيروا الشك والريبة فجعلوا المسجد غطاء لهم يتسترون تحته هو لأنهم يستطيعون الحضور والجلوس دون أن يفطن أحد إلى أنهم يحيكون المؤامرات وينسجون الدسائس ،ولكن كشف الله تعالى سرهم وأبطل مكرهم .

---

١ ـ المعجم الوسيط ١ / ٢٦ ، مادة أمر .

٢ ـ سورة التوبة (١٠٧) .

٣ ـ انظر تيسير الكريم المنان / ٣٥١ .

الثاني : مؤامرات تدور بين المنافقين وإخوانهم الكفار الذين يعيشون داخل المجتمع المسلم ويقيمون فيه وبجواره ، إذ يتآمرون في الخفاء فيما بينهم على الغدر بالمؤمنين ويتعاهدون على نصرة بعضهم البعض ، وقد حدث هذا التآمر بين المنافقين ويهود بني النّضير بعد غزوة أحد ، حينما غدر اليهود وخانوا العهد مع المسلمين وحاولوا قتل النبي ﷺ ، فجهز ﷺ لحربهم وسار إليهم ، فأرسل عبدالله بن أبيّ بن سلول ومعه آخرون من المنافقين إلى بني النضير " أن أثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم"[1] ، لكن الله عز وجل كشف خداع أولئك المنافقين ، وفضح تآمرهم على المسلمين وبيّن كذبهم في وعدهم لليهود ، ونزل ذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2] .

الثالث : مؤامرات تدور بين المنافقين والكفار الذين يكونون خارج المجتمع المسلم ، ومثال ذلك أن أبا عامر الفاسق أرسل إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق يعدهم ويمنيّهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يأتي من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذ قدم عليهم بعد

---

١ ـ السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٥٣١ .

٢ ـ سورة الحشر ١١ ،١٢ .

ذلك[1] فقاموا ببناء مسجد الضرار قال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾[2] .

إن المنافقين في كل زمان ومكان يقتفون أثر سلفهم ويتبعون خطاهم ويكيدون للمؤمنين وهم يظنون أن أمرهم لن يكشف لأن الوحي قد انقطع بوفاة الرسول ﷺ لكنهم لا يدركون أن الله سبحانه قد أعطى المؤمنين الصادقين نورا يعرفون به عدوهم الداخلي الموجود في مجتمعهم ، قال تعالى﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[4] فهذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات التي تحدثت عن المنافقين تجعل المؤمن في حذر وحيطة من أعدائه الذين يتربصون به .

---

١ ـ تفسير ابن كثير ٢ /٦٠٣.

٢ ـ سورة التوبة (١٠٧) .

٣ ـ سورة محمد (٣٠) .

٤ ـ سورة المنافقون (٤) .

ثانيا : أسلوب التراجع والانسحاب :

وهذا ليس غريبا عليهم لأنهم جبناء لا يملكون من الثبات ما يؤهلهم للوقوف في وجه المصائب والمحن ، ولذلك يتملكهم الروع والخوف فلا يجدون مخرجا إلا بالانسحاب والتراجع ويسارعون بالهرب للنجاة بأرواحهم .

وفي غزوة أحد حين انسحب عبدالله بن أبي بثلث الجيش قال معللا ذلك : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا ؟ [1] ، فنرى أنه عرض حجتين يتعذر بهما لما فعله :

الأولى : أن النبي ﷺ ترك رأيه ولم يأخذ بقوله في عدم الخروج لملاقاة المشركين .

والثانية : أنه لا يدري علام القتال والقتل .

ولكن كما يقال عذر أقبح من ذنب ، فما فعله في ميدان المعركة أمر مخزي، وما قاله أكثر خزيا .

وإذا كان انسحابهم في غزوة أحد من الميدان فإن انسحابهم في غزوة الخندق كان والمعركة في داخل المدينة ، فكيف ينسحبون بدل الدفاع عن مدينتهم ، وفي هذه المرة انتحلوا عذرا واهيا زاعمين أن بيوتهم عورة مكشوفة ومعرضة للخطر وعليهم أن يتولوا حراستها والدفاع عنها ، علما أن الخطر لم يكن كامنا في بيوتهم بل على الجبهة التي وقف أمامها المسلمون [2] .

والملاحظ أن أسلوبهم في التراجع عن المواجهة والانسحاب عند الشدائد لا يكون مع المسلمين فقط بل إنه يصل إلى حلفائهم أيضا فقد أرسلوا لبني النضير وعدهم بالنصرة ولكن الله تعالى كذّبهم في قوله تعالى﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا

١ ـ انظر السيرة النبوية ٤٤٨/٣ .

٢ ـ انظر مباحث في إعجاز القرآن /٢٧١ .

يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[1] فهـذا الوصـف الإلهـي يعطـي صورة حقيقية عن ما تكنه نفوسهم من الجُبن والخور فهم لـن يخرجوا مـع اليهود ، وإن خرجوا فلن ينصروهم ، وإن نصروهم فسيولون الأدبار فرارا ، وفـي كل تلـك الحـالات هم منسحبين هاربين لن ينفعوا يهودهم أو يعينوهم .

والمنـافقون لجبـنهم يريـدون أن يتخـذوا موقفـا وسـطا - بظـنهم - بـين المؤمنين والكـافرين ، وهـم كمـا وصـفهم الله عـز وجـل فـي قولـه تعـالى ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[2] وهذا موقف المنـافقين يرتكـز علـى ركيـزة كبـرى وهـي أنـهم لا يملكـون مـن القـوة مـا يواجهـون بـه الأحـداث ، ولا يملكـون مـن الشـجاعة مـا يجعلهـم يعتقدون عقيدة الحق ويتحملون ما يصيبهم في سبيلها من مشاق[3] .

---

١ ـ سورة الحشر (١٢) .

٢ ـ سورة النساء (١٤١) .

٣ ـ انظر أسباب النفاق وأساليب المنافقين في ضوء سورة التوبة ـ محمد السريع ـ ط ١ ـ ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ . ص٣٨ .

ثالثا : أسلوب الخداع والتضليل :

وقمة خداعهم تظاهرهم بالإيمان لذلك قال الله تعالى في وصفهم بهذا الأسلوب ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [1] أي أنهم بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله جل وعلا بذلك ، وأن خداعهم سيكون ذا نفع عنده وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين ، ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم وقيل أن قوله تعالى﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي إعلاما منه سبحانه لعباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم ربهم عليها بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عمى أمرهم مقيمين[2] .

وفي الآية فوائد منها التحفظ من المنافقين لأنه إذا قيل لك : فلان يخدع ، فإنك تزداد تحفظا منه ، وينبغي للمؤمن أن يكون يقظا حذرا .

ومنها أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله ، فهم يخادعون الله ويظنون أنهم قد نجحوا أو غلبوا ولكن في الحقيقة أن الخداع عائد عليهم ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ فالحصر هنا يدل على أن خداعهم هذا لا يضر الله تعالى شيئا ، ولا رسوله ولا المؤمنين .

ومنها أن العمل السيئ قد يُعمي البصيرة فلا يشعر الإنسان بالأمور الظاهرة لقوله تعالى﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي ما يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم ، والشعور أخص من العلم فهو العلم بأمور دقيقة خفية ولهذا قيل : أنه مأخوذ من الشَّعر ، والشَّعر دقيق ، فهولاء الذين يخادعون الله تعالى والرسول ﷺ والمؤمنين لو أنهم تأملوا حق التأمل لعرفوا أنهم

---

١ ـ سورة البقرة (٩) .

٢ ـانظر تفسير ابن كثير ٥٠/١ .

يخدعون أنفسهم ولكن لا شعور عندهم في ذلك لأن الله تعالى قد أعمى بصائرهم والعياذ بالله فلا يشعرون بهذا الأمر[1] .

وقال تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾[2] فالله تعالى يخبر عنهم وعن طريقتهم في مخادعة الله سبحانه ، والحال أن الله تعالى هو الذي يخادعهم إذ أن وجود هذه الحالة منهم ومشيهم عليها خداع لأنفسهم . وأي خداع أعظم ممن يسعى سعيا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان . ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه حيث جمع بين معصيته التي يراها حسنة وظنه أنها من العقل والمكر[3].

ومن خداعهم ما كان يفعله ابن أبيّ حين كان رسول الله ﷺ يجلس في يوم الجمعة ليخطب بالناس ، فكان ابن أبيّ يقوم ويقول: أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعززوه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس . وبعد يوم أحد وما صنع فيه حين رجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه وقالوا : اجلس أي عدوا الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت[4] . فالحيلة التي كان يقوم بها لم تعد تجديه نفعا بعد أن أنكشف أمره وظهرت عداوته لله ولرسوله ﷺ .

وأما أسلوبهم في التضليل فمثاله قصة المنافق الذي سرق وأنكر فعلته بل ورمى بها بريئا ثم استعان بقومه ليأتوا الرسول ﷺ ويطلبوا أن يبرئ صاحبهم من السرقة ففضح الله تعالى مكر ذلك المنافق[5] ونزل قوله تعالى﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ

---

١ ـ انظر تفسير القرآن الكريم ـ ابن عثيمين ١ /٤١، ٤٢ .

٢ ـ سورة النساء جزء من الآية (١٤٢) .

٣ ـ انظر تيسير الكريم المنان / ٢١١ .

٤ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٤٧٥ .

٥ ـ انظر لباب النقول في أسباب النزول / ٨٦ .

ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[1] ،

"وقد كان الرسول ﷺ قد همّ أن يُبرئ صاحبهم ولكن الله سبحانه وتعالى حفظه وعصمه ممن أراد أن يضله"[2] ، وهذا من خداعهم للمؤمنين وتضليلهم إذ يقلبون الأمور حتى تبدو على غير حقيقتها .

---

١ ـ سورة النساء (١١٣) .

٢ ـ تيسير الكريم المنان / ٢٠١ .

رابعا : أسلوب الصد عن سبيل الله :

إن صدودهم هذا أساسه عدم الإيمان ؛ لأنهم لو آمنوا حقا لما وسعهم إلا القبول والطاعة لما جاء من عند الله سبحانه وتعالى ومن رسوله ﷺ ، كما أن الكِبْر الذي يملأ قلوبهم يمنعهم من الامتثال واتباع الحق ، إضافة إلى أنهم يبغضون دين الله ويبغضون رسوله الكريم ﷺ ومن تبعه من المؤمنين وهذا يقف حائلا أمام إقرارهم بالحق .

ومن أبرز مظاهر صدهم عن سبيل الله إعراضهم وصدودهم عن اتباع الحق كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] أي يعرضون عنك إعراضا كالمستكبرين عن ذلك وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم[2] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ ﴾[3]، فالسمع والطاعة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ هو الفيصل بين المؤمن والمنافق ، لأن المؤمن يسارع إلى مرضاة ربه ولو كان في ذلك تعب ومشقة ، أما المنافق فيتثاقل عن الطاعة إلا إن كان ذلك يعود عليه بالمنفعة .

ومن مظاهره أيضا رفض الإذعان والامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ وهذا مما وصفهم الله تعالى به في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[4] ، و ﴿ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ﴾ أي حركوها استهزاء بذلك ،

---

١ ـ سورة النساء (٦١) .

٢ ـ انظر تفسير ابن كثير ١ /٤٩٨ .

٣ ـ سورة النور (٥١) .

٤ ـ سورة المنافقون (٥) .

وقوله ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ أي يعرضون عن قول من قال لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول الله [١] .

ومن مظاهر صدهم عن سبيل الله أيضا التولي كما في قوله تعالى﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [٢] والتولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار [٣] ، وكلاهما وقع من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ .

وما زال المنافقون إلى يومنا هذا يصدون عن سبيل الله فهم يعرضون عن الحق ويتشبثون بالباطل وينشرون خبثهم بدعوى حرية التعبير التي يشكلونها ويجعلون منها أداة تخدم أهدافهم وتحقق مبتغاهم .

---

١ - انظر فتح القدير ٢٣١/٥ .

٢ - سورة التوبة جزء من الآية (٧٤) .

٣ - معجم مفردات ألفاظ القرآن / ٥٧١ .

خامسا : أسلوب التخفي بالقول اللطيف والمظهر الجميل :

إن المظاهر الجميلة ليست دائما كما نراها جميلة لأنها قد تُخفي قبحا ولؤما ، والقول اللطيف قد يحمل في بعض الأحيان سما قاتلا أو موجعا وتلكم من أساليب المنافقين التي أخبرنا الله تعالى عنها فقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [1] أي أنهم كانت لهم أشكالا حسنة وألسنة فصيحة ، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم [2]. وقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ فيه تشبيه لجلوسهم في مجالس الرسول ﷺ مستندين بها بالخُشب المنصوبة المسندة إلى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم ، وهم كذلك لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه قال الزجاج [3] : وصفهم بتمام الصورة ثم أعلمَ أنهم في ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب [4] ، نسأل الله السلامة والعافية .

إن المنافقين يحرصون على أن لا يُكشف أمرهم ، ولا تُعلم خفاياهم ولذلك هم يختبئون خلف الكلام اللطيف والمظهر الجميل الخادع ، ولكن الله تعالى يُظهر خبثهم بما يخرج من أفواههم وبما تصنع أيديهم ، إذ أنها تكون دلالات تدل عليهم ، قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [5] ، فيظهر مكنون أنفسهم فيما يقولون وما يفعلون ، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة " نزلت في قوم من المنافقين وقيل أنها نزلت في كل من أضمر

---

١ ـ سورة المنافقون جزء من الآية (٤) .

٢ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٧٦/٤ .

٣ ـ الزجّاج : هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري البغدادي ، سمي بالزجّاج لأنه كان يعمل في الزجاج ، كان نحوي زمانه وله مؤلفات عدة منها : معاني القرآن ، والعروض ، والاشتقاق ، مات سنة ٣١١ هـ . سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٢٢ .

٤ ـ انظر فتح القدير ٢٣١/٥ .

٥ ـ سورة البقرة (٢٠٤ ، ٢٠٥) .

كفرا أو نفاقا أو كذبا وأظهر بلسانه خلافه "[1]. ومعنى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ ﴾ أي أدبر وذهب عنك يا محمد ، وقيل أنه بمعنى ضل وغضب ، وقيل أنه بمعنى الولاية أي إذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض ، والسعي المذكور يحتمل أن يكون المراد به السعي بالقدمين إلى ما هو فساد في الأرض كقطع الطريق وحرب المسلمين ، ويحتمل أن يكون المراد به العمل في الفساد وإن لم يكن فيه سعي بالقدمين كالتدبير على المسلمين بما يضرهم وأعمال الحيل عليهم ، وكل عمل يعمله الإنسان بجوارحه أو حواسه يقال له سعي وهذا هو الظاهر من هذه الآية ، وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ يشمل كل نوع من أنواعه من غير فرق بين ما فيه فساد الدين وما فيه فساد الدنيا [2].

كما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [3] قال المفسرون : لحن القول فحواه ومقصده ومغزاه وما يُعرّضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين فكان ﷺ بعد هذا لا يتكلم منافق عنده إلا عرفه [4].

لهذا لابد للمسلم أن لا يغتر بالمظهر الجميل أو القول الحسن لأنها قد تخفي ورائها خبثا شديدا ولؤما قبيحا ، وقد قال الشاعر العربي :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها

عند التقلّب في أنيابها العطب[5]

---

١ ـ فتح القدير ٢٠٧/١ .

٢ ـ انظر فتح القدير ١ / ٢٠٨ .

٣ ـ سورة محمد (٣٠) .

٤ ـ انظر فتح القدير ٤٠/٥ .

٥ ـ ديوان عنترة بن شداد ـ شرحه حمدو طماس ـ دار المعرفة ـ بيروت ط ٢ ـ ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤ ـ ص ٧٢ .

المبحث الثاني : وسائل المنافقين القولية والعملية :

وتحته مطالب هي :

المطلب الأول : معنى الوسيلة .

المطلب الثاني :الوسائل القولية .

المطلب الثالث :الوسائل العملية .

المطلب الأول : معنى الوسيلة .

أولا : معنى الوسيلة في اللغة :

الوسيلة في اللغة أصلها من وَسَل ، وتأتي في عدة معاني منها : المنزلة والدرجة والقربة ، وهي في الأصل ما يُتوصّل به إلى الشيء ويُتقرب به[1] .

والوسيلة هي التوصل إلى الشيء مع رغبة في الوصول إليه ، وهي بهذا المعنى تكون أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة [2] .

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة يكون معنى الوسيلة هو :

ما يُتوصّل بها إلى الشيء بوجود إرادة ذلك والرغبة فيه .

ثانيا : معنى الوسيلة في الاصطلاح :

الوسيلة في الاصطلاح هي " ما يُتقرب به إلى الغير[3] " .

ولفظ الوسيلة ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ولكن ليس بمعنى الوسيلة التي يتوصل بها لما يُراد منها بل جاءت على معانٍ أخرى ؛ فقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بمعنى القربة وذلك في قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[4] ويُقصد بها هنا أي التوسل إلى الله تعالى باتباع ما جاء به الرسول ﷺ .

وفي السنة النبوية جاء لفظ الوسيلة بمعنى المنزلة الخاصة بالنبي ﷺ وذلك في قوله ﷺ (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة

---

١ - انظر لسان العرب ١٤ /٢٥٠، ٢٥١ مادة وسل .

٢ - انظر معجم مفردات ألفاظ القرآن / ٥٦٠ مادة وسل .

٣ - التعريفات / ٢٤٧ .

٤ - سورة المائدة (٣٥) .

صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[١] فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة [٢] .

إذن الوسيلة لفظ ينصرف إلى معان عدة ، والمعنى المراد هنا هو أن الوسيلة هي : كل ما يراد به الوصول إلى أمر ما وهذه الوسيلة قد تكون مادية أو معنوية ، وقد تكون قولية أو عملية . وبناء عليه فإن وسائل المنافقين هي : الأقوال والأعمال التي قام بها المنافقون بغرض الوصول إلى أهدافهم .

---

١ - رواه مسلم - كتاب الصلاة - باب استحباب القول مثل قول المؤذن - حديث ٨٤٩ ، ص ١٤٦ .

٢ - انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - دار القاسم - ط ١ - ١٤٢١ - ٢٠٠٠ - ص ٨٣ وما بعدها .

المطلب الثاني : الوسائل القولية عند المنافقين

أولا : وسيلة الكذب :

الكذب صفة من صفات المنافقين ، وهو كذلك وسيلة من وسائلهم التي يتعاملون بها حتى يخدعوا المؤمنين ، وقد أثبت الله تعالى عليهم هذه الصفة في عدة آيات قرآنية منها قول الله جل وعلا ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3] .

ووسيلة الكذب عند المنافقين قد تكون قولا مجردا وقد تكون قولا مقرونا بالحَلِف ومثال ذلك ما ذكره الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[4] فقولهم ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ ﴾ فهذه جملة مؤكدة بثلاث مؤكدات : الشهادة ، وإنّ ، واللام ، وقد كذبهم الله تعالى في قولهم ذلك بقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5] .

والمنافقون يحسبون أنهم حينما يكذبون ويأتون بالإيمان الكاذبة فإنهم يتسترون على أخطائهم ويمسحون هفواتهم ولكن تلك الوسيلة الماكرة لم تجدهم نفعا بعد أن

---

١ ـ سورة المنافقون (١) .

٢ ـ سورة التوبة (١٠٧) .

٣ ـ سورة الحشر (١١) .

٤ ـ سورة المنافقون (١) .

٥ ـ انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ٦٧/١ .

كشف الله مكرهم قال تعالى﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[1] .

والمنافقون إذا انكشف أمرهم وفُضح عملهم بحثوا عما يساعدهم على التغطية فيجحدون وينكرون ولا يكتفون بذلك بل يحلفون أيضا قال تعالى﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾[2] ، والسبب الذي يدفعهم لذلك هو خوفهم من بطش المؤمنين بهم ، ومبالغة منهم في ستر كفرهم[3] ، ويحسبون أنهم بهذا الحلف قد نجوا وفروا .

ولهذا لابد للمؤمن أن يكون فطنا ويتنبه لأصحاب الكذب والتزييف والحَلِف الكاذب ولا تخدعه المظاهر التي تخفي في داخلها قلوبا خربة ونفوسا خبيثة وعقائد فاسدة .

---

١ ـ سورة التوبة (٩٥) .

٢ ـ سورة التوبة (٧٤) .

٣ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٣٠٦ .

ثانيا : وسيلة الشائعات وإذاعة الأخبار الكاذبة :

الشائعات هي جمع شائعة ، ويطلق عليها الإشاعة أيضا وكلتاهما تحملان نفس المعنى وهو الخبر ينتشر ولا تثبّت فيه ، وأصلهما من شَاعَ بالشيء إذ أذاعه[١] .

وشاع الخبر أي كَثُر وقوِي ، والشِّياع الانتشار والتقوية[٢] .

والشائعات " هي الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات المُلفّقة التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها ومدى صدقها "[٣] .

وقد قص علينا القرآن الكريم بعضا من الشائعات الكاذبة والأراجيف[٤] الفاسدة التي كان المنافقون يروجون لها ويحرصون على إذاعتها ونشرها بقصد الإساءة إلى النبي ﷺ ومحاربة دعوته[٥]، لذلك تعتبر الشائعات وسيلة للمنافقين لأنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى الدعوة وإيقافها فيحاولون الترويج لكل ما يضر بها ويؤذي دعاتها .

وباستقراء النصوص القرآنية وأحداث السيرة النبوية يمكن القول أن الشائعات التي بثها المنافقون كانت تخرج بوجوه عدة هي :

ـ نشر الأخبار الكاذبة وتلفيق التهم لعباد الله الصالحين كما كان في حادثة الإفك إذ أن السيدة عائشة رضي الله عنها قدمت في وضح النهار والجيش كله يشاهدها وهذا من أكبر الأدلة على براءة ساحتها رضي الله عنها وعلى كذب من افترى عليها [٦] .

ـ المبالغة في وصف الأحداث والوقائع والتهويل في بعض الأمور التي تثير الاضطراب عند الناس وهذا غالبا ما يكون في حال الحرب وهدفهم من ذلك رمي الخوف والرعب في النفوس ونشر الإحباط والهزيمة النفسية مما يؤدي إلى إضعاف

---

١ ـ المعجم الوسيط ١ / ٥٠٣ ، مادة شاع .

٢ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن / ٢٧٩ .

٣ ـ الإشاعة وسلبياتها في المجتمع ـ علي الدرورة ـ دار الأصداف ـ أبو ظبي ـ ١٤٢٥ ص ٨ .

٤ ـ الأراجيف : جمع إرجاف وهو الخبر الكاذب ، المعجم الوسيط ١ / ٣٣٢ مادة رجف .

٥ ـ انظر الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام ـ محمد سيد طنطاوي ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ـ ٢٠٠١ ص ١٠٨ .

٦ ـ انظر المنافقون في القرآن / ٢٩٢ .

القوة عند مواجهة العدو . وهذا كثير ما يستخدمه المنافقون في عصرنا إذ يبالغون في تهويل الأمور ويصورونها بطريقة غير ما هي عليه في الحقيقة .

ـ تزييف الحقائق وتغييرها وعرضها بشكل مشوّه يدعو إلى النفور وهذا ديدن المنافقين وقد نال الحبيب المصطفى ﷺ من أذاهم ما ورد في الفرية العظيمة التي ألصقوها بأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وقد برأها الله تعالى من فوق سبع سموات قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] ، والذي تولى كِبْرَهُ هو عبدالله بن أبيّ ، ومعنى ﴿ تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ " أي ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه " [2] .

وحديث الإفك اهتزت له المدينة لأنهم كانوا يقصدون من وراء نشره الإساءة إلى مقام النبي ﷺ والطعن في نبوته ﷺ، وإلى الإساءة إلى الصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنهما وإلى الإسلام والمسلمين [3] . وكانت تلك الشائعة المُغرضة سببا لحدوث فتنة بين المسلمين فقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ويعرّض بمن كذب في أم المؤمنين فقال أُسيد بن حضير رضي الله عنه : يا رسول الله إن كانوا من الأوس نكفِكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، فقام سعد بن عبادة [4] رضي الله عنه وقال : كذبت لعمر الله لا نضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، واشتد الأمر

---

١ ـ سورة النور (١١) .

٢ ـ تفسير ابن كثير ٤٣٦/٣ .

٣ ـ انظر الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام / ١٢٠ .

٤ ـ سعد بن عباده : هو سعد بن عباده بن دليم بن حارثة الأنصاري الساعدي يكنى بأبي ثابت من سادة الخزرج وكان رضي الله عنه من أهل السيادة والرئاسة في قومه ، شهد العقبة وكان من النقباء وأُختلف في شهوده يوم بدر ، توفي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وقيل بل في خلافة عمر . انظر الاستيعاب ٢ / ١٦١ .

بينهم حتى وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها "وتساوَرَ[1] الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر"[2] .

وقد أنكر الله تعالى على من يبادر إلى الحديث في أمر ما قبل أن يتحقق منه فتجده يخبر به أو يفشيه وينشره وقد لا يكون له صحة [3] ، وفي ذلك قال الله سبحانه وتعالى﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [4] .

والمنافقون يسارعون إلى تلقف بعض الأخبار والأنباء أو الأحداث و الوقائع فيذيعونها وينشرونها ويتحدثون بها ويحاولون التدخل والمشاركة فيها إظهارا للاهتمام بها والحرص على مصالح المسلمين فينخدع بهم بعض العامة فيشاركونهم في ما يفعلونه من إذاعتها ونشرها قبل التأكد منها مما يساعد على ظهور الغوغائية التي يستغلها المنافقون في الإضرار بالمسلمين وبالمصالح الإسلامية وتمكين أعدائهم من تحقيق بعض أغراضهم[5] .

---

١ ـ تساوَر الناس : التساور من سور ، والمساوره هي المواثبه والمقاتله ، وسوْرة أي ثورة من حدّة ، انظر النهاية ٢ / ٣٥٦ مادة سور .

٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام ٦٠١/٣ .

٣ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٠٨/١ .

٤ ـ سورة النساء (٨٣) .

٥ ـ انظر ظاهرة النفاق ١ /٥٦٤ .

المطلب الثالث : الوسائل العملية عند المنافقين

أولا : موالاة أعداء الله والتحالف معهم :

الموالاة ضد المعاداة والوليّ ضد العدو[1] .

و من أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يُدين بها أن يوالي أهلها ويعادي أعدائها فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ويبغض أهل الشرك ويعاديهم[2] ، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3] .

ومن لم يلتزم بهذا الأصل العقدي والمبدأ الديني فهو بذلك يخالف ما أمر الله تعالى به في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] ، والمسلم المؤمن لا يمكن أن يقف في صف أعداء الله ويحارب إخوانه في الدين ، وقد ذكر الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن المسألة الثالثة من المسائل الثلاث التي يجب على المسلم تعلمها والعمل بها هي أن من أطاع الرسول ووحد الله فلا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب[5] ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ

---

١ - انظر لسان العرب ٢٩٢/٢٠ .

٢ - انظر الولاء والبراء في الإسلام - صالح الفوزان - دار الوطن - الرياض - ١٤١١ - ص ٣ .

٣ - سورة الممتحنة (١) .

٤ - سورة المائدة (٥١) .

٥ - انظر الأصول الثلاثة وأدلتها وشروط الصلاة والقواعد الأربعة - محمد بن عبد الوهاب - الدار السلفية - الكويت - ط ١ - ١٤٠٧ - ١٩٨٦- ص ٦ .

عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

وقد اتخذ المنافقون هذه الوسيلة أداة لحرب الإسلام والمسلمين فهم في صف الأعداء يتحالفون معهم ويتفقون وإياهم على كل ما يضر بالمسلمين ، وقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] ، ففي هذه الآية يصف الله عز وجل شناعة حال المنافقين الذين يتولون الكافرين وأنهم بذلك ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين ، ومع أنهم يحلفون كذبا أنهم مؤمنين ولكنهم يعلمون أنهم ليسوا كذلك[3] ، كما أخبر الله عز وجل عن تحالف المنافقين الخائنين مع اليهود وذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [4] ، وقد سبق ذكر تآمرهم مع الأعداء خارج المدينة وترصدهم للمسلمين ، وهو ما قد أخبر الله تعالى عنه بقوله

---

١ ـ سورة المجادلة (٢٢) .

٢ ـ سورة المجادلة (١٤) .

٣ ـ انظر تيسير الكريم المنان /٨٤٧ .

٤ ـ سورة الحشر ١١ ،١٢ .

تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ [1] .

إن المنافقين بعملهم هذا يدخلون في قوله تعالى﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [2] لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم ، والتولي القليل يتدرج إلى الكثير ثم يتزايد شيئا فشيئا حتى يكون العبد منهم[3] ، ولذلك توعدهم الله تعالى بقوله ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [4] ، إن الله سبحانه وتعالى حين كشف المنافقين وبيّن للمؤمنين عن موالاتهم للمشركين وتعاونهم معهم ، كان ذلك حتى يحذر المسلمون منهم ؛ لأنهم يستخدمون هذه الوسيلة دائما ، وعلى مدى التاريخ كانت لهم شواهد تكشف خيانتهم للأمة والوقوف في صف أعدائها ، فقد كان للمنافقين دور خطير في معاونة التتار ضد الدولة الإسلامية وإسقاط الخلافة العباسية ، وكان لهم دور كبير في معاونة الصليبين وتمكينهم من بلاد المسلمين وجماهير الأمة الإسلامية ، ثم كان لهم الدور الأكبر في هدم الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية ، و استقدام الدول النصرانية المستعمرة إلى بلدان المسلمين وتمكينهم من كل شيء فيها . ولا يخفى على أحد دور المنافقين الخطير والكبير في خدمة الدول الاستعمارية وتنفيذ مخططاتها سواء أكانت هذه الدول الاستعمارية محتلة احتلالا مباشرا أو كان احتلالا غير مباشر عن طريق ما تفرضه من أوامرها من خارج الحدود [5] .

---

١ ـ سورة التوبة (١٠٧) .

٢ ـ سورة المائدة (٥١) .

٣ ـ انظر تيسير الكريم المنان /٢٣٥ .

٤ ـ سورة النساء (١٣٨، ١٣٩) .

٥ ـ انظر ظاهرة النفاق ٢٢/١ .

ثانيا : إمساك المال عن النفقة في سبيل الله :

وهذه الوسيلة يعمل بها المنافقون على عدة وجوه منها :

ـ الإمساك وعدم الإنفاق في وقت الشدة وعند حاجة الأمة للدعم المادي في أوقات الأزمات والحروب والكوارث ، فيبخلون بأموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله وإن هم اضطروا وأنفقوا كانت هذه النفقة على كره منهم ، قال تعالى﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [1] .

ـ دعوة الآخرين إلى الإمساك عن النفقة في سبيل الله قال تعالى﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ [2] قال زيد بن أرقم[3] ﷺ " خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن أبيّ لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله "[4] ، وهذه سياسة خبيثة تقضي بحبس المال عن المسلمين في الأزمات التي تمر بهم ويسعى المنافقون من خلالها إلى فرض سيطرتهم وتنفيذ مطالبهم .

---

١ ـ سورة التوبة (٥٤) .

٢ ـ سورة المنافقون جزء من الآية (٧) .

٣ ـ زيد بن أرقم : هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي غزا مع النبي ﷺ كثيرا من المشاهد قيل أولها غزوة المريسيع وفيها نزل تصديق الله تعالى له بقوله في المنافقين ، فأخذ ﷺ بأذنه وقال وعت أذنك يا غلام ، كان من خاصة أصحاب علي ﷺ وشهد معه صفين ، وروى عنه جماعة من التابعين نزل الكوفة وتوفي فيها سنة ٦٨ هـ ، انظر الاستيعاب ٢ / ١٠٩ .

٤ ـ رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ...﴾ حديث رقم ٤٩٠٣ ، ص ٨٩٤ ،٨٩٥ ، ورواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ حديث رقم ٧٠٢٤ ، ص ١٠٤٣ ، واللفظ للبخاري .

ـ السخرية من المؤمنين المُنفقين والدليل قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ ﴾[1] ، وهم في سخريتهم هذه يطمحون إلى يكف المؤمنين الصادقين عن النفقة في سبيل الله تعالى وهذا من سوء صنيعهم فهم إلى جانب إمساكهم عن النفقة هم أيضا يؤذون المؤمنين المُنفقين .

كما أن المنافقين يثيرون حربا اقتصادية ضد الإسلام وذلك بسعيهم إلى إضعاف الاقتصاد الإسلامي[2] ، واستبدال أحكام المعاملات الشرعية بالقوانين الوضعية في التجارة والاقتصاد وهذه القوانين يتحكم ويتلاعب بها أصحاب الأموال والنفوذ ممن له أهداف ومساع يطمح للوصول إليها ، أضف إلى ذلك أن ضعف الاقتصاد في الدولة يسبّب ضائقات مادية وهذا يؤدي إلى مشاكل كثيرة وكبيرة وبالتالي يتدهور الوضع العام للدولة .

١ ـ . سورة التوبة جزء من الآية (٧٩) .

٢ ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي ص ٥٥٠ .

ثالثا : التخلف عن الجهاد والنُّصرة :

وهذا أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [1] ، والسبب في قعودهم هو الكفر والجبن والخوف الذي ملأ قلوبهم فلا يقدرون على مواجهة العدو وقد وصف الله سبحانه وتعالى قعودهم عن الجهاد بقوله تعالى﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴾ [2] ومعنى يجمحون "أي يسرعون ويهرعون" [3] هربا من الخروج مع المجاهدين وفرارا من القتال .

وهذه الوسيلة التي يتّبعها المنافقون يهدفون منها إلى إضعاف الجيش المسلم من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن يقلّ عدد المجاهدين وهذا بظنهم سبب للخسارة والانهزام في أرض المعركة ، وهم يغفلون حقيقة أن النصر مرتهن بالإيمان وعمقه في قلوب المقاتلين .

الناحية الثانية : أن تخلفهم عن النُّصرة يسبب الهزيمة النفسية لدى المسلمين ويثبط من عزيمتهم ؛ لقلتهم وكثرة عدوهم .

كما يصف الله عز وجل حالهم مع الجهاد في سبيله بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ

---

١ ـ سورة التوبة (٨٦) .

٢ ـ سورة التوبة (٥٧) .

٣ ـ تيسير الكريم المنان / ٣٤٠ .

ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] أي أنهم لو كانوا صادقين فيما

يدّعونه ويخبرونك به من أنهم يريدون الجهاد معك لكانوا قد استعدوا له بما يلزمهم من العدة للجهاد ، ولكنهم لما تركوا إعداد العدة وتحصيلها قبل وقت الجهاد كما يستعد لذلك المؤمنون ، فمعنى هذا أنهم لم يريدوا الخروج أصلا ولا استعدوا للغزو [2] .

إن المتأمل في حال المنافقين يجد أن خروجهم مع المؤمنين لا نفع فيه أبدا بل هو خروج سوء وضرره أكبر من نفعه لأنهم جبناء لا يثبتون في أرض المعركة وبالتالي ليسوا أهلا للثقة في الميدان ، كما أنهم يثيرون الخلافات والخصومات بين الناس ويكثرون من القيل والقال لذلك ثبط الله همتهم وأقعدهم وكفى المؤمنين شرهم .

---

١ ـ سورة التوبة (٤٦ ،٤٧) .

٢ ـ انظر فتح القدير ٢ / ٣٦٦ .

رابعا : بناء مركز لإجتماعتهم :

إن المنافقين فئة تعيش داخل المجتمع المسلم لكنّ أفرادها خرجوا من دائرة الإيمان ؛ لأنهم لا يتفقون مع أفراد المجتمع من المؤمنين في عقيدتهم ، ولا يلتقون معهم في مبادئهم ، ولا يتصفون بأخلاقهم ، ولهذا يتملكهم الشعور بالنبذ والإبعاد ، ويعيشون في قلق وخوف من انكشاف أمرهم وفضح مخططاتهم ؛ لذلك هم في حاجة شديدة إلى الشعور بالأمان ، وهذا الأمان يحصلون عليه بالإنفراد مع بعضهم البعض والتمتع بقدر من الحرية والخصوصية ، ولكن هذه الخصوصية تحتاج إلى غطاء تستتر به ، ولابد من أن يكون غطاء لا يلفت الأنظار ولا يثير الشك ، وقد وقع هذا من المنافقين في زمن النبي ﷺ ، إذ بنوا لهم مسجدا خاصا بهم ليكون مركزا لهم يجتمعون فيه ، ويخططون ويتآمرون على المسلمين ، فأخزاهم الله سبحانه وتعالى وفضح سرهم وكشف أمرهم لرسوله ﷺ وللمؤمنين وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

وسبب نزول هذه الآيات أن المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار أتوا إلى رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك فقالوا : يا رسول الله ، إنا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال رسول الله ﷺ (إني على جناح سفر ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه) فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة فأنزل الله في المسجد ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا

---

١ ـ سورة التوبة (١٠٧ ، ١١٠) .

﴿ ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾ إلى آخر الآيات فدعا الرسول ﷺ مالك بن الدخشم[1] ومعن بن عدي[2] أو أخاه عاصم بن عدي[3] ﷺ فقال لهم (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه) ففعلا "[4] . وفي رواية ابن عباس ﷺ قال " أن أناسا من الأنصار بنوا مسجدا ، فقال لهم أبو عامر[5] : ابتنوا مسجدكم واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند فأخرج محمدا وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له : لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه ، فأنزل الله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[6] .

وقد ذكر الله عز وجل عناصر الكيد التي اشتمل عليها بناء مسجد الضرار بجوار مسجد قباء وهي أربعة عناصر :

العنصر الأول : كونه ضرارا ، أي قصَد المنافقون من إنشائه مضارة المسلمين المؤمنين .

العنصر الثاني : كونه كفرا ، أي أنشأه المنافقون بباعث الكفر الذي يكنونه في صدورهم وليكون قاعدة لنشر الكفر وانطلاق الأعمال الكافرة المحاربة الإيمان والمؤمنين .

العنصر الثالث : كونه تفريقا بين المؤمنين ، أي أنشأه المنافقون لاستدراج بعض المؤمنين إليه بغية ضمهم مستقبلا إلى صفوفهم .

---

١ ـ مالك بن الدخشم : هو مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن غنم بن عمرو بن عوف ، شهد المشاهد كلها واختلف في شهوده العقبة وكان متهما بالنفاق ودفع الرسول ﷺ عنه ذلك ، قال الإمام ابن عبد البر : لا يصح عنه النفاق وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع اتهامه والله أعلم " ، انظر الاستيعاب ٣ / ٤٠٥ ، وبعض المصادر ذكرت اسم أبيه الدخشن أو الدخيشم أو الدخش .

٢ ـ معن بن عدي : هو معن بن عدي بن الجد بن عجلان البلوي الأنصاري حليف بني عمرو بن عمرو ، شهد العقبة وسائر المشاهد معه ﷺ ، آخى النبي بينه وبين زيد بن الخطاب واستشهدا معا في يوم اليمامة سنة ١٢هـ وله موقف عند وفاة النبي ﷺ حينما قال الناس " وددنا لو أننا متنا قبله ﷺ خشية الفتنة فقال ﷺ " لكني والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتا كما صدقته حيا " ،انظر الاستيعاب ٤ / ٣ .

٣ ـ عاصم بن عدي : أخو معن بن عدي ، شهد المشاهد كلها وتوفي سنة ٤٥ هـ وكان قد بلغ ١٢٠ عاما ، انظر الاستيعاب ٢ / ٣٣٢ ، كما قال عنه الذهبي " وكان سيد بني العجلان ، وله حديث في السنن الأربعة " ، انظر سير أعلام النبلاء ٣ / ١٩٥ .

٤ ـ انظر لباب النقول / ١٣٣ .

٥ ـ هو أبو عامر عمرو بن صيفي كان من أشراف الأوس في الجاهلية وكان يسمي الراهب ، وبعد قدوم النبي ﷺ للمدينة امتلأ هو وابن أُبيّ حسدا على النبي ﷺ ، خرج إلى مكة ثم قدم مع قريش محاربا فسماه الرسول ﷺ بأبي عامر الفاسق ولما فتحت مكة هرب إلى الروم ومات عند هرقل ، وهو والد الصحابي الجليل حنظلة " غسيل الملائكة " ، انظر الاستيعاب ١ / ٣٨٠ .

٦ ـ انظر لباب النقول / ١٣٤ .

العنصر الرابع : كونه ارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، أي أن هؤلاء المنافقين قد أعدوا مسجدهم الذي بنوه لأبي عامر الراهب الذي كان من قبل قد حارب الله ورسوله[1] ﷺ .

إن هذه القصة تحمل عبرا كثيرة ينبغي الوقوف أمامها والتأمل فيها ومن أهمها ضرورة البحث في حقيقة الأشياء وعدم الاغترار بمظاهرها ، وهذا يدعو إلى الأخذ بالحيطة والحذر فدائما ما يتخفى الحاقدون والمغرضون في ثياب الصلاح والتقوى فالمنافقون بنوا مسجدا ودعوا النبي ﷺ للصلاة فيه وهذه الأمور ظاهرها السلامة ولذلك تكون الخديعة فيها أعمق وأقوى ، والله المستعان .

١ ـ انظر ظاهرة النفاق ٤٠٨/٢ ،٤٠٩ .

الفصل الثالث : المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

المبحث الثاني : الأساليب الدعوية التي استخدمها النبي ﷺ .

المبحث الثالث : الوسائل الدعوية التي استعان بها النبي ﷺ .

المبحث الأول : منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف المنهج الدعوي وأنواعه .

المطلب الثاني : منهج النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

المطلب الأول : تعريف المنهج الدعوي وأنواعه :

أولا : المنهج في اللغة والاصطلاح :

المنهج في اللغة : مشتق من الفعل نَهَجَ ، والنَّهج هو الطريق البيّن الواضح[١] .

ومنه المَنهج والمِنهج والمنهاج وجمعها مناهج ، المنهاج لها معنى مُحدث وهو الخطة المرسومة [٢] .

وكلمة المنهاج وردت في قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [٣] ، ومعنى منهاج في الآية أي سُنّة وهو ما رجحه الإمام ابن كثير وعلل ذلك بقوله " أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن الطرائق " [٤] ، فترجيحه رحمه الله كان بناء على تشابه المعنى اللغوي بين المنهاج والسنة إذ أن كلاهما يحمل معنى الطريق .

وبناء على المعاني السابقة فإن كلمة المنهج تعني : الطريق الذي يسلكه المرء على بيّنة ووضوح ، فإذا افتقد هذا الطريق الوضوح والبيان خرج عن كونه منهجا .

والمنهج في الاصطلاح :

يطلق على الخطة ، كما يطلق على التخطيط اللازم لشيء ما [٥] .

ويتسم المنهج بالضبط والإحكام حتى يتحقق ما يراد منه وبذلك يمكن القول أن المنهج هو التخطيط المنظم والمحكم الذي يضمن تحقيق المراد والمطلوب منه على أفضل وجه .

---

١ ـ انظر لسان العرب ٢٠٦/٣ ، القاموس المحيط ٤٣٢/١ ، المعجم الوسيط ٩٥٧/٢ ، مادة نهج .

٢ ـ المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٧ .

٣ ـ سورة المائدة جزء من الآية (٤٨) .

٤ ـ تفسير ابن كثير ٢ /١٠٥ .

٥ ـ انظر مناهج الدعوة وأساليبها ـ علي جريشة ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦ـ ص ١٦ .

ثانيا : المنهج الدعوي :

هو " نُظُم الدعوة وخططها المرسومة "[1]، و"مناهج الدعوة هي خططها "[2] .

والمناهج الدعوية التي وضعها الدعاة هي اجتهادية [3]، لكنها جاءت بناء على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول ﷺ ، وكذلك الحال بالنسبة للأساليب والوسائل الدعوية فهي من المتغيرات التي تتفاوت فيها الاجتهادات [4] .

إذن فالمنهج والأسلوب والوسيلة من الأمور الاجتهادية التي وضعها العلماء والدعاة وألفوا كتبا في توضيحها وتقنينها حتى يستفيد منها المسلمون خاصة الدعاة وطلاب العلم ، ولذلك قد نجد بعض الاختلاف فيما بينها ، فما يراه بعض العلماء منهجا قد يراه آخرون أسلوبا ، وما يعتبره بعضهم أسلوبا قد يطلق عليه آخرون اسم وسيلة والسبب في ذلك يرجع إلى كونها اجتهادية يتم تقنينها وترتيبها وفق اجتهاد واضعها ورؤيته الدعوية ، ولكن هذا الاختلاف ليس اختلافا جوهريا يحمل التضاد أو التعارض إنما هو اختلاف لفظي يفسح مجالا كبيرا للفهم والتدقيق والنقد .

ومما سبق يمكن القول أن المنهج الدعوي هو الخطة المنظمة للدعوة إلى الله وتشمل الأساليب والوسائل الدعوية التي تتفق مع هذا المنهج .

أهمية المنهج الدعوي :

إن المنهج له أهمية كبيرة في المجال الدعوي وذلك يرجع إلى أنه ينظم الطريقة التي يقدّم بها الدعاة إلى الله تعالى دعوتهم للناس ؛ ببيان الحق والاستدلال عليه ، كما تهدف هذه الطريقة المنظمة إلى بناء مجتمع مؤمن يكون على مستوى جيد من العلم والثقافة ، ويتسم بالشخصية السويّة ، ويكون على دراية ومعرفة بواجباته كقدر معرفته لحقوقه ، كما أنه يتحمل المسؤولية ويجيد التعامل مع الآخرين ، مع احترام آرائهم وحرياتهم . إضافة إلى أنه يقدم الخبرات السابقة والمكتسبة من خلال

---

١ ـ *المدخل إلى علم الدعوة / ٤٦ .*

٢ ـ مناهج الدعوة وأساليبها /١٦ .

٣ ـ *انظر المدخل إلى علم الدعوة / ١٩٦ .*

٤ ـ انظر الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ـ صلاح الصاوي ـ المنتدى الإسلامي ـ ٣٢٨ .

الزمن وطول التجربة بعد تهيئتها وتنقيحها لتقدَّم إلى الجيل التالي ليواصل الدعوة بكل جوانبها العقدية والفكرية والعلمية والسلوكية [1] ، ولذلك لابد للدعاة إلى الله أن لا يغفلوا عن أهميته وضرورته وأن يوظفوا ذلك في خدمة الدعوة . كما ينبغي الاهتمام بمعرفة المناهج الدعوية على مختلف أنواعها وتتبعها ودراستها وفهمها ثم العمل على تطبيقها تطبيقا عمليا صحيحا يخدم الدعوة إلى الله .

---

١ ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة ـ عمر أبو المجد بن حسين قاسم النعيمي ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الدعوة والإعلام ـ قسم الدعوة ـ ١٤١٨ ص ١٢ .

أنواع المناهج الدعوية[1] :

نظرا لكثرة أنواع المناهج الدعوية وتعددها لذا يمكن تقسيمها من أربع حيثيات هي :

التقسيم الأول : من حيث واضعها أو مصدرها وهي :

أ ـ المناهج الربانية وهي التي وضعها الشارع عن طريق القرآن أو السنة وهي مناهج معصومة عن الخطأ ، كما أنها أصل للمناهج الدعوية كلها .

ب ـ المناهج البشرية وهي التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة تطبيقا للمناهج الربانية واعتمادا عليها ، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم ، وهذه المناهج اجتهادية تحتمل الخطأ والصواب وللدعاة الحرية في الأخذ بها ويستثنى منها ما أثر عن الخلفاء الراشدين ﵃ فقد أمرنا بالتزامه والأخذ به .

التقسيم الثاني : من حيث موضوعها :

وتتنوع المناهج الدعوية تبعا للموضوعات التي تتناولها فهناك مناهج عقدية وتعبدية[2] واجتماعية واقتصادية وعسكرية وسياسية وصحية ورياضية وترويحية وغيرها ، ولكل جانب منها خطط ونظم يضعها الدعاة والمُربّون على ضوء المناهج الربانية .

التقسيم الثالث : من حيث طبيعتها :

وتتنوع المناهج الدعوية من حيث طبيعتها إلى :

ـ مناهج خاصة ومناهج عامة .

ـ مناهج فردية وأخرى جماعية .

ـ مناهج نظرية ومناهج تطبيقية .. وهكذا ..

ولكل منها طبيعته الخاصة به والميدان الذي وضع له .

---

١ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة من ص ١٩٥ وما بعدها .

٢ ـ وردت في المرجع عبادية ورأيت أن الأولى ما ذكرت أعلاه .

التقسيم الرابع : من حيث ركائزها :

كما تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها تبعا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث :

القلب ، والعقل ، والحِسّ .

فما كان منها مرتكزا على القلب سمي المنهج العاطفي .

وما كان منها مرتكزا على العقل سمي المنهج العقلي .

فما كان منها مرتكزا على الحِسّ سمي المنهج الحسي أو التجريبي .

ولا يمكن الفصل التام بين هذه المناهج نظرا لتلازم وترابط الركائز الفطرية في النفس البشرية ، فيكون وصفا بهذا النوع أو ذاك تبعا لغلبة أو بروز هذا الجانب على غيره [١] .

وهذه المناهج الثلاثة تعتني بالمدعو وتتميز بأنها ذات نفاذ وفاعلية في النفس وذلك بسبب تعاملها مع أساس الركائز الإنسانية وهي العقل والحس والعاطفة[٢] ، ويوجد مناهج أخرى مُختلف في إضافتها إلى مناهج الدعوة مثل المنهج الفطري والمنهج الخُلقي ومنهج القوة ، وقد رُدّ على أصحاب هذا الرأي بأن المنهج الفطري - والذي يقصد به المنهج المُبسّط غير المُعقّد - لا يعدّ منهجا بل هو خُصيصة من خصائص المناهج الدعوية[٣] ، كما أن كل منهج من المناهج الدعوية قد يكون مبسطا أو معقدا بحسب الموضوع ، وتبعا لأسلوب الداعي الذي يستخدمه ، وأما اعتبار الخلق منهجا دعويا فهذا يُردّ عليه بأن الخلق أقرب إلى صفات الداعي وآدابه منه إلى المنهج ، أما منهج القوة وهو الجهاد في سبيل الله تعالى فهو وسيلة يحتاج إليها المسلمون وفق شروط وأحكام ذكرها الفقهاء وليس منهجا دعويا[٤] .

إن ما سبق ذكره عن المناهج الدعوية بجميع حيثياتها و كافة أشكالها وأنواعها هو تصنيف نظري يقصد به التعلم وبيان الأحوال والأوضاع الدعوية ، أما عند التطبيق فإن تلك المناهج جميعها متداخلة ومترابطة ومتكاملة .

---

١ - انظر المدخل إلى علم الدعوة / ١٩٥ وما بعدها .

٢ -انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة / ٧ .

٣ - انظر المدخل إلى علم الدعوة / ٢١٩ .

٤ - انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة - حامد العامري - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ ص ١٣٦ وما بعدها .

إن المناهج الدعوية الثلاثة التي ترتكز على الفطرة : وهي المنهج العاطفي والعقلي والحسي ، تتعلق بموضوع هذه الدراسة تعلقا مباشرا من حيث :

ـ أن هذه المناهج الثلاثة تعين على فهم النُظُم التي تعتني بطريقة عرض الدعوة .

ـ كما أنها تهتم بكيفية التعامل مع المدعو وتساعد على وضع المنهج الدعوي المناسب له .

ـ هذه المناهج تُظهر لنا الجانب العملي التطبيقي في الدعوة باستخدام الأساليب والوسائل المناسبة .

ومن هنا تأتي أهمية معرفتها ،ولذلك سيأتي بيان كل منهج منها على حدة :

أولا : المنهج العاطفي :

العاطفة هي " استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء "[1] ، والعواطف هي من الخصائص التي أودعها الله تعالى في نفس الكائنات الحية ، وهي في الإنسان أوضح وأوسع ، وهي من ركائز الفطرة في النفس الإنسانية ولذلك تم توجيه الخطاب الدعوي لها.

وقد جاء في معنى المنهج العاطفي تعريفان ذكرهما الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني[2] هما :

أ ـ " النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب ، ويحرك الشعور والوجدان .

ب ـ مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان " .

ووضّح الدكتور ذكره لهذين التعريفين معا بقوله "أن النظام الدعوي لا يظهر إلا بمجموعة أساليبه التي تُعدّ كيفيات لتطبيقه" .

وبناء على ما سبق وضع أحد الباحثين تعريفا آخر هو :

أنها "مجموعة الأساليب الوجدانية التي ترتكز على القلب ، وتحرك الشعور والوجدان أثناء تقديم الحقائق الدعوية وفق الكتاب والسنة " [3] .

إذن المنهج العاطفي :هو عرض الدعوة بمخاطبة الجانب العاطفي في النفس وذلك عن طريق الأساليب والوسائل التي تثير النواحي الوجدانية فيها .

---

١ ـ المعجم الوسيط ٢/ ٦٠٨ .

٢ ـ المدخل إلى علم الدعوة / ٢٠٤ .

٣ ـ الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة/ ٦٣ .

بعض مواطن استعمال المنـهج العاطفي :

١ ـ عند دعوة الجاهل .

٢ ـ عند دعوة من تُجهل حاله ، ولا يُعرف مستوى إيمانه .

٣ ـ عند دعوة أصحاب القلوب الرقيقة [١] مثل النساء والأطفال واليتامى والمرضى وغيرهم .

٤ ـ في دعوة الآباء للأبناء ، أو دعوة الأبناء للآباء ، أو دعوة الأقارب ، والأرحام والأصدقاء ، ونحو ذلك [٢] .

أبرز أساليب المنـهج العاطفي :

من أبرز أساليبه ما يلي :

أ ـ أسلوب الموعظة الحسنة وأشكاله كثيرة منها :

الخطابة ، الترغيب والترهيب ، التذكير بنعم الله ، مدح المدعو بذكر خصائصه ومزاياه أو ذمه بذكر معايبه وأخطائه ، القصص العاطفية المؤثرة، ونحو ذلك .

ب ـ إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين وذلك يكون بكلمة طيبة مؤثرة مثل المناداة بأبي ، أو أخي ، أو بنيّ ، أو قول الداعي للمدعو إني أحبك ، أو إني أخشى عليك ، وما إلى ذلك من كلمات طيبة .

ج ـ قضاء الحاجات ، وتقديم المساعدات ، وتأمين الخدمات [٣] ،لأن الإحسان إلى الناس وتقديم العون لهم يترك انطباعا حسنا في النفوس ، كما أنه يفتح القلوب لقبول الدعوة بإذن الله ، وقد قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان [٤]

---

١ ـ وردت في المرجع بقول المؤلف " أصحاب القلوب الضعيفة " ورأيت أن أبدلها إلى الرقيقة .

٢ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة / ٢٠٦ .

٣ ـ انظر المرجع السابق / ٢٠٤ وما بعدها .

٤ ـ أبو الفتح البستي حياته وشعره ـ محمد مرسي الخولي ـ دار الأندلس ـ ط ١ ـ١٩٨٠ ـ ص ٣١٤ .

خصائص المنهج العاطفي :

يتميز المنهج العاطفي بمزايا ينفرد بها عن المنهجين الآخرين منها :

١ ـ سعة دائرة المخاطبين ، لأنه يخاطب كافة الناس وجميع أصناف المدعوين بلا استثناء .

٢ ـ هو أبسط من المنهجين الآخرين في الاستخدام ، فلا يحتاج إلى ذوي الاختصاص في المحاكمات العقلية والجدل والحوار ،ولا إلى تخصص في العلوم التطبيقية التجريبية .

٣ ـ عمق تأثيره في النفوس[١] . وذلك لأنه يخاطب القلوب والخطاب الموجه للقلب يترك أثرا في أغلب الأحوال .

---

١ ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي / ١٥٩ وما بعدها .

ثانيا : المنهج العقلي :

العقل : " هو ما يكون به التفكير والاستدلال وتركيب التصورات والتصديقات ، وهو ما يتميز به الحسن من القبيح والخير من الشر والحق من الباطل "[1] ، والعقل ركيزة فطرية وقد اختص الله تعالى به الإنسان وميّزه به ؛ حتى يستعين به مع ما نزل عليه من الوحي على الفهم والاستدلال والوصول للحقائق ، ولهذا كان لابد من مخاطبته ودفعه للقيام بدوره .

و معنى المنهج العقلي :

هو" النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار .

أو هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار" [2].

إذن المنهج العقلي هو : عرض الدعوة بمخاطبة الجانب العقلي في النفس وذلك عن طريق الأساليب والوسائل التي تثير الفكر والفهم والاستدلال .

بعض مواطن استعمال المنهج العقلي في الدعوة :

١ ـ مع المدعوين المنكرين للأمور الظاهرة والبدهيات العقلية .

٢ ـ مع المدعوين المعتدّين بعقولهم وأفكارهم .

٣ ـ مع المنصفين من الناس البعيدين عن التعصب لآرائهم ، والمتجردين من الأغراض الخاصة .

٤ ـ مع المتأثرين بالشبهات والمخدوعين بالباطل[3] .

وغيرها من المواطن التي يحتاج فيها الداعي إلى الاتجاهات العقلية.

---

١ ـ *المعجم الوسيط ٢ /٦١٧ .*

٢ ـ *المدخل إلى علم الدعوة / ٢٠٨ .*

٣ ـ *انظر المرجع السابق / ٢١٢ .*

أساليب المنـهج العقلي :

من أبرز الأساليب المستخدمة في المنهج العقلي[١] :

١ ـ المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها : مثل قياس الأولى والقياس المساوي وقياس الخَلف (العكس) والقياس الضمني .

٢ ـ الجدل والمناظرة والحوار .

٣ ـ ضرب الأمثال.

٤ ـ القصص التي يغلب عليها الجانب العقلي ، وتساق من أجل الاعتبار بها[٢] .

خصائص المنـهج العقلي :

المنهج العقلي له خصائص تميزه عن المناهج الأخرى منها :

١ـ اعتماده على الاستنتاجات العقلية والقواعد المنطقية والفطرية .

٢ـ عمق تأثيره في المدعوين ورسوخ الفكرة التي يُوُصَلُ إليها عن طريقه ، إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار .

٣ ـ إفحام الخصم المعاند .

٤ ـ ضيق دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي ، وإن كان هذا الضيق أو السعة تختلف من قوم إلى قوم[٣] .

---

١ ـ هذه الأساليب تناولتها بالتفصيل دراستان : الأولى دراسة بعنوان : تطبيقات الرسول للمنهج العقلي في الدعوة ـ محمد عبد الله العثمان ـ المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ـ قسم الدعوة والاحتساب ـ ١٤٠٩ هـ . والدراسة الثانية هي الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة ـ عمر أبو المجد النعيمي والمذكورة سابقا .

٢ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة / ٢٠٨ وما بعدها .

٣ ـ انظر المرجع السابق / ٢١٣ .

ثالثا : المنهج الحسي :

الحِسُّ هو الإدراك بإحدى الحواس الخمس ، والحاسّة هي قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة جسمية بها يدرك الإنسان والحيوان ما يطرأ على جسمه من التغيرات[١] ؛ ولأن هذه الحواس ركيزة فطرية في الإنسان و بها يدرك ويعي كل ما يصل إليه عن طريقها لذلك كان لابد من إثارتها وتحفيزها لقبول الدعوة .

والمنهج الحسي يسمى بالمنهج التجريبي أو المنهج العلمي لاعتماده على العلوم التجريبية ، إلا أن تسميته بالحسي أوضح وأدق . ويمكن تعريفه بتعريفين أيضا هما :

١ ـ " النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس ، ويعتمد على المشاهدات والتجارب .

٢ ـ مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس ، وتعتمد على المشاهدات والتجارب " [٢] .

ويرى بعض الباحثين أن المراد بالدعوة إلى الله بالمنهج الحسي هو "دراسة الظواهر الكونية والإنسانية التي يدركها الإنسان بحواسه من بصر وسمع وشم وحس وذوق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مستخدما في ذلك الحث على التفكر في الكون بآفاقه الواسعة وأنواع مخلوقاته المختلفة ، بما يظهر قوة الأسلوب القرآني للتأثير على المدعو بغرض التحول به من الكفر إلى التوحيد ، ومن المعصية إلى الاستقامة ومن الإيمان إلى مزيد منه " [٣] .

ويعرّف باحث آخر في دراسته للمنهج الحسي في السنة النبوية أنه " المنهج الذي يقوم فيه الرسول ﷺ بإثارة حواس المدعو الحقيقية والذهنية[٤] لقوة تأثيرها عليه بهدف استمالة قلبه للدخول في الإسلام ، أو العمل بأحكامه والتمسك بأخلاقه وآدابه والاستقامة على ذلك "[٥] .

إذن المنهج الحسي هو: عرض الدعوة بمخاطبة الجانب الحسي في النفس وذلك عن طريق الأساليب والوسائل التي تثير الحواس فيها .

---

١ ـ انظر المعجم الوسيط ٢ /١٧٢ .

٢ ـ المدخل إلى علم الدعوة /٢١٤ .

٣ ـ الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن / ٩ .

٤ ـ الذهنية : ذكر الباحث أنه يقصد بالذهنية أي الصور الذهنية في التعبير عن هيئة غائبة لإثارة حواس المدعو كلها أو بعضها .

٥ ـ الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية ـ محمد العَمري ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الدعوة والإعلام ـ قسم الدعوة والاحتساب ـ ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ ـ ص (د) .

بعض مواطن استعمال هذا المنهج :

١ ـ في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها .

٢ ـ في دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية .

٣ ـ في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية ، والمنكرين للبدهيات العقلية[١] .

أبرز أساليب هذا المنهج :

١ ـ أسلوب ضرب الأمثال .

٢ ـ أسلوب القصة .

٣ ـ أسلوب المقارنة (الموازنة) .

٤ ـ أسلوب الحوار[٢] .

٥ ـ لفت الحس إلى التعرف على المحسوسات للوصول إلى القناعات .

٦ ـ أسلوب القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك .

٧ ـ أسلوب التعليم التطبيقي ، بمشاهدة الكيفية اللازمة للفعل المأمور به[٣] .

خصائص المنهج الحسي :

١ ـ سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات التي يُسّلم بها كل إنسان عادة .

٢ ـ عمق تأثيره في النفس البشرية لمعاينتها الشيء المحسوس .

٣ ـ سعة دائرته لاشتراك الناس جميعا في أنواع الحس أو بعضها .

٤ ـ يُحتاج في استخدامه في بعض المواطن إلى خبرة واختصاص ، فلا يُحسنه جميع الدعاة ولاسيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المتخصصين في العلوم التطبيقية[٤] .

---

١ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة / ٢١٧ .

٢ ـانظر الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة / ٢٤٣ .

٣ ـ انظر المدخل إلى علم الدعوة/ ٢١٥ .

٤ ـ انظر المرجع السابق / ٢١٨ .

المطلب الثاني : المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين

بعد معرفة المناهج الدعوية وأنواعها لابد من معرفة ما هو المنهج الدعوي الذي استخدمه الرسول ﷺ في تعامله مع المنافقين ؟

وهل كان هذا المنهج خاصا بالتعامل مع المنافقين دون غيرهم ؟

والجواب على ذلك هو أن المنهج النبوي في كل أحواله هو منهج شامل متكامل ، وباستقراء الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحدثت عن النفاق والمنافقين وبتتبع الأحداث التي تتعلق بهم يمكن القول أن النبي ﷺ قد استخدم المناهج الدعوية الثلاثة بكيفية تتفق وحالتهم الدعوية ، ولكننا نلاحظ أنه استخدم المنهج العاطفي أكثر من المنهجين الآخرين والسبب في ذلك يرجع لأن المنهج العقلي والمنهج الحسي يكون تأثيرهما أكبر مع أصناف أخرى من المدعوين ، أما المنافقين فهم يظهرون الإسلام ومن الحكمة النبوية أن تناسب الخطاب مع حالهم فكان هذا المنهج هو الأنفع في التعامل معهم لأن الأسلوب العاطفي مثل الترغيب والترهيب والمدح والذم يتعاطى مع القلب ويهز الوجدان والمشاعر التي تؤثر في الإنسان ، كما أن هذا الموطن من المواطن التي يستخدم فيها هذا المنهج وهو دعوة من تُجهل حاله ومستوى إيمانه ، لذلك كان هذا المنهج هو الأنسب في التعامل مع المنافقين .

وهذا لا يعني أنه ﷺ لم يستخدم خطاب العقل والحس مع المنافقين ، بل كان ذلك منه ﷺ في بعض الأحاديث وقد تجتمع هذه المناهج في حديث واحد كقوله ﷺ (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تَسْتَحْصِدَ[1])[2] ، ففي هذا الحديث استخدم ﷺ الحس والعقل والعاطفة ، فقد ضرب المثل بشيء محسوس تراه العين ، وخاطب العقل بصورة تدعو للتأمل والتفكر في صفة المؤمن والبلاء الذي يصيبه وفي صفة نقيضه وهو المنافق ، كما أنه ﷺ خاطب العاطفة بوصف المنافق وصفا فيه تقبيح لحاله وترهيب من مآله .

وعند تحرير المنهج الدعوي في التعامل مع المنافقين لابد من توضيح المنهج النبوي المتكامل والشامل والذي يشمل المناهج الدعوية الثلاثة مع بعضها البعض دون

---

١ ـ تَسْتَحْصِدَ : الحصاد هو قطع الزرع ، النهاية ١ / ٣٥٧ . وقال النووي : تَسْتَحْصِدَ بفتح أوله وقيل بالضم ، وبالفتح أجود أي لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة . شرح صحيح مسلم ١٧ / ١٥١ ، ١٥٢ .

٢ ـ رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ـ باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز ـ حديث ٧٠٩٢ ، ص ١٠٥٤ ، ورواه أيضا بلفظ نحوه في نفس الباب حديث ٧٠٩٣ ، ٧٠٩٤ ، ٧٠٩٥، ٧٠٩٦ ، ٧٠٩٧ ، ورواه البخاري ـ كتاب المرضى ـ باب ما جاء في كفارة المرض ـ حديث ٥٦٤٣ ، ص ١٠٣١ .

تقسيم أو تنويع ، وذلك لأنها متداخلة ومتناغمة مع بعضها البعض ، كما أن التقسيم في هذا المقام لا يحقق الهدف من هذه الدراسة وهو وضع منهجية متكاملة وشاملة تحمل فكرة واضحة عن جميع النواحي التي تفيد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله في كيفية التعامل مع هذه الفئة ، وما هي الأساليب والوسائل التي تجدي معهم .

إن تعامل النبي ﷺ مع المنافقين كان تطبيقا عمليا لما أمر الله عز وجل به في في قوله تعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [1] وما جاء في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ [2] ، فالنبي ﷺ دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذه الحكمة تميزت بالتناسب والاتزان وقد ذكر الإمام ابن القيم معنى جميلا للحكمة فقال " هي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي "[3] فهذا المعنى الجميل يصف منهجه ﷺ في التعامل مع جميع المدعوين ، كما أن تعامله ﷺ معهم بتلك المنهجية الفذة قد حقق مصالح عظيمة ودفع مفاسد كبيرة سيأتي ذكرها .

وقد ارتكز منهجه في دعوتهم على محاور أربعة هي :

- المحور الأول : الحكم عليهم بظاهر حالهم وهو أنهم مسلمون ومعاملتهم معاملة المسلمين .
- المحور الثاني : جهاد المنافقين باللسان .
- المحور الثالث : التدرج في التعامل معهم من الرفق واللين إلى الغلظة والشدة.
- المحور الرابع : الكشف عنهم ببيان أعمالهم وصفاتهم دون ذكر أسمائهم .

---

١ ـ سورة النحل (١٢٥) .

٢ ـ سورة النساء (٦٣) .

٣ ـ مدارج السالكين ـ ابن القيم الجوزية ـ تحقيق عماد عامر ـ دار الحديث القاهرة ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ ـ ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

المحور الأول : الحكم عليهم بظاهر حالهم وهو أنهم مسلمون ومعاملتهم معاملة المسلمين :

كان النبي ﷺ يتعامل مع المنافقين وفق ما يظهر له منهم ، وهم قد أظهروا الإسلام وقاموا بأداء العبادات ولذلك كان ﷺ يعاملهم معاملة المسلمين ولم يقاتلهم وهذا يتفق وقوله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[1] . وقد ثبت في الحديث الصحيح [2] أن النبي ﷺ حينما خرج إلى أحد ورجع ناس ممن كانوا معه انقسم أصحاب النبي ﷺ فيهم إلى فرقتين ؛ قال بعضهم : نقتلهم ، وقال بعضهم : لا ، فنزلت ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم ﴾ [3] .

وبناء على ظاهر إسلامهم فقد أطلق عليهم لفظ الأخوة ؛ وذلك في قوله ﷺ (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)[4] .

وبهذا فإن المنافق يُحكم له بالإسلام بناء على الظاهر منه ، ما لم يأت بما يوجب التكفير[5] ، قال الإمام ابن جرير[6] رحمه الله "فإن قال قائل : كيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم ؟ قيل : إن الله تعالى أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على ذلك ، وأما من إذا أُطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأُخذ بها أنكرها

١ـ رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ١٧ ، حديث رقم ٢٥ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ٨ ، واللفظ للبخاري .

٢ ـ رواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ حديث ٧٠٣١ .

٣ ـ سورة النساء (٨٨) .

٤ـ سبق تخريجه ص ٧٤ .

٥ ـ انظر ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله القرني ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط ٢ ، ١٤٢٠ ، ص ٣٣٩ .

٦ ـ ابن جرير : (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) : هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري من أهل طبرستان ، الإمام العلم المجتهد الحافظ الثقة ، كان عالم عصره ، ترحل في طلب العلم وأصبح رأسا في التفسير وإماما في الفقه وعلاّمة في التاريخ وعارفا بالقراءات واللغة ، له تصانيف كثيرة أشهرها جامع البيان والمعروف بتفسير الطبري ، وكتابه في التاريخ والذي عُرف بتاريخ الطبري ، سير أعلام النبلاء ١١ / ١٦٥ .

ورجع عنها وقال إني مسلم ، فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه أن يُحقن بذلك له دمه وماله وإن كان معتقدا غير ذلك وتَوّكل الله بسرائرهم ، ولم يَجعل للخلق البحث عن السرائر" [1] .

وقال الإمام ابن العربي[2] رحمه الله "وأما المنافقون فكان مع علمه بهم يعرض عنهم ويكتفي بظاهر إسلامهم ، ويسمع أخبارهم فيلغيها بالبقاء عليهم ، وانتظار الفيئة إلى الحق بهم وإبقاء على قومهم لئلا تثور نفوسهم عند قتلهم وحذرا من سوء الشنعة في أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، فكان لمجموع هذه الأمور يقبل ظاهر إيمانهم وبادئ صلاتهم وغزوهم ويكل سرائرهم إلى ربهم ، وتارة كان يبسط لهم وجهه الكريم وأخرى كان يظهر التغيير عليهم"[3] . وقال أيضا بعد أن عرض أقوال العلماء في سبب عدم قتل المنافقين "والصحيح أن النبي ﷺ إنما أعرض عنهم تألفا ومخافة من سوء المقالة الموجبة للتنفير"[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية "فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان وهو المنافق المحض ، ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا[5] وهم الفساق"[6] ، ويقول في موضع آخر[7] "وقد اتفق العلماء على أن اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لأنهم استسلموا ظاهرا ، وأتوا بما أتوا به من الأعمال الظاهرة ، بالصلاة الظاهرة والزكاة الظاهرة والحج الظاهر والجهاد الظاهر ، كما كان النبي ﷺ يجري

---

١ ـ جامع البيان في تأويل القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ـ ج ١٠ من المجلد السادس ـ ص ٤٢٠ باختصار .

٢ ـ *ابن العربي : (٤٦٨ ـ ٥٤٣ هـ) : هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي القاضي وهو من حفاظ الحديث بلغ مرتبة الاجتهاد ، وصنف في الحديث والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، ومنها العواصم من القواصم وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي ارتحل للمشرق و توفي بالقرب من فاس ودفن بها . انظر سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٢ .*

٣ ـ *أحكام القرآن ـ أبو بكر بن العربي ـ تحقيق عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ٤٤٤/٢ .*

٤ ـ *أحكام القرآن ٣٧/١ .*

٥ ـ *" لا من هذا ولا هذا " يقصد الظاهر والباطن .*

٦ ـ *مجموع الفتاوى ٤٢٧/٧ .*

٧ ـ *المرجع السابق ٣٥١/٧ .*

عليهم أحكام الإسلام الظاهر، واتفقوا على أن من لم يكن معه شيء من الإيمان فهو كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [١] .

وقال أيضا [٢] " الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ، فإن المنافقين الذين قالوا﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] هم في الظاهر مؤمنون ويصلون مع الناس ويصومون ويحجون ويغزون والمسلمون يناكحونهم و يوارثونهم كما كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ ولم يحكم النبي ﷺ في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ولا في موارثتهم ولا نحو ذلك ، بل لما مات عبد الله بن أبيّ بن سلول وهو من أشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين ، وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون ، وإذا مات لأحدهم وارث ورثوه مع المسلمين . وقد تنازع الفقهاء في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث على قولين ، والصحيح أنه يرث ويورث وإن علم في الباطن أنه منافق كما كان الصحابة على عهد النبي ﷺ لأن الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب فإنه لو عُلّق بذلك لم تمكن معرفته ، والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة عُلّق الحكم بمظنتها وهو ما أظهره من موالاة المسلمين ، فقول النبي ﷺ (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)[٤] لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار بل كانوا يورثون ويرثون ، وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين "[٥] .

---

١ ـ سورة النساء جزء من الآية (١٤٥) .

٢ ـ وذلك في رده على من قال أن الإيمان هو التصديق ومن قال أنه قول و تصديق .

٣ ـ سورة البقرة (٨) .

٤ـ رواه البخاري ـ كتاب الفرائض ـ باب لا يرث المسلم الكافر ـ حديث ٦٧٦٤ بهذا اللفظ ، وفي كتاب المغازي ـ باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ـ حديث ٤٢٨٣ ٤٢٨٣ ص ٧٤٦ ، وكتاب الحج ـ باب توريث دور مكة وشرائها ـ حديث ١٥٨٨، ص ٢٧٦ ، ورواه مسلم ـ كتاب الفرائض ـ باب لا يرث المسلم الكافر ـ حديث ٤١٤٠ ص ٦٠٩

٥ ـ مجموع الفتاوى ٢١٠/٧ .

وقد انفرد الإمام ابن القيم رحمه الله بتخصيص ذلك في حياته ﷺ فقال " كان في ترك قتلهم في حياة الرسول ﷺ مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله ، وجمع كلمة الناس عليه ، وكان في قتلهم تنفير والإسلام بعدُ في غربة ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف الناس وأترك شيء لما ينفرهم عن الدخول في طاعته ، وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ" [١] .

والظاهر أن ما ذكره الأئمة ابن جرير وابن العربي وابن تيمية في أن ترك قتلهم هو حكم عام ولا يختص بالمنافقين في حياته ﷺ هو الصواب والله أعلم .

والخلاصة مما سبق أن النبي ﷺ لم يقاتل المنافقين أو يأمر بقتلهم لحكم عظيمة منها :

ـ أنهم نالوا عصمة الدم والمال منذ أن أعلنوا دخولهم في الإسلام بنطق الشهادتين وما قاموا به من الأعمال الظاهرة فكان تعامله ﷺ معهم بناء على ظاهرهم ووكل السرائر إلى الله تعالى .

ـ إن في ترك قتلهم مصلحة عظيمة ذكرها ﷺ بقوله (لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)[٢]. يقول شيخ الإسلام " فإنهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور"[٣] ، كما أن في قتلهم تشويها لصورة الدعوة خارج المدينة المنورة لأن الناس حين يتسامعون بأن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه المعتنقين لدينه فإنهم سيمتنعون عن الدخول في الإسلام لأنهم لا يفهمون حقيقة الأوضاع التي تجري في المدينة [٤] .

ـ أن النبي ﷺ عندما ترك قتلهم كان بذلك قد أغلق منفذا للفتنة لأنهم إن قُتلوا قد يثور رجالا من قومهم ويغضبون حمية لهم ، كما حدث من سعد بن عباده ﷺ حين دافع عن عبد الله بن أبيّ في حادثة الإفك فقالت عائشة رضي الله عنها "وكان قبل ذلك رجلا

---

١ ـ انظر زاد المعاد ٣ / ٥٦٨ .

٢ ـ *رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة المنافقون ، حديث رقم ٤٩٠٥ ،وحديث رقم ٤٩٠٧ ، ص ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، حديث رقم ٦٥٨٣ ، ص ٩٧٣، واللفظ للبخاري .*

٣ ـ *مجموع الفتاوى ٤١٩/٧ .*

٤ ـ *انظر المنافقون في القرآن /٢٧٨ .*

صالحا ولكن احتملته الحميّة " ثم قالت " فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا "[1].

فائدة :

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في امتناع النبي ﷺ عن قتل المنافقين ما وصفه بالمَثلين وهو ما يمكن تسميته بالقاعدتين وهما :

ـ أن الاسم الواحد يُنفى ويُثبت بحسب الأحكام المتعلقة به ، فلا يجب إذا أثبت أو نفي في حكم أن يكون كذلك في سائر الأحكام ، مثاله أن المنافقين قد يجعلون من المؤمنين في موضع وفي موضع آخر يقال ما هم منهم قال تعالى﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] فقوله تعالى ﴿مِنكُمْ﴾ أدخل المنافقين مع المؤمنين ، وقوله تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾[3] وهنا أخرجهم منهم .

ـ أن كل ما يكون له مبتدأ وكمال يُنفى تارة باعتبار انتفاء كماله ويُثبت تارة باعتبار ثبوت مبدئه ، فالإيمان له مبدأ وكمال ، وظاهر وباطن . فأما مبدؤه فيتعلق به خطاب الأمر والنهي ، فإذا قال الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[4] ونحو ذلك فهو أمر في الظاهر لكل من أظهر الإيمان ، وأما كماله فيتعلق به خطاب الوعد بالجنة والنصرة والسلامة من النار ، وهذا الوعد إنما هو لمن فعل المأمور وترك المحظور .

---

١ ـ رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب حديث الإفك ـ حديث ٤١٤١ ، ص ٧٢٤ .

٢ ـ *سورة الأحزاب (١٨) .*

٣ـ *سورة التوبة (جزء من الآية (٥٦) .*

٤ـ *سورة المائدة جزء من الآية (٦) .*

وظاهر الإيمان تتعلق به الأحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدم والمال والمواريث والعقوبات الدنيوية ظن لأن تعليق ذلك بالباطن متعذر[1] ، وبهذا يكون المؤمن والمنافق متفقين في أحكام الدنيا ، ومفترقين في أحكام الآخرة وذلك يرجع لتحقيق الالتزام الباطن بالشريعة من عدمه[2] .

---

1 ـ انظر مجموع الفتاوى ٤١٨/٧ وما بعدها .

٢ ـ انظر ضوابط التكفير/٦٠ .

المحور الثاني : جهاد المنافقين باللسان :

قـــال الله تعـــالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1] قال الإمام ابن جرير "اختلف أهل التأويل في صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه ﷺ به في المنافقين ، فقال بعضهم أمر بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به وهو ما ذُكر عن عبدالله بن مسعود[2] رضي الله عنه إذ قال : [بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه] ، وقال بعضهم بل أمر بجهادهم باللسان وأذهب الرفق عنهم ، وقال آخرون بإقامة الحدود عليهم ، ثم قال رحمه الله : وأولى الأقوال عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمر به من جهاد المشركين" [3]، وقد ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره بعد عرضه لما ذكره المفسرون من الأقوال السابقة قوله "وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم"[4].

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله أيضا بعد عرضه لآراء المفسرين فقال "قال علماء الإسلام ما تقدم ، فأشْكَل ذلك وأسْتَبْهم ، ولا أدري صحة هذه الأقوال في السند أما المعنى فإن من المعلوم في الشريعة أن النبي ﷺ كان يجاهد الكفار بالسيف على اختلاف أنواعهم ، وأما المنافقون فكان مع علمه بهم يعرض عنهم ويكتفي بظاهر إسلامهم ، ويسمع أخبارهم فيلغيها بالبقاء عليهم ، وانتظار الفيئة إلى الحق بهم وإبقاء على قومهم لئلا تثور نفوسهم عند قتلهم وحذرا من سوء الشنعة في أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، فكان لمجموع هذه الأمور يقبل ظاهر إيمانهم وبادئ صلاتهم

---

١ ـ *سورة التوبة(٧٣) ، سورة التحريم (٩) .*

٢ ـ عبد الله بن مسعود : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل حليف بني زهرة ، أسلم قديما في أول الإسلام وهاجر الهجرتين كما شهد بدرا والحديبية ، لازم النبي ﷺ وكان مكثرا في رواية الحديث ، كما كان عالما بالقرآن يعلم ما نزل منه وفيما نزل وكان ﷺ يسمع قراءته ويثني عليها كما كان من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٢ هـ . انظر الاستيعاب ٣ / ١١٠ .

٣ ـ جامع البيان ١٠ / ٤١٩ ، ٤٢٠

٤ ـ *تفسير ابن كثير ٥٧٨/٢ .*

وغزوهم ويكل سرائرهم إلى ربهم ، وتارة كان يبسط لهم وجهه الكريم وأخرى كان يظهر التغيير عليهم . وأما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة ، وأما قول من قال إن جهاد المنافقين بإقامة الحدود فيهم لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم فإنه دعوى لا برهان عليها ، وليس العاصي بمنافق إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كامنا لا بما تتلبس به الجوارح ظاهرا ، وأخبار المحدودين يشهد مساقها أنهم لم يكونوا منافقين"[1] .

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله "ومجاهدة الغير تنقسم إلى قسمين: قسم بالعلم والبيان ، وقسم بالسلاح أما من مجاهدته بالعلم والبيان فهو الذي يتسمى بالإسلام وليس من المسلمين مثل المنافقين وأهل البدع المكفرة وما أشبه ذلك ، فإن هؤلاء لا يمكن أن نجاهدهم بالسلاح لأنهم يتظاهرون بالإسلام وأنهم معنا ، ولكننا نجاهدهم بالعلم والبيان . قال تعالى قال الله تعالى ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[2]

فجهاد الكفار يكون بالسلاح وجهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان . ولهذا كان الرسول ﷺ يعلم بأن في أصحابه منافقين ويعلمهم بأعيانهم ولكنه لا يقتلهم واستؤذن في قتلهم فقال ﷺ (لا يتحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه) " .[3]

ومما ذكره العلماء في ما سبق يظهر والله أعلم أن جهاد المنافقين يكون باللسان والبيان واستخدام القول في مجابهتهم هو الأفضل والأسلم لأن استخدام القوة قد يكون له نتائج سلبية تنفّر الناس وهو ما نبه له النبي ﷺ ، وجهادهم باللسان يكون ببيان صفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم التي ذكرها الله تعالى ورسوله الكريم ولابد من ذكرها دائما والتشنيع بها حتى يحذر المسلمون منهم ومن العمل بعملهم ، كما أن المنافقين في غالب أحوالهم يستخدمون ألسنتهم في القيل والقال ونشر الأكاذيب والإشاعات بين الناس وفي هذه الحال يكون الرد عليهم بجنس عملهم وذلك ببيان الحق ودفع الشّبه والأكاذيب التي يروجون لها ، إلا في بعض الأحوال التي تستوجب ردا عمليا رادعا وهذا يُرجع فيه

١ ـ أحكام القرآن ٢/٤٤٤ .

٢ـ سورة التوبة (٧٣) ، سورة التحريم (٩) .

٣ ـ شرح رياض الصالحين١/٣٦١ .

لعلماء المسلمين وولاة أمرهم ، كما لا تُغفل أهمية كشف أعمالهم ومخططاتهم التي يسعون من خلالها إلى تخريب المجتمع ، ولابد من بيان الأثر السيئ لهم وحجم خطرهم على الأمة .

وفي السيرة النبوية كان رسول الله ﷺ في جهادهم كان يتخذ الموقف المناسب وهذا يختلف باختلاف الأحوال مثال ذلك :

ـ في بعض المواقف كان ﷺ يكتفي بما نزل من الآيات القرآنية التي كشفت نفاقهم وفضحت حقيقتهم وأعمالهم وفي كلام الله تعالى خير بيان ، ومثاله ما حدث في غزوة أحد إذ أنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه قام بمعاقبة المنسحبين أو محاسبتهم . بل وقع ذلك من بعض الصحابة ﷺ كما ورد في الصحيحين[1] أنهم كانوا فرقتين في المنسحبين فريق يقول : اقتلهم ، وفريق يقول : لا ، فنزلت ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم ﴾ [2] .

وكذلك في غزوة تبوك عندما سخر المنافقون من المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [3] فكان أحدهم ممسكا بزمام ناقته ﷺ ويقول "إنما كنا نخوض ونلعب يا رسول الله" فكان ﷺ يتلو الآيات السابقة .

ـ الرد عليهم بقول أقوى مما قالوه ، مثل ما كان في غزوة تبوك حين ضلت ناقة الرسول ﷺ وتكلم أحد المنافقين فقال ﷺ (وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني عليها) ثم أخبر ﷺ بمكانها .

---

١ ـ رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة النساء ، باب قوله تعالى ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ... ﴾ ـ رقم الحديث ٤٥٨٩ ، ص ٨٠٣ ، ورواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأعمالهم ، رقم الحديث ٧٠٣١ ، واللفظ للبخاري .

٢ ـ سورة النساء (٨٨) .

٣ ـ سورة التوبة (٦٥ ، ٦٦) .

ـ الرد عليهم بعمل يطفئ نار الفتنة التي أشعلها كما في قصة المريسيع حين ارتحل ﷺ في وقت لم يكن يرتحل فيه .

ـ عزلهم عن المسلمين وإخراجهم من المسجد وذلك عندما أظهروا الأذى للمسلمين وسخروا بالدين ، فقد ورد أن المنافقين كانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع منهم ناس يوما ورآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا إخراجا عنيفا [١] .

ـ الاستعذار عما سيكون منه ﷺ في حال معاقبتهم على ما بدر منهم وإعلان ذلك على الملأ كما في حادثة الإفك حين قال ﷺ (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي)[٢] .

إذن كان النبي ﷺ يتخذ في حق المنافقين العقاب الذي يتوافق ويتناسب مع التجاوزات التي قاموا بها والأذى الذي تسببوا به .

---

١ ـ انظر السيرة النبوية ٢/٢٨٦ .

٢ ـ رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، حديث ٤١٤١ ، ص ٧٢٤ .

المحور الثالث : التدرج معهم من الرفق واللين إلى الغلظة والشدة :

إن الأصل في التخاطب بين الناس هو القول الحسن وهذا أمر الله عز وجل لعباده إذ قال سبحانه وتعالى﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [١] ، فإذا كان هذا هو الأصل في الخطاب العادي بين الناس ، فهو إذن في الخطاب الموجّه للدعوة إلى الله تعالى أهم وأولى [٢] ، وقد أوصى ﷺ بالرفق في قوله (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطى على سواه) [٣] .

إن المعاملة باللين والرفق مع الناس واجب دعوي ولكنّ هذه الطريقة قد لا تؤتي ثمرتها في بعض الأحيان ، ولا تجدي نفعا مع بعض الناس وفي هذه الحالة يحتاج الداعية إلى تغيير نوع تعامله مع المدعو فيلجأ إلى حسم الموقف باستخدام الشدة والغلظة ، حتى يتمكن من رد الأمور إلى نصابها وعودتها إلى وضعها الطبيعي اللائق بها [٤]. ولكن ينبغي عند استخدام الشدة أن يكون ذلك بطريقة متوازنة حتى لا يتأزم الحال أكثر مما هو عليه ، ولهذا لابد للداعية إلى الله تعالى من التنبه لنوع المعاملة التي يتخذها في كل موقف ووضع كل من الرفق واللين ، والشدة والغلظة في موضعها المناسب لها ، كما قال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضر كوضع السيف في موضع الندى[٥]

لقد كان النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة وبدء قيام الدولة الإسلامية يدعو الناس في المدينة بالقول اللين والخطاب اللطيف والرفق في المعاملة ومن ذلك ما

---

١ ـ *سورة البقرة (٨٣).*

٢ ـ *انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي /٨٦٢،٨٦١ .*

٣ ـ رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق ـ حديث ٦٦٠١ ، ص ٩٧٥ ، وروى نحوه في كتاب السلام ـ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، حديث ٥٦٥٦ ص ٨٣٣ ، وكذلك روى البخاري نحوه في كتاب استتابة المرتدين ـ باب إذا عرّض الذّمي وغيره بسب النبي ﷺ ـ حديث ٦٩٢٧ ، ص ١٢٣٢ ، وكتاب الأدب ـ باب الرفق في الأمر كله ـ حديث ٦٠٢٤ ، ص ١٠٨٥ ، وكتاب الاستئذان ـ باب كيف يُرد على أهل الذمة بالسلام ـ حديث ٦٢٥٦ ، ص ١١٢١ ، وكتاب الدعوات ـ باب الدعاء على المشركين ، حديث ٦٣٩٥ ، ص ١١٤٣ .

٤ ـ *انظر الحكمة والموعظة الحسنة ـ وأثرهما في الدعوة إلى الله ـ أحمد المورعي ـ دار الأندلس الخضراء ـ جدة ـ ص ١٩١ .*

٥ ـ *ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ـ تحقيق كمال طالب ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٨ ـ ١٩٩٧ ـ ج ١ / ٢٩٣ .*

رواه أسامة [١] ﷺ عندما مر ﷺ بمجلس لعبدالله بن أُبّي وكان رسول الله ﷺ راكبا حماره فسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال ابن أُبّي "أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه" فقال عبدالله بن رواحة [٢] ﷺ "اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك" ، قال فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي ﷺ يُخفّضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال ﷺ :(أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حُبَاب قال كذا وكذا) [٣]، ففي هذا الموقف استخدم الرسول ﷺ أسلوب الرفق واللين مع زعيم المنافقين ، إذ نزل وسلم على المجلس ثم جلس قليلا يعظهم ويذكرهم بالله تعالى ، وعندما ذكر ﷺ ما وجده من ابن أُبيّ لسعد ﷺ استخدم أسلوب القول اللين اللطيف باستخدام الكنية ، فكنّى ابن أُبّي بكنيته وهي أبو حُبَاب [٤].

وقد كان للرسول ﷺ تعاملا رائعا في موقف آخر بعد غزوة المصطلق عندما جاءه عبدالله بن عبدالله بن أبيّ ﷺ فقال "يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغني عنه فإن كنت لابد فاعلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال له ﷺ (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) [٥] ، وهنا وهنا راعى الرسول ﷺ الموقف الذي كان فيه عبدالله ﷺ فكان أمره ﷺ له بالرفق والإحسان لأبيه متناسبا مع صعوبة موقفه ﷺ فعقيدته السليمة تأبى الرضا بما صدر من أبيه في تلك الغزوة وعاطفة البنوّة تنازعه في الثأر لوالده في حال أمر النبي ﷺ بقتله ، فكان الأمر بالرفق هو الأنسب لهذا الموقف .

---

١ ـ أسامة : هو أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، أبوه مولى للنبي ﷺ وولائه له ﷺ ، وكانا من أحب الناس للنبي ﷺ ولقب أسامه كان الحِبّ ابن الحِبّ ولاه النبي ﷺ القيادة على أحد جيوشه وهو في السابعة عشرة من عمره ، كان ممن اعتزل الفتنة التي وقعت في زمن الصحابة ﷺ ، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ . انظر الاستيعاب ١ / ١٧٠ .

٢ ـ عبد الله بن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، يكنى بأبي رواحة و أبي محمد ولم يكن له عقب من بعده ، وكان من شعراء النبي ﷺ وقد امتدح ﷺ شعره ، شهد العقبة وبدرا واستشهد ﷺ في مؤتة . انظر سير أعلام النبلاء ٣ / ١٤٥ .

٣ ـ رواه مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ـ حديث ٤٦٥٩ ، ص ٦٩٦ .

٤ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي /٨٨١ .

٥ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥٩٦/٣ .

وقد استخدم النبي ﷺ الغلظة في القول والشدة في المعاملة مع المنافقين عندما استدعى الحال ذلك ومن الأمثلة عليه ما ورد في حادثة الإفك من أن النبي ﷺ اعتلى المنبر وقال (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي)[1] فهذا الاستعذار يحمل شدة في الكلام تتناسب مع الموقف وإعلان ذلك أمام الملأ فيه تهديد وغلظة لمن هو مقصود به ، وكذلك موقفه ﷺ من المنافقين عندما أظهروا الأذى في المسجد فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا إخراجا عنيفا [2] .

إن التدرج في العقاب يراعي طبائع الناس كما يراعي تعدد المواقف ، فبعض الناس تكفيه الإشارة وبعضهم لا يردعه إلا الغضب ، ومنهم من يرجع عن الخطأ أو الشروع فيه إذا هدّد بالعقاب ، ومنهم من لا ينفع معه إلا العقاب النفسي أو البدني أو بهما معا[3] ، إذن فالتدرج في المعاملة وتغيّر حدّته من الرفق إلى الشدة ومن لين الكلام إلى الغلظة فيه يختلف بحسب حال المدعو والموقف المصاحبة له .

---

١ - سبق تخريجه ص ١٥٦ .

٢ - انظر السيرة النبوية ٢٨٦/٢ .

٣ - انظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - نبيل السمالوطي - دار الشروق - ط ٢ - ١٤٠٨ - ١٩٨٨ - ص ١٤٥ .

المحور الرابع : الكشف عنهم ببيان أعمالهم وصفاتهم دون تحديد أعيانهم أو ذكر أسمائهم .

إن المولى جل وعلا لم يجعل قيمة الإنسان في شكله أو قوته ولا في اسمه أو نسبه وإنما جعلها في إيمانه وما يصدر عنه من أقوال وأعمال وتصرفات ، قال تعالى﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾[2] ، وقال رسول الله ﷺ (إن الله لا ينظر أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[3] .

إن هذا المنهج الرباني الذي يصرف الاهتمام إلى حقيقة النفس البشرية وما يصدر منها من أعمال القلب وأعمال الجوارح هو الأساس في الجزاء والحساب ، كما أنه منهج أساس في التعامل مع الناس . والقرآن الكريم حين يقص علينا خبر الأمم السابقة يذكر لنا أعمالهم ونتائجها وأحيانا لا يذكر أسمائهم أو يحددّ أعيانهم لأن العبرة لا تكون بمعرفة الأسماء أو الألقاب بل نأخذها من معرفة ما فعلوه وما جزاء فعلهم ذلك . ويأتي ذلك في الآيات القرآنية التي تحدثت عن النفاق والمنافقين إذ لم تحدد أعيانهم أو تذكر أسمائهم إنما تحدثت عنهم من جميع نواحي حياتهم العقدية والنفسية والأخلاقية والسلوكية .

لقد وصف الله عز وجل المنافقين وصفا دقيقا يحدد طبيعة نفوسهم الخبيثة ويشكّل ملامحها بوضوح فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم

١ـ سورة النحل (٩٧) .

٢ـ سورة آل عمران (١٩٥) .

٣ـ رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، حديث ٦٥٤٢ ، ٩٦٨ .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[1] ، ومعنى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ أي لأعلمناكهم وعرّفناكهم بأعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية ، ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ أي بعلامتهم الخاصة التي يتميزون بها ، والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة ، ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ لحن القول فحواه ومقصده ومغزاه وما يعرّضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين ، وأصل اللحن إمالة الكلام إلى نحو من الأنحاء لغرض من الأغراض[2] .

وقد روي عنه ﷺ أنه قال (في أصحابي اثنا عشر منافقا فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[3])[4] . لكنه ﷺ لم يذكر في هذا الحديث أسماءهم أو يحدد أعيانهم . وقد ثبت أنه ﷺ أخبر حذيفة رضي الله عنه[5] ببعضهم ، ولذلك سمّي بصاحب سر رسول الله ﷺ .

إذن الأصل الموافق لمقاصد الشريعة وغاياتها هو ستر أسماء المخالفين ومنهم المنافقون ، ولكن لا يتعدى ذلك إلى ستر أعمالهم وصفاتهم وسلوكياتهم الخاطئة بل يجب الإفصاح عنها بيانا للأمة وفضحا لمخططاتهم ، فالعبرة بذكر الأفعال لا بذكر الأسماء ، ويشرع التشهير بأسماء المنافقين عند حالات معينة منها : عند اغترار المسلمين بالمنافقين واقتدائهم بهم ، وعند إعلانهم لنفاقهم صراحة

١ـ سورة محمد (٣٠) .

٢ ـ انظر فتح القدير ٣٩/٥ ، ٤٠ .

٣ـ سم الخياط : بفتح السين وضمها وكسرها والفتح أشهر ، وسم الخياط : هو ثقب الإبرة ، ومعناه لا يدخلون الجنة أبدا ، شرح النووي على صحيح مسلم ١٧ / ١٢٥ .

٤ ـ رواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث ٧٠٣٥ ، ص ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ .

٥ ـ حذيفة رضي الله عنه : هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان واسم اليمان حُسيل بن جابر وهو من بني عبس وحليف لبني عبد الأشهل من الأنصار وهو وأبوه صحابيان ، كان من كبار الصحابة وقد بعثه ﷺ للمشركين سرا في يوم الخندق ليأت بخبرهم ، وهو معروف بصاحب سر رسول الله ﷺ لأن النبي أسر له بأسماء المنافقين كما كان عالما بأحاديث الفتن وأخبارها ، شارك في الفتوحات الإسلامية وقاد بعض جيوشها وتوفي رضي الله عنه سنة ٣٦ هـ . انظر الاستيعاب ١ / ٣٩٣ .

وخصوصا عبر وسائل الإعلام ، وعندما يعظم خطرهم [1]، وقد التزم الصحابة ﵃ بهذه القاعدة الشرعية عند رواية الحديث [2].

وقد يقول قائل : كيف يتفق عدم تحديد أعيانهم وكشف أسماؤهم مع ما كان منه ﷺ عندما أمر بطردهم من المسجد علنا وكشف أمرهم للناس ، وما ورد عنه ﷺ أنه قام خطيبا يوم الجمعة فقال (اخرج يا فلان فإنك منافق ، اخرج يا فلان فإنك منافق) فأخرج من المسجد ناسا منهم [3] ، وما ورد عنه ﷺ أنه خطب خطبة فقال (إن فيكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال : قم يا فلان ، قم يا فلان) ثم سمى حتى ذكر ستة وثلاثين رجلا [4] ، فكيف نجمع بين ذلك ؟

والجواب على هذا بأن التشهير بهم لم يكن أمرا أساسيا في دعوته ﷺ بل كان خاصا بمن استفحل خطره وزاد شره منهم ، وكان الغالب في تعامله ﷺ كان كما ذكرنا بسترهم مع استنكار أعمالهم ومعاقبتهم بحسب ما يحدثونه من تجاوزات وتعدٍ ، وفي ذلك عقوبة لهم وردعا لغيرهم كما أنه يعطي دلالة على :

١/ أن الموعظة العامة دون ذكر الأسماء أو التشهير بالمنافقين لها آثار إيجابية على مجتمع الإيمان ومجتمع النفاق فهي تنقي الأول وتنصحه ، وتهز موقف الثاني وتفضحه [5] .

٢/ القاعدة الكلية في التعامل مع المنافقين أن لا تُذكر أسماؤهم ، إنما تُذكر أفعالهم وصفاتهم وتُذكر الأسماء عند الحاجة فقط [6] .

٣/ أن قيمة العمل تكمن في ذاته وصحته بغض النظر عن صاحبه من يكون .

---

١ ـ انظر *النفاق والمنافقون في ضوء السنة* /٣٦٨ ، ٣٦٩ .

٢ ـ انظر المرجع السابق / ٢٧٠ .

٣ ـ انظر جامع البيان ١١ /٤٥٧ .

٤ ـ رواه الإمام أحمد حديث ٢٢٧٠٥ ، قال الهيثمي " وفيه عياض بن عياض عن أبيه ولم أر من ترجمهما " . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١ / ٣٠٦ .

٥ ـ *انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة* / ٢٨٢ .

٦ ـ انظر المرجع السابق /٣٦٩ .

٤/ أن أعمال المنافقين مستمرة ومتتابعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لذلك تكون الأولوية لذكر أعمالهم دون تحديد أعيانهم .

٥/ أن في ترك تسميتهم تهميش وتحقير لهم وهذا ما يليق بهم إن هم استمروا في غيهم وفسادهم .

٦/ يمنحهم الله تعالى بذلك غطاء من الستر في حال توبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى .

المبحث الثاني : أساليب النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأساليب الدعوية .

المطلب الثاني : الأساليب القولية التي استخدمها ﷺ في التعامل مع المنافقين .

المطلب الثالث : الأساليب العملية التي استخدمها ﷺ في التعامل مع المنافقين .

المطلب الأول : الأساليب الدعوية

الأساليب الدعوية :

الأساليب جمع أسلوب والأسلوب الدعوي معناه ورد بعدة تعريفات منها :

١ـ أن " الأسلوب هو الفن وأساليب الدعوة هي فنونها "[١] .

٢ـ هو" العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه "[٢] .

٣ـ أساليب الدعوة هي " الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته " .

٤ـ أو "هي كيفيات تطبيق مناهج الدعوة "[٣] .

إن المعاني السابقة توضح أن الأسلوب هو الشكل الذي تعرض به الدعوة للمدعو وقد يسمى فنا أو علما أو كيفية أو طريقة .

وأسلوب النبي ﷺ في الدعوة : هو الطريقة التي اتخذها النبي ﷺ في تبليغ الدعوة والتعامل مع المدعوين . وهذه الأساليب النبوية مع الأساليب القرآنية هي نبراس الدعاة إلى الله في ميدان الدعوة ، وفيما يلي الأساليب الدعوية التي استخدمها الرسول ﷺ مع المنافقين ، والتي برزت في تعامله ﷺ معهم .

---

١ ـ مناهج الدعوة وأساليبها / ١٦ .

٢ ـ *أصول الدعوة / ٤١١ .*

٣ ـ *المدخل إلى علم الدعوة / ٤٧ .*

المطلب الثاني :

الأساليب القولية التي استخدمها ﷺ في التعامل مع المنافقين :

أولا : أسلوب الترغيب والترهيب :

الترغيب أصله في اللغة من رَغَب ، ورَغِبْت في الشيء إذا أردته ، أما الترهيب فمشتق من رَهِب أي خَاف [١]. ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه . أما الترهيب فيقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٢] ، وهو أسلوب دعوي لأن الدعوة إلى الله باستعمال أسلوب الترغيب والتشويق تسلك سبيلها إلى القلوب وتفعل فعلها في النفوس ، وتهيمن على الشعور ، ويستجيب لها القاصي والداني ويقبل عليها المُعرض عنها حبا في طاعة الله وطمعا في الفوز برضوانه ونعيم جنانه .كما أن استعمال الترهيب والتخويف يقرع أبواب القلوب المغلقة ويفتح سدودها ، ويوقظ الضمائر الغافلة فتتنبه وترجع عن غيّها وتثوب إلى رشدها ، وتستشعر الخوف من ربها والرهبة من بطشه الشديد في يوم الحساب العسير[٣] .

إن الترغيب والترهيب لهما تأثير يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته المحبة للثواب والنعيم ، والكارهة للعقاب والبؤس[٤] . وقد اثبت هذا الأسلوب صلاحية استخدامه في كل زمان ومكان[٥] . وقد ورد هذا الأسلوب في خطاب القرآن الكريم للمنافقين إذ ورد الترهيب في آيات كثيرة ، كما اقترن الترهيب من عاقبة النفاق مع الترغيب بالتوبة في موضعين ، وفي كليهما ذكر الترهيب أولا .

---

١ ـ انظر الصحاح ١ / ١٣٧ ، ١٤٠ ، مادة رغب ورهب .

٢ ـ أصول الدعوة /٤٣٧ .

٣ ـ انظر الحكمة والموعظة الحسنة / ٢٥٩، ٢٦٠ .

٤ ـ انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها /٣٢٥ .

٥ ـ انظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه / ٤٥ .

الموضع الأول هو في قوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [1] . فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى مقعدهم في النار رغبهم بالتوبة في الآية التي تليها .

والموضع الثاني جاء في قوله تعالى﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] . فبعد الوعيد الشديد يفتح لهم الله جل وعلا باب القبول لمن أناب وتاب منهم .

ومن آيات ترهيب المنافقين ووعيدهم قوله تعالى﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [4].

وأسلوب الترهيب بما يحمله من وعيد شديد وتحذير من سوء العاقبة يتوافق مع أحوال المنافقين وأعمالهم التي يذكرها القرآن الكريم ولذلك كان أسلوب الترهيب أكثر استعمالا من أسلوب الترغيب ، ومن ذلك قوله ﷺ (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْض

١- سورة النساء (١٤٥ ، ١٤٦) .

٢ - سورة التوبة (١٠١، ١٠٢) .

٣- سورة البقرة (١٠) .

٤ - سورة محمد (٢٩) .

الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)[1]. فالحديث يحمل تحذيرا ووعيدا شديدا لمن يتصيد أخطاء المسلمين ويسعى لأذيتهم أو السخرية منهم أو يعمد إلى فضح من ستره الله منهم ، وهذا العمل الخبيث لا يكون إلا من عدو حاقد لذلك بدء ﷺ هذا الحديث بذكر صفة النفاق ، وقوله ﷺ (ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلا يؤم الناس ثم آخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد) [2]، ففي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن المنافقين وتثاقلهم لأداء صلاة العشاء والفجر في المسجد وفي هذا ترغيب للمؤمنين في مخالفة المنافقين في ذلك وتحفيزا لهم للمحافظة على أدائها في المسجد ليبعدوا عن هذه الصفة الخاصة بالمنافقين ، كما أن في الحديث تهديد ووعيد للمنافقين المتكاسلين عن أداء الصلوات في المسجد ، وهذا الوعيد الشديد يخيف المنافق ويحمله على محاسبة نفسه والرجوع إلى الله والتوبة إليه وإلا فهو ممن استحق هذا الوعيد .

وهناك نوع من الترغيب وهو الترغيب بالعفو والصفح ، وقد كان ذلك من أخلاق النبي ﷺ إذ أنه دائما ما يتعامل بالصفح والعفو وهذا يترك أثرا طيبا في نفوس المدعوين حتى امتدحه حسان بن ثابت[3] رضي الله عنه بقوله :

عفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يُحسنوا فالله بالخير أجود[4]

---

١ ـ سبق تخريجه ص ٧٤ .

٢ ـ رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل العشاء في الجماعة ، حديث رقم ٦٥٧ ، ص ١٢٤ ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ، حديث ١٤٨٢ ، ص ٢٣١ . واللفظ للبخاري .

٣ ـ حسان بن ثابت : هو أبو الوليد وقيل أبو عبد الرحمن حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري شاعر الرسول ﷺ ، والمؤيد بروح القدس في هجاءه للمشركين ، وقد وصف النبي ﷺ شعره بأنه أقوى و أشد على المشركين من وقع النبل ، عاش ٦٠ سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام و توفي في خلافة علي رضي الله عنه ، انظر الاستيعاب ١ / ٤٠٠ .

٤ ـ ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق عبد الله سنده ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٧ ـ ٢٠٠٦ ص ٦٢ .

ثانيا : أسلوب ضرب المثل :

ضرب المثل هو " صوغه وإنشاؤه وابتكاره "[1] ، والمثل يقرب المعنى المراد ويضع صورة مثيرة لدى المستمع[2] ، كما أنه يشد الانتباه ويحرك الخيال لدى المستمع ، وهذا يساعد على إيضاح الفكرة المراد إيصالها .

وقد استخدم هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيرا قال تعالى ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[3] ، فالأمثال " هي صور الأشياء "[4] ، لأن تشبيه الأشياء ببعضها يدل على التشابه بينها أو التقارب في بعض جوانبها .

والتمثيل للشيء أو ضرب المثل له يقتضي المعرفة والإحاطة الدقيقة بالممثَّل له والقدرة الفائقة على تصويره وتمثيله [5] ، وقد ضرب الله مثلا يصوّر حال المنافقين في قوله تعالى﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[6] أي مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا ، كان في في ظلمة عظيمة وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره ولم تكن عنده معدة بل هي خارجة عنه ، فلما أضاءت النار ما حوله وانتفع بها فبينما هو كذلك إذ ذهب الله بنوره فبقي في ظلمات متعددة ، ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر والظلمة الحاصلة بعد النور ، فكذلك هؤلاء المنافقون استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين فانتفعوا بها وحُقنت بذلك دماؤهم وسلمت أموالهم وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا ، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت فسلبهم الانتفاع بذلك النور واجتمعت عليهم ظلمة

---

١ ـ *الأمثال في الحديث النبوي الشريف محمد العلواني مكتبة المؤيد الرياض ط ١ ،١٤١٤، ١٩٩٣، ص٣٣ .*
٢ ـ *انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها /٣٥٥ .*
٣ ـ *سورة إبراهيم (٢٥) .*
٤ ـ *الأمثال في الحديث النبوي الشريف/ ٦٣ .*
٥ ـ *انظر الأمثال في الحديث النبوي الشريف/ ٦٣ .*
٦ ـ *سورة البقرة (١٧) .*

القبر وظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة المعاصي وظلمة نار جهنم[1] ، كما استخدم النبي ﷺ أسلوب ضرب المثل مع ﷺ المنافقين ومن ذلك قوله (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تَعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة) [2]، والعائرة هي المترددة الحائرة التي لا تدري لأيهما تتبع[3] ، وهذا المثل يصف حالة المنافقين في ترددهم وحيرتهم بين المؤمنين والكافرين ، وكذلك قوله ﷺ (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر)[4] ، واستخدام النبي ﷺ لهذه المحسوسات له أثر قوي في إبراز ما تشتمل عليه من معانٍ وتجليتها لكافة المدعوين ، فكل من يعرف طعوم هذه المذكورات فإن الخطاب يكون واضحا لديه [5] .

إن الأمثال لها دورها في التربية والتأثير على المخاطبين ، كما أن لها دلالتها على التمكن من الفهم وحسن العرض والأداء وذلك يرجع إلى أنها تصور المعقول بصورة المحسوس ، والمعنوي بصورة المادي ، وقد تصور المعدوم بصورة الموجود ، والغائب بالمُشاهَد الحاضر ، فيستعين العقل على إدراك ما يراد بذلك المثل عن طريق الحواس [6] . ومن ذلك قوله ﷺ (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تَسْتَحْصِد)[7] فشبه المؤمن بالزرع الطري لين العود وشبه أنواع البلاء الذي يصيبه بالريح التي تحركه وتُميله ، أما المنافق فشبهه بشجرة الأرز الضخمة الجامدة التي لا تتحرك ولا تتجاوب مع ما يصل إليها فهي أشبه بالجماد في ذلك ، كما أن نهاية المؤمن سهلة بإذن الله كنهاية الزرع الطري أما المنافق فسقوطه صعبا وقاسيا وهذا من البلاغة النبوية في التشبيه .

١ـ انظر تيسير الكريم المنان /٤٤ .

٢ـ رواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم ٧٠٤٣ ، ص ١٠٤٦ .

٣ـ شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٨/١٧ ،

٤ـ سبق تخريجه ص ٤٥ .

٥ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة / ٤٦٤ .

٦ـ المرجع السابق /٢٥٠ .

٧ ـ سبق تخريجه ص ١٤٥ .

ثالثا : أسلوب التكرار :

إن الإنسان بطبعه قابل للتأثر بالتوجيهات وهذا يرجع لما تتمتع به الطبيعة الإنسانية من مرونة وقابلية للتشكيل ، وهذه القابلية تمثل استعدادا مؤقتا، الأمر الذي يستلزم تكرار التوجيهات في كل مناسبة حتى تثبت في النفس[١] ، والتكرار ضرورة ملحة حين يراد إقناع الناس بفكرة ما أو حملهم على سلوك معين ، لأن هذا التكرار يعمل على إيجاد التأثير المطلوب وتعميقه في نفس المتلقي كما أنه يمنع الاستجابة للتأثيرات المعاكسة [٢] لأنه يدفعها بالتذكير المتواصل للمتلقي .

والنبي ﷺ حريص على أمته شفيق بها لذلك كان الإكثار منه ﷺ في ذكر صفات المنافقين وأخلاقهم والحديث عن أعمالهم التي يقومون بها وأحوالهم التي يكونون عليها وتكرار ذلك على أصحابه ﷺ حتى يحذر المسلم من النفاق ويبتعد عما يؤدي إلى الوقوع فيه ، وفي ذلك التكرار أيضا تذكير دائم لمن وقع في النفاق بصفة أو بعمل فيعرف ذلك في نفسه ويخرج منه بالتوبة إلى الله تعالى . والنبي ﷺ عندما استخدم هذا الأسلوب جاء به على طريقة متميزة في الإرشاد السلوكي والتوجيه الأخلاقي المثمر تربويا ، كما جاء هذا الأسلوب بصورة أدبية جذابة للسامع ومؤثرة فيه .

وقد جاء تكرار حديثه ﷺ في وصف المنافقين وأخلاقهم وذكر أعمالهم وأحوالهم في ألفاظ متنوعة وأمثلة مختلفة وروايات متعددة ، ومن ذلك ما ذكره الإمام الفريابي [٣] في كتابه [٤] إذ أورد ما يزيد عن السبعين حديثا في صفة المنافق ، وذكرها وذكرها بطرقها المتعددة . ومن ذلك قوله ﷺ (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) وقوله ﷺ (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن

---

١ ـ انظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه / ١٤٣ .

٢ ـ انظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها /٣٤٦،٣٤٧ .

٣ ـ الفريابي : (٢٠٧ ـ ٣٠١ هـ) هو أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض ، الإمام الحافظ الثبت القاضي ولد ونشأ في فرياب وهي في بلاد الترك ثم ارتحل في طلب العلم فلقي الأعلام وتميز في طلب العلم وتولى القضاء في الدّينور ، وعندما أحس في نفسه التغيّر ترك الرواية ، توفي وعمره ٩٤ عاما . انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٦١ .

٤ ـ وكتابه هو صفة النفاق وذم المنافقين .

كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر) فهاتان الروايتان وردتا في الصحيحين ، ولهما طرق أخرى بلغت سبع عشرة رواية أتت هذه الروايات من طرق متعددة عن أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ هم : أبي هريرة وعبدالله بن عمرو بن العاص [1] وعبدالله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله عنهم وأكثر هذه الروايات رفع إلى رسول الله ﷺ ، وجاءت فيها صفات المنافقين بألفاظ متنوعة مثل : آية ، علامة ، شعبة ، خَصْلة ، خَلَّة .

والنبي ﷺ ذكر صفات المنافقين بقوله آية ومرة بقوله ﷺ خصلة ونحو ذلك من الألفاظ النبوية التي تدل على مراعاته ﷺ لحال السامع ، وتنويع الألفاظ عليه ، وعدم إملاله بلفظ واحد في نفس الموضوع . وقد تتكرر شُعب النفاق لفظا ومعنى ، أو تتكرر في المعنى مع اختلاف اللفظ [2] .

---

١ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي رضي الله عنه كنيته أبو محمد ، كان بينه وبين أبيه ١٢ عاما وقد أسلم قبله وكان كثير العبادة ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم قرأ الكتاب واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له ، شهد صفين مع أبيه مرغما لأنه ﷺ أمره أن يطيع أباه ولكنه في تلك المعركة لم يطعن برمح أو يرمي بسهم وندم لشهودها ، توفي رضي الله عنه سنة ٦٣ هـ . انظر الاستيعاب ٣ / ٨٦ .

٢ ـ *انظر النفاق والمنافقون في السنة /٢١٢ ، ٢١٣* .

رابعا : أسلوب المقابلة :

والمقابلة مأخوذة من قابل الشيء بالشيء أي عارضه[١]، ونقصد بها ذكر أمرين أو شيئين والمقابلة بينهما لبيان الأفضل فيهما ، وقد تسمى الموازنة لأن الموازنة في اللغة تأتي لعدة معان منها المقابلة ، يقال وازن بين الشيئين أي قابلهما[٢] .

وأسلوب المقابلة بين نقيضين له أثره الفعال في إيصال المعلومات المطلوبة في نفس المتلقي بأن تجعله يقابل بين الصورتين المعروضتين فيختار أفضلهما وهذا متبع في القرآن والسنة[٣] .

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره النبي ﷺ عن يوم القيامة حين تُدعى الأمم مع ما كانت تعبد ويأتي ربنا جل وعلا فيتبعه المؤمنون به قال ﷺ (ويُعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كلاليب[٤] وحسك[٥] تأخذ من شاء الله ثم يُطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون ..)[٦] . فهنا في هذا الحديث قابل النبي ﷺ بين نور المؤمن ونور المنافق في يوم القيامة ، وكيف أن نور المنافق يُطفأ ولا يستمر معه فيهلك ، بينما نور المؤمن يستمر معه وينجو به ، فالمستمع تشده هذه المقابلة وتثير انتباهه .

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر)[٧] . فهذا

---

١ ـ انظر المعجم الوسيط ـ ٧١٢/٢ ـ مادة(قبل) .

٢ ـ انظر المرجع السابق ١٠٢٩/٢ـ مادة (وزن) .

٣ ـ *انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ٢١٧ .*

٤ـ *كلاليب : جمع كُلُّوب وهو حديدة معوجة الرأس . انظر النهاية ٤ / ١٦٥ .*

٥ ـ *حسك : جمع حسكة وهي شوكة صلبة معروفة . النهاية ١ / ٣٥٠ مادة حسك .*

٦ ـ *رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلا فيها ، حديث ٤٦٩ ، ص ٩٢ .*

٧ *سبق تخريجه ص ٤٥ .*

التصنيف النبوي وضح أقسام المسلمين في قراءتهم للقرآن ؛ وهي على أربعة أقسام كل اثنين متقابلان ، ولكل منهما وصف خاص به .

وكذلك في قوله ﷺ (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد)[١]. والمقابلة هنا واضحة ؛ إذ فرّق ﷺ بين المؤمن والمنافق في البلاء الذي يتعرض له كل منهما والنهاية التي تكون لهما .

---

١ ـ سبق تخريجه ص ١٤٥ .

خامسا : أسلوب الخطاب غير المباشر :

وهذا الأسلوب يعتمد على التلويح لشيء ما دون تحديد من المقصود به ، لأن الغرض منه التنبيه على الخطأ وليس التشهير بصاحبه ، وهذا الأسلوب استخدمه النبي ﷺ لأنه من أفضل الأساليب في التعليم والتوجيه فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول ولكن يقول (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) [١] ، ويقول الإمام الغزالي[٢] " ومن دقائق صناعة التعليم أن يُزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يُصرّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ "[٣] ، كما يسمى الخطاب غير المباشر بالتعريض وهو الدلالة على المعنى من طريق مفهوم ، وسمي تعريضا لأن المعنى باعتباره يُفهم من عُرض اللفظ أي من جانبه ، كما يسمى التلويح لأن المتكلم يلّوح منه للسامع ما يريده[٤] .

ومن الأمثلة عليه قوله ﷺ (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي) [٥] ، فقوله ﷺ (رجل) فيه إبهام يعرفه بعض السامعين ويجهله بعضهم ولكنهم جميعا يفهمون الغرض من هذا الخطاب ، وكذلك قوله ﷺ (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)[٦] فهذا الحديث يحمل خطابا غير مباشر لأنه يحدد وصفا وعملا وليس شخصا ، وهذا الأسلوب يؤثر في السامع سواء كان هو المقصود به أم لم يكن كذلك ، فإن كان هو المقصود به فذلك أرجى لأن يترك ما هو عليه من الخطأ ويتراجع عنه وحسبه أن ستره الله ورسوله ، وإن لم يكن هو المقصود بذلك الخطاب فلعله يتنبه حتى لا يقع فيه .

---

١ ـ رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب في حسن العشرة ـ حديث ٤٧٨٨ ، ص ٦٧٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٦٤ .

٢ ـ *الغزالي* (٤٥٠ ـ٥٠٥) : هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي ، عالم كبير له فضائل وعليه مآخذ كثيرة منها موافقته لبعض أراء الفلاسفة وطرائق غلاة الصوفية ومنها ذكره لأحاديث موضوعة في كتبه ، من مؤلفاته كتاب تهافت الفلاسفة . سير أعلام النبلاء ١٤ /٢٦٧ .

٣ـ *إحياء علوم الدين ١/٨٠ .*

٤ ـ انظر البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد عبد الله الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ج ٢ ص ٣١١ .

٥ـ *سبق تخريجه ص ١٥٦ .*

٦ـ *سبق تخريجه ص ٧٤ .*

المطلب الثاني : الأساليب العملية التي استخدمها ﷺ في التعامل مع المنافقين

أولا : التأني والإمهال :

التأني من الأناة وهي الحلم والوقار ، يقال تأنى الرجل أي تثبت[1] .

لقد كان النبي ﷺ في سيرته العطرة غير متعجلٍ في الحكم على أحد ، كما أنه ﷺ كان يتأنى ويتمهل ويمنح الفرص حتى يتوب المذنب ويتراجع المخطئ ، وهذا الأسلوب النبوي العملي يدل على سعة صبره ﷺ على المدعوين وعدم الكلّ أو الملل في دعوتهم ، وهو أسلوب النبي ﷺ مع جميع المدعوين وليس مع المنافقين ، فقد سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ " هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال ﷺ (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئتَ ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[2] ، وهذا يدل على طول صبره ﷺ وعدم تعجله بالعقوبة على المشركين .

وفي القرآن الكريم ذكر الله تعالى توبة بعض المنافقين ، وأنه سبحانه وتعالى يقبل التوبة ممن تاب منهم قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ

---

1 ـ انظر لسان العرب ٥١/١٨ ، مادة (أنى) .

٢ ـ رواه البخاري ـ كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى ، حديث ٣٢٣١ ، ص ٥٦٩ .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١] فبعد ذكره سبحانه وتعالى لجزائهم وعقابهم يذكر تعالى فضله ومنّه على من أناب منهم وتاب ورجع إلى الله عز وجل إذ يتقبل الله منه توبته إذا أخلص فيها وأصلح عمله بعدها [٢] .

ومن المنافقين الذين ذكرت توبتهم كان الجُلَاس بن سويد[٣] والذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٤] ، وقد ذكر المفسرون أنه تخلّف عن غزوة تبوك فلما نزل من القرآن ما ذكر الله به المخلفون قال الجُلاس : والله لئن كان هذا الرجل صادقا فيما يقول لنحن شر من الحمير ، فسمع ذلك عمير بن سعد[٥] رضي الله عنه وكان الجُلاس زوج أمه فذهب عمير وأخبر النبي ﷺ بما كان منه ، فأتى الجُلاس النبي ﷺ وحلف بالله أنه ما قال ذلك فأنزل الله تعالى تصديق عمير رضي الله عنه ، وقد ذُكر أن الجُلاس تاب فحسنت توبته[٦] .

وممن تاب من المنافقين أيضا مَخْشي بن حمير[٧] الذي كان مع المنافقين في غزوة تبوك ، وعندما قال بعض المنافقين : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الجبال إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مخشي : والله لوددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإننا نغلب

---

١ ـ *سورة النساء (١٤٥ ، ١٤٦) .*

٢ ـ *انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٧ .*

٣ ـ الجلاس بن سويد : هو الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري وهو زوج أم عمير بن سعد وقصتهما مشهورة في التفاسير ، وقد تاب وحسنت توبته ورجع للحق وقيل لم ير منه عمير بعد تلك الحادثة شيء يكرهه وكان من توبته أنه لم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير رضي الله عنه . انظر الاستيعاب ٣٣٠/١ .

٤ ـ سورة التوبة (٧٤) .

٥ ـ عمير بن سعد : هو عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري كان يقال له نسيج وحده وعُرف به ، ولما نزل القرآن في تصديق قوله عن المنافقين أخذ النبي ﷺ بأذنه وقال (وفت أذنك يا غلام وصدّقك ربك) ، وقد ولاه عمر على الشام كما روى عنه جماعة من أهل الحديث وتوفي بالشام . انظر الاستيعاب ٣/ ٢٨٩ .

٦ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ .

٧ ـ مخشي بن حمير : هو مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة من الأنصار كان من المنافقين وسار مع الرسول ﷺ إلى تبوك حين أرجف المنافقون برسول الله وكان معهم ، ثم تاب وحسنت توبته . انظر الاستيعاب ٣ /٤٣٧ .

أن ينزل فينا قرآنا لمقالتكم هذه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ أتوا إليه يعتذرون وكان النبي ﷺ على راحلته فجعل أحدهم يكلم النبي ﷺ ويقول إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله يتلو قوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[١] وكان مَخْشي يعتذر ويقول : قعد بي اسمي واسم أبي فكان هو الذي عُفي عنه في هذه الآية وتسمى عبدالرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه ، فقتل يوم اليمامة ولم يوجد له أثر ، وفي رواية أن أحد المنافقين قال : ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا و أكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء[٢] ، وهذا القول لا يخرج من مؤمن أبدًا ولهذا أخرجهم الله بهذا العمل من دائرة الإيمان ووصفهم بالكفر ثم فتح لهم بكرمه عز وجل باب القبول لمن تاب وأناب .

---

١ ـ سورة التوبة (٦٥ ، ٦٦) .

٢ ـ انظر تفسير ابن كثير ٥٧٢/٢ .

ثانيا : الإعراض :

والإعراض هو التجاهل وعدم الالتفات ، وهو منهج رباني ، أمر به الله تعالى نبيه الكريم ﷺ في مواضع عدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [1]، وقوله سبحانه تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [2]، ومما ذُكر في فوائد الإعراض عن الجاهلين توفير الجهد والوقت ، كما أن هذا الإعراض يُضفي عدم الاعتبار لما لا جدوى فيه ، وبهذا يكون السبيل إلى إيقاف لغو الجاهلين وعدم استمراره في المستقبل البعيد[3] .

ويعد الإعراض عن المنافقين من الأحكام أو العقوبات التي تنالهم في الدنيا [4] قبل الآخرة ، وقد وردت آيات في الإعراض عنهم منها :

قوله تعالى ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [5] ، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى عنهم " أنهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقارا لهم "[6] . و لا توبخوهم ولا تجلدوهم أو تقتلوهم لأنهم قذر خبثاء ، ليسوا بأهل لأن يُبالى بهم وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم ، وتكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا

---

١ ـ سورة النجم (٢٩) .

٢ ـ الأعراف (١٩٩) .

٣ ـ انظر الدين والدولة ـ محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٠ـ ١٩٨٠ ، ص ٣١٦ .

٤ ـ للإستزاده في هذا الجانب يرجع إلى رسالة النفاق والمنافقون في ضوء السنة فقد أفرد الدكتور عبد الرحمن قصاص مبحثا كاملا في الإعراض عن المنافقين يبدأ من ص ٤١٩ .

٥ ـ سورة التوبة (٩٥) .

٦ ـ تفسير ابن كثير ٢/٥٩٥ .

يكسبون[1] فجاء الأمر الإلهي بتجاهلهم والإعراض عنهم تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم وهذا الذي يليق بهم .

ومنها قوله تعالى﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [2] وهنا " أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف فإنهم لا يضرونه شيئا إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه وإقامة شرعه "[3] .

وهذا الأسلوب النبوي في غض النظر عن بعض ما قاله المنافقون أو فعلوه فيه حكمة قيادية ، لأن عدم الالتفات للتصرفات الهوجاء والبغيضة يساعد على إخماد نار الفتنة وتهدئة النفوس . ومثال ذلك ما حدث في غزوة بني المصطلق حين ثارت العصبية القبلية واستغل ابن أبيّ الفرصة ليزرع بذور الفتنة ، هنا أشار عمر بن الخطاب ﷺ بقتل ابن أبيّ فقال ﷺ (فكيف يا عمر إذا حدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، لا ولكن أذّن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها)[4] وقد وقد كان لهذا الأسلوب النبوي الحكيم أثرا ايجابيا على المدى القريب والبعيد أيضا ، فأثره القريب كان هو إخماد نار الفتنة حين اشتعلت ، وأما أثره على المدى البعيد فكان ما روته السيرة " أن ابن أبيّ بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم (كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له آنُفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته) فقال عمرﷺ " قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري"[5] .

كما أن النبي ﷺ كان يعرض عنهم و يتجاهلهم عند قعودهم عن الجهاد وكان لا يسأل عنهم بل هم الذين يبادرون بالذهاب إليه والاعتذار عن قعودهم وتخلفهم ، وفي

---

١ ـ انظر تيسير الكريم المنان /٣٤٨ .

٢ ـ سورة النساء جزء من الآية(٨١) .

٣ ـ تيسير الكريم الرحمن /١٨٩ .

٤ ـ انظر السيرة النبوية لابن هشام٣/٥٩٥ .

٥ ـ انظر المرجع السابق ٣/٥٩٦.

وصف قعودهم عن الجهاد يقول الله تعالى ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [1] فهم لا نفع من ذهابهم بل هم الضرر بذاته .

وفي بعض المواقف كان النبي ﷺ لا يقبل أعذارهم وهذا من الإعراض عنهم لأن ما بدر منهم يستدعي رد العذر ، كما في قوله تعالى ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ [2] ، وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه الآية مسائل منها وجود فرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله ، ومنها أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يُقبل [3]؛ وهو ما كان في الثوابت الشرعية إذ أن المساس بها لا يمكن التسامح فيه أو التغاضي عنه .

كما أن المنافقين بجهلهم وإعراضهم عن الحق وتطاولهم على أهله هم كالسفيه الذي لا يجدي معه إلا الإعراض والتجاهل وهما في هذه الحالة أبلغ من الجواب قال الإمام الشافعي [4] :

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت [5]

وقال أيضا :

يخاطبني السفيه بكل قبح   فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلما   كعودٍ زاده الإحراق طيبا [6]

---

١ ـ سورة التوبة (٤٦) .

٢ ـ سورة التوبة جزء من الآية (٦٦) .

٣ ـ انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ عبد الرحمن حسن آل الشيخ ـ تحقيق عبد العزيز بن باز ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨ ـ ص ٤٢٥ .

٤ـ الشافعي : (١٥٠ ـ هـ) : هو محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي الشافعي المكي عالم عصره وناصر الحديث ولد في غزة ونشأ في مكة ، أقبل على العربية والشرع فبرع في ذلك ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه فيه ، وكان مناظرا وشاعرا وقد صنف التصانيف ودون العلم ورد على الأئمة متبعا الأثر . انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٥ .

٥ ـ ديوان الشافعي ـ جمع وشرح محمد عبد الرحيم ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ ـ ص ١٥٥ .

٦ ـ المرجع السابق / ١٤٤ .

ثالثا : الاستعذار :

والاستعذار ورد عنه ﷺ في حادثة الإفك حينما قال (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي)[١] ومعنى ذلك : هو من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلومني [٢] ، لأنه مستحق للعقوبة ، وهذا الأسلوب النبوي هو أسلوب تأديبي رادع من جهتين :

الأولى : أنه تحذير لشخص مبهم يعرف نفسه وقد يعرفه بعض السامعين ، وهذا التحذير يحمل نبرة الوعيد والتهديد بالعقوبة وهذا من شأنه أن يسبب القلق للمَعنِّي به فيظل مترقبا لعواقب فعله كما أن فيه تحذيرا لغيره حتى يحذروا من الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه .

الثانية : أنه يتعرض للتوبيخ والتقريع واللوم ممن عرف أنه المقصود ، وفي هذا جانب تأديبي له .

إن التلويح بالعقوبة للمذنب مع دفع اللوم على معاقبته هو أسلوب مثالي في التربية والتوجيه لأنه يحمل نبرة تهديد ووعيد تقرع الآذان وتجذب الأفهام وتحذر الناس من مغبة الوقوع في هذا الخطأ ، ولهذا ينبغي للعلماء وولاة الأمر التنبه لهذا الأسلوب والأخذ به مع العصاة العابثين والمنافقين المفسدين .

---

١ ـ سبق تخريجه ص ١٥٦ .

٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ١٩٧ ، مادة عذر .

رابعا : اللعن :

اللعن هو الطرد والإبعاد من الخير ، وقيل أن اللعن يكون بالطرد والإبعاد من الله تعالى وبالسب والدعاء من الخلق [1] ، وكل من لعنه الله فقد أبعده عن رحمته واستحق العذاب فصار هالكا [2] ، فمعنى اللعن في اللغة يحمل أمرين ؛ أولاهما أن اللعن من الله تعالى معناه الخروج من رحمته سبحانه واستحقاق عذابه ، وثانيهما أن اللعن من الخلق هو بالدعاء على من أصابته اللعنة وانتقاصه ، وقد تحقق الأمران في المنافقين إذ توعدهم الله بأنهم من أهل النار بل هم في دركها الأسفل ، كما لعنهم ﷺ ودعا عليهم كما سيأتي .

لقد وقع اللعن من الله جل وعلا على المنافقين في عدة آيات كريمة منها : قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [3]، فقوله تعالى ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي " طردهم وأبعدهم " [4]، وقال تعالى ﴿ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [5] ، فقوله تعالى ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ أي مطرودون ومبعدون ، و﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ أي وُجدوا ، ﴿ أُخِذُواْ ﴾ لذلتهم وقلتهم ، ﴿ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴾ ، ثم قال تعالى ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يُسلطون عليهم ويقهرونهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ أي وسنة الله في ذلك لا تُبدّل ولا تُغيّر [6] .

---

١ ـانظر لسان العرب ١٧ / ٢٧٢ .

٢ ـ انظر المرجع السابق / ٢٧٣ .

٣ ـ سورة التوبة (٦٨) .

٤ ـ تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧٣ .

٥ ـ سورة الأحزاب (٦١ ، ٦٢) .

٦ ـ انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٨٢٥ .

كما ثبت لعنه ﷺ للمنافقين الذين خالفوا أمره في غزوة تبوك عندما كان في حرةٍ فمشى فقال ﷺ (إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد) فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذٍ [١] .

وورد في لعنهم أيضا ما رواه الإمام النسائي [٢] والإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ حين رفع رأسه من صلاة الصبح من الركعة الآخرة قال (اللهم العن فلانا وفلانا) يدعو على ناس من المنافقين ، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [٣] . وهذه الآية ورد في نزولها عدة روايات ؛ منها هذه الرواية التي ذكرت أنها نزلت في المنافقين والتي ذكرها الإمام النسائي في باب لعن المنافقين في القنوت وهي إحدى روايات ثلاث عند الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه وباقي الروايات ذكرت أنها في الدعاء على المشركين [٤] .

وقد ذكر الإمام ابن خزيمة [٥] أن لعن الكفار والمنافقين منسوخ بهذه الآية ، فقال بعد ذكره لأخبار نزولها " ففي هذه الأخبار دلالة على أن اللعن منسوخ بهذه الآية " ، ثم قال " وإنما أنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فيمن كان يدعو النبي ﷺ عليهم باللعن من المنافقين والكفار ، فأعلمه الله عز وجل أن ليس للنبي ﷺ من الأمر شيء في هؤلاء الذين كان يلعنهم في قنوته وأخبر تعالى أنه إن تاب عليهم فهداهم للإيمان أو عذبهم على كفرهم ونفاقهم فهم ظالمون وقت كفرهم ونفاقهم " [٦] ، فالإمام ابن خزيمة يرى أن لعن الكفار والمنافقين منسوخ بالآية لأن أمرهم مُوكل إلى الله تعالى إن شاء هداهم للإيمان وغفر لهم ، وإن شاء توفاهم على ما هم عليه من

---

١ ـ رواه مسلم ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ حديث ٧٠٣٧ ، ص ١٠٤٥ .

٢ ـ النسائي : (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي ولد في نسا ارتحل في طلب العلم وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان ونقد الرجال وحسن التأليف ، له كتاب السنن وكتاب الخصائص في علي رضي الله عنه وكتاب في فضائل الصحابة ، خرج للحج فمرض فقال احملوني إلى مكة فحمل إليها وتوفي بها ، انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٧٩ .

٣ ـ الآية من سورة آل عمران (١٢٨) ، والحديث رواه النسائي كتاب التطبيق ـ باب لعن المنافقين في القنوت ـ حديث ١٠٧٩ ، ص ١٤٩ ، ورواه أحمد برقم ٦٣٤٩ .

٤ ـ في مسند أحمد برقم ٦٣٥٠ ، ٥٦٧٤ ، وصحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ـ حديث ٤٥٥٩ ، ٤٥٦٠ ، ص ٧٩٦ ، ورواه ورواه مسلم ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة أحد ، حديث ٤٦٤٥ ، ص ٦٩٣ .

٥ ـ ابن خزيمة : (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري الشافعي ، إمام الأئمة كان حافظا حجة فقيها عَني في حداثته بالحديث بالحديث والفقه حتى صار يُضرب فيه المثل في سعة العلم والإتقان ، صنف كثيرا من الكتب والمسائل منها كتابه الصحيح وكتاب في التوحيد ، انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٢٥

٦ ـ صحيح ابن خزيمة ـ محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ كتاب الصلاة ـ باب ١٦٧ ـ ج ١ ، ص ٣١٦ .

الكفر والنفاق وعذبهم به ، ويخالف هذا القول الإمام ابن حبان [1] فذكر في صحيحه أن لعن الكفار والمنافقين لم ينسخ فقال " إن اللعن على الكفار والمنافقين في الصلاة غير منسوخ ولا الدعاء للمسلمين " ثم قال " على أن قول الله جل وعلا ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ ليس فيه البيان بأن اللعن على الكفار أيضا منسوخ وإنما هذه آية فيها الإعلام بأن القنوت على الكفار ليس مما يغنيهم عما قضى عليهم أو يعذبهم" [2] .

ولعل كلا الإمامين رحمهما الله أصاب في جانب وخلاصة المسألة أن اللعن على أناس أحياء من الكفار والمنافقين بعينهم لا يجوز ؛ لأن اللعن طرد من رحمة الله تعالى ولا يُعلم عن هؤلاء إذ لعلهم يتوبون ، أما الدعاء عليهم مطلقا دون تعيين جائز ولم يُنسخ سواء كان في الصلاة أم في غيرها ، بالإضافة إلى أنه يُشرع الدعاء على الكفار والمنافقين وأضرابهما بأعيانهم إذا لقي المؤمنون منهم التضييق الشديد والصد عن السبيل [3] .

إذن الدعاء على المنافقين ولعنهم هو أسلوب اتبعه النبي ﷺ ، ولكنّ هذا الأسلوب مقيد في أحوال خاصة كمخالفتهم الصريحة الواضحة لولاة الأمر ؛ لأن مخالفتهم هي عصيان وخروج عن الطاعة ، وكذلك في حال أذاهم الشديد للمؤمنين والسعي للإضرار بهم فعندها يجوز الدعاء عليهم ولعنهم والله أعلم .

---

١ ـ ابن حبان : (ت ٣٥٤ هـ) هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي كان إماما علامة حافظا ثقة فهما ، وصفه الإمام الحاكم بأنه من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث ، له كتب مشهورة أهمها المسند الصحيح ، وكتاب تاريخ الثقات وغيرهما ، انظر سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٨٣ .

٢ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ـ ضبط نصوصه كمال الحوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ـ كتاب الصلاة ـ فصل في القنوت ـ ج ٣ ، ص ٢٢٢ .

٣ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

المبحث الثالث : وسائل النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الوسائل الدعوية .

المطلب الثاني : الوسائل القولية .

المطلب الثالث : الوسائل العملية .

المطلب الأول : الوسائل الدعوية .

الوسيلة الدعوية :

وجمعها وسائل وقد جاءت في معان متقاربة منها :

أنها قنوات أو أدوات تساعد في توصيل الأساليب الدعوية [1] .

أو هي " ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر "[2] .

أو هي " ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية "[3].

إن هذه المعاني متقاربة وتخرج بمفهوم واحد وهو أن الوسيلة الدعوية هي كل ما يعين على إيصال الدعوة إلى المدعو سواء كانت أمورا مادية أو معنوية أو كانت وسيلة قولية أو عملية .

والنبي ﷺ كانت له وسائل استخدمها ﷺ في منهجه الدعوي مع المنافقين وكانت تنقسم إلى وسائل قولية ووسائل عملية وفيما يلي تفصيل ذلك .

---

١ ـ انظر مناهج الدعوة وأساليبها /١٦ .

٢ ـ أصول الدعوة / ٤٤٧ .

٣ ـ المدخل إلى علم الدعوة / ٤٩ .

المطلب الثاني

الوسائل القولية التي استخدمها النبي ﷺ مع المنافقين :

أولا : التحذير من النفاق :

إن الرسول ﷺ عندما ذكر صفات المنافقين وأخلاقهم ، وبيّن لنا مساوئ أفعالهم كان في الوقت ذاته يحذر تحذيرا واضحا من التخلق بأخلاقهم والعمل بمثل أعمالهم فمن ذلك قوله ﷺ (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) وقوله ﷺ (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) وغيرها من الأحاديث التي تحمل توجيها للمؤمنين بأن يبتعدوا عن هذه الصفات ولا يتخلقوا بها لأنها ليست من صفات المؤمنين بل هي صفات نقيضهم .

ومثل ذلك أيضا قوله ﷺ (العيّ والحياء شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق) [١]، قال الإمام الترمذي[٢] "العيّ : قلة الكلام ، والبذاء هو الفحش في الكلام ، والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيتوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله" [٣] . ففي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن خصال المؤمن وخصال المنافق ، والغرض من ذلك تحذير المسلم من التفريط في الأولى أو الإتيان بالثانية لأنه ﷺ ربطها بالنفاق ، ومن طلب السلامة لدينه يفهم هذا التحذير ، وأيضا قوله ﷺ (خصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت ولا فقه في الدين) [٤] فهنا إخبار منه ﷺ يهدف إلى حث المسلمين على أن يلتزموا بهاتين الخصلتين لأنهما لا تجتمعان في منافق .

---

١ ـ رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في العيّ ـ حديث ٢٠٢٧ ، ص ٤٦٧ وقال حسن غريب ـ وقد صححه الألباني .

٢ ـ الترمذي (٢١٠ ـ ٢٧٩ هـ) : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن يزيد بن سَوْرة الترمذي ، الحافظ العَلم الإمام ، ترحّل في طلب العلم وكان يُضرب به المثل في الحفظ ، وكان زاهدا ورعا وقد عَمِي في آخر عمره ، له مصنفات في الحديث أشهرها الجامع الصحيح أو سنن الترمذي والعلل وغيرها ، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٣٧٠ .

٣ ـ جامع الترمذي / ٤٦٧ .

٤ ـ رواه الترمذي ـ كتاب العلم ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ حديث ٢٦٨٤ ، ص ٦٠٩ ، وقال حديث غريب ، وصححه الألباني .

وكذلك كان الصحابة ﷺ يَحْذرون في أنفسهم من الوقوع في النفاق ويحذّرون غيرهم من الوقوع فيه فقد رُوي عن حذيفة ﷺ قوله " لقد أُنزل النفاق على قوم خير منكم " [1] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [2] : " قوله [لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم] أي ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت عنهم الخيرية ومنهم من تاب فعادت له الخيرية ، فكأن حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب . فحذرهم من الخروج من الإيمان لأن الأعمال بالخاتمة وبيّن لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي أن يأمنوا مكر الله فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيرا منهم ومع ذلك وُجد فيهم من ارتد ونافق فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في ذلك " [3] .

لقد ذكر النبي ﷺ بعض الأعمال التي تعين على البراءة من النفاق وذلك في قوله (من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار) [4] .

كما أن النبي ﷺ كان يتعوّذ من النفاق في قوله ﷺ (وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشِّقاق[5] والنفاق والسمعة والرياء) [6] ، وقال أيضا (اللهم إني أعوذ بك من الشِّقاق والنفاق وسوء الأخلاق) [7] .

و تعوذه ﷺ من النفاق يحمل معان عدة منها :

١ ـ براءته ﷺ من النفاق وأهله .

---

١ ـ *رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ ، حديث ٤٦٠٢ ، ص ٨٠٥ .*

٢ ـ ابن حجر : (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) ، هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي ، ولد بمصر وارتحل في طلب العلم ، وسمع من علماء كثر ، كان عالما في الحديث وشروحه وطرقه ورجاله ، كما ألف في الفقه وأصوله وعلوم أخرى ، انتشرت مصنفاته بين الناس وتهادتها الملوك ، ومن أشهرها فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، والإصابة في تمييز الصحابة ولسان الميزان وغيرها ، انظر البدر الطالع ١ / ٨٧ .

٣ ـ *فتح الباري ٨/ ١٢٠ .*

٤ ـ رواه الترمذي ـ كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في فضل التكبيرة الأولى ، حديث ٢٤١ ، ص ٦٦ ، ٦٧ ـ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٦٥٢ وحديث رقم ١٩٧٩ .

٥ ـ *الشِّقاق : بكسر الشين : أي الخلاف والعداوة ، بذل المجهود في حل أبي داود ـ خليل السهارنفوري ـ دار الريان ـ ط ١ ـ ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ ، ج ٧ / ٤٠٥ .*

٦ ـ ، انظر المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم ـ وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي ـ مكتبة ومطابع النصر ـ الرياض ـ ، وقال الحاكم " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ .

٧ ـ رواه أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب في الاستعاذة ـ حديث ١٥٤٦، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ورواه النسائي ـ كتاب الاستعاذة ـ باب الاستعاذة من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ـ حديث ٥٤٧٣ ، ص ٧٤٤ ، وقد ضعفهما الألباني ، فالأول ذكره في ضعيف سنن أبي داود برقم ٣٣٢ ، والثاني ذكره في ضعيف سنن النسائي برقم ٥٤٨٦ .

٢ ـ عظم خشيته ﷺ منه وعدم الأمن والتغافل عنه .

٣ ـ فيه ترغيب للأمة ليقتدوا به ﷺ في ذلك .

٤ ـ التعوذ من النفاق سبيل من سبل النجاة منه والبعد عنه .

٥ ـ قد يقع خلق من هذه الأمة في شعب النفاق وخصاله وهم لا يشعرون فيكون التعوذ منه تخلصا من الدخول في أبوابه وسبيلا لطلب المغفرة والعفو من الله تعالى عما يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم .

٦ ـ هذا الدعاء النبوي يقمع المنافقين ويغيظهم ويؤيسهم من انزلاق المؤمنين في مهاوي النفاق .

٧ ـ هذا الدعاء يُعلِم الأمة ويعلن لها عن خطر النفاق ويحذرها منه[١] .

إلى غير ذلك من الفوائد التي يمكن استنباطها من هذا الحديث الشريف .

---

١ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

ثانيا : بيان سوء عاقبة المنافقين :

إن الإنسان يستطيع أن يتحكم في سلوكه وفكره ويعدّل فيهما بمقدار إدراكه لطبيعة أو نوعية ما يترتب عليهما من نتائج[1]، ولذلك فمن الفطنة التفكير في عواقب الأعمال ، والعبد الصالح هو الذي يحرص على حسن المآل و العاقبة الحسنة ، وقد وردت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تذكر مصير المكذبين والمنافقين والكافرين وفيها بيان عاقبتهم في الدنيا والآخرة ، وفي ذلك تذكرة وعظة يتبصر بها المسلم .

ومن ذلك ما أخبر الله تعالى عن مآل المنافقين بقوله ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [2] ، كما أخبر النبي ﷺ عن عذاب المنافق في القبر فقال (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ، وأما المنافق و الكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[3] وتُصرف كثير من النصوص الواردة في عذاب المنافق إلى أن ذلك يشمل عذابه في الدنيا والآخرة لإطلاق اللفظ وعدم تقييده بأحدهما قال تعالى ﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ

1 ـ انظر بناء المجتمع الإسلامي ونظمه / ١٤٢ .

2 ـ سورة النساء (١٤٥) .

3 ـ صحيح البخاري ـ كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، حديث ١٣٧٤ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [1] . وكـــذلك قولـــه تعالى ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [2] على قول من أقوال أهل التفسير فيها [3] .

وقد أخبر الله تعالى عن سوء عاقبة المنـافقين فـي يـوم القيامـة ، ومـا يحـدث لهـم علـى الصـراط فـي قولـه سبحانه تعـالى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [4] . نعوذ بالله من سوء العمل وسوء العاقبة .

---

١ ـ سورة التوبة (٧٤) .

٢ ـ سورة التوبة (١٠١) .

٣ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ٦٠٤ .

٤ ـ سورة الحديد (١٣ ، ١٤ ، ١٥) .

ثالثا : قراءة سورة المنافقين في صلاة الجمعة :

إن صلاة الجمعة لها مكانة لا تخفى على مسلم ، وفيها يكون حضور المسلمين أكثر من غيرها من الصلوات ، وخطبة صلاة الجمعة لها أهمية كبيرة لأنها في كل أسبوع تطرح موضوعا يهم المسلم في دينه وحياته ، ولذلك هي فرصة دائمة للتوجيه والوعظ والإرشاد ، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة سورة المنافقين فقد رُوي عن أبي هريرة ؓ أنه صلى بالناس الجمعة فقرأ سورة الجمعة وفي الركعة الآخرة قرأ سورة المنافقين ، فقيل له إنك قرأت بسورتين كان علي ؓ يقرأ بهما بالكوفة ، فقال أبو هريرة ؓ "إني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة "[١] . وقد يكون رسول الله ﷺ خص صلاة الجمعة بهما ؛ لما في سورة الجمعة من الحث على حضور صلاة الجمعة والسعي إليها ، كما تذكر بعثته ﷺ والحكم الأربع منها ، وفي السورة حث على ذكر الله بل أمر به . أما سورة المنافقين ففيها من ذكر المنافقين وصفتهم وتوبيخهم ، وحثهم على التوبة ودعائهم إلى طلب الاستغفار من رسول الله ﷺ لأن المنافقين يكثر اجتماعهم في صلاة الجمعة ، وتختم السورة بالوعظ والحث على الصدقة[٢] ، فينبغي لخطباء المساجد التنبه لذلك والحرص على الإتيان بهذه السنة النبوية لما فيها من عموم النفع وذلك ببيان حقيقة النفاق والتحذير من خطره وتكرار ذلك على الأسماع .

كما أن سورة المنافقين تذكر وصفا دقيقا لحقيقة كفرهم وفيها بيان لأوصافهم وبعض أعمالهم ، كما أنها تحمل وعيدا شديدا لهم ، وهذه الآيات تقرع القلوب وتهز النفوس ، وهي دعوة للمنافق أن يتفكر ويتدبر لعله يتوب وينيب إلى الله تعالى ، كما أنها دعوة للمؤمنين حتى يتوخوا الحذر من الوقوع في النفاق.

---

١ ـ رواه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ، حديث ٢٠٢٦ ، ص ٣٠٥ .

٢ ـ انظر سبل السلام ٨٢/٢ .

رابعا : كشف الحقائق ودحض الشائعات :

وهذه الوسيلة من الوسائل المهمة في مواجهة المنافقين لأنه لابد من بيان الحق ودفع الشبه والاتهامات كما لابد من وضع الأمور في نصابها ، وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الوسيلة على وجهين :

الأول : أن يكون ذلك عن طريق التحقق من الخبر والتأكد من صحته لأن نشر الأخبار دون التأكد من صحتها يثير البلبلة ومن ذلك ما حدث من عبدالله بن أبيّ حينما كان في سفر مع النبي ﷺ وأصحابه فقال "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" فسمعه زيد بن أرقم رضي الله عنه فأتى النبي فأخبره بذلك ، فأرسل إلى عبدالله بن أبيّ فسأله ﷺ فاجتهد يمينه ما فعل وقال : كذب زيد . قال زيد : فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي إذا جاءك المنافقون [1] ، وكذلك ما كان في سؤاله ﷺ للجُلاّس بن سويد عندما اخبره عمير بن سعد بما تلفظ به من النفاق ، فسأله ﷺ عن ذلك .

الثاني : أن يكون عن طريق رد التهم عن المؤمنين والذّب عن أعراضهم وتبرئة ساحتهم إذا لم يكن منهم ما يثبت نفاقهم ، فقد ورد أنه ﷺ سمع بعض أصحابه يتحدثون في رجل منهم هو مالك بن الدُخشُم ويرمونه بالنفاق وودوا أنه هلك فقال ﷺ (أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله) قالوا : إنه يقول ذلك وما هو في قلبه ، فقال ﷺ (لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه)[2] . ففي هذا الحديث يدفع ﷺ التهمة عن رجل مسلم ويبيّن لأصحابه رضي الله عنهم حقيقة ينبغي عدم التغافل عنها وهي أن الإقرار بكلمة التوحيد يحمي صاحبه من النار ويدفع عنه مظنة السوء مادام لم يأت بناقض لها ، ومالك رضي الله عنه هو الذي أرسله ﷺ إلى مسجد الضرار وكان معه صحابي آخر أو صحابيان ، وهنا نجد أنه ﷺ دفع التهمة التي رُمي بها مالك بن

---

١ ـ رواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، حديث ٧٠٢٤ ، ص ١٠٤٣ .

٢ ـ رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ـ حديث ١٤٩ و١٥٠ ، ص ٤٠ ، بهذا اللفظ وروى نحوه في كتاب المساجد ـ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ـ حديث ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وروى نحوه البخاري في كتاب الصلاة ـ باب المساجد في البيوت ـ حديث ٤٢٥ ، ص ٩٠ ، وفي كتاب التهجد ـ باب صلاة النوافل ـ حديث ١١٨٦ ، ص ٢٠٦ ، وفي كتاب الأطعمة ـ باب الخَزِيرَة ـ حديث ٥٤٠١ ، ص ٩٩٢ .

الدخشم ﷺ بقوله وبفعله ﷺ أيضا ، وقد بوّب الإمام البيهقي [1] في السنن الكبرى بابا عنوانه [لا يُقبل الجرح فيمن ثبتت عدالته إلا بأن يقفه على ما يجرحه به] ، وقال فيه "فالنبي ﷺ لم يقبل قول الواقع في مالك بن الدخشن[2] بأنه منافق حتى تبين له من أين يقول ذلك ، لما بيّنه لم يره نفاقا فرد عليه قوله"[3] . ولهذا لابد للمسلم أن يذُب عن عرض أخيه المسلم وأن يدفع عنه تهمة السوء فالأصل سلامته إلا إن ثبت عكس ذلك .

١ ـ البيهقي : (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْروجردي الخراساني ، كان ديّنا ورعا علامة ثبتا أصوليا وواحد زمانه في الحفظ ، صنف تصانيف نافعة كثيرة مثل السنن الكبرى ، والأسماء والصفات ، وشعب الإيمان وغيرها ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٦٣ .

٢ ـ جاء في بعض المصادر أن اسمه " مالك بن الدخشن " . وفي ترجمته جاء " الدخشم " .

٣ ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ ـ ج ١٠ ـ كتاب آداب القاضي ـ باب ٢٩ ـ ص ٢١٢ .

المطلب الثاني : الوسائل العملية

أولا : العزل عن المؤمنين :

وقد ثبت استخدامه ﷺ لهذه الوسيلة على عدة أوجه هي :

الوجه الأول : عزل المنافقين عن المؤمنين وإخراجهم من المسجد عندما أظهروا الأذى للمسلمين وسخروا بالدين ، فقد ورد أن المنافقين كانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع منهم ناس يوما ورآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا إخراجا عنيفا [1] ، إن إخراج المنافقين من المسجد فيه دليل على عزلهم عن المؤمنين عزلا دينا واجتماعيا درء لشرهم ودفعا لمفسدتهم ، كما أن ذلك يعد عقابا لهم على أذاهم للمسلمين .

الوجه الثاني : العزل في من تخلف من المنافقين عن الغزو مع المسلمين دون عذر فإنه يعزل عزلا عسكريا ، وذلك بمنعه من الخروج إلى القتال مع الرسول ﷺ [2] ومن معه من المؤمنين ، قال تعالى﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ [3]

ففي هذه الآية بيان من الله عز وجل بمنعهم من المشاركة في الجهاد في سبيل الله وحرمانهم من الخروج مع النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين ؛ والعلة في ذلك أنهم قعدوا في بداية الأمر دون عذر يمنعهم من الجهاد ، وتخلفوا عن اللحاق بالجيش في دفع الأعداء فاستحقوا هذا العقاب .

---

١ ـ انظر السيرة النبوية ٢/٢٨٦ .

٢ ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن / ٥٦٥ .

٣ ـ سورة التوبة (٨٣) .

الوجه الثالث : عزل موتاهم عن موتى المسلمين وذلك بأن لا يصلي الرسول ﷺ على أحد مات منهم أبدا ، وبأن لا يقوم على قبره للدعاء له وهذا أشد قسوة على المنافقين من العزل العسكري وأبلغ في طردهم من صفوف المؤمنين[1] ، قال تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[2] .

١ ـ انظر الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي / ٥٦٦ .

٢ ـ سورة التوبة (٨٤) .

ثانيا : الإقصاء عن السيادة والقيادة :

وهذا الإقصاء ثبت بقوله ﷺ وبفعله أيضا . فقد ورد النهي عن التلفظ بسيادة المنافق على المؤمنين في قوله ﷺ (لا تقولوا للمنافق سيّد ،فإنه إن يك سيّدا فقد أسخطتم ربكم)[1] ، وفي رواية (فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم)[2] ؛ والسبب في هذا النهي أن المنافق ليس أهلا للسيادة على المؤمنين لأنه في حقيقته ليس منهم فكيف ينال السيادة عليهم ، كما أنه لسوء طويته وخبث مقصده لا يستحق السيادة أو القيادة أو الاحترام والتقدير .

أما إقصاء المنافقين بفعله ﷺ فذلك لأنه لم يرد في السيرة النبوية أن النبي ﷺ قد أعطى أحد المنافقين ولاية أو قيادة في أي شأن من شؤون المسلمين وهذا يدل على استبعادهم عن المناصب القيادية والإدارية في الدولة والمجتمع ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وجوب استعمال الأصلح في الولايات ، كما ذكر ركنا الولاية وهما : القوة والأمانة [3] ، وكلا الوصفين يفتقده المنافق ؛ لأنه خائن جبان ونفعي كاذب ، وهم بهذا الوصف لا يملكون الأهلية للولاية .

إن في تولي المنافقين ولاية على المسلمين مفسدة عظيمة خاصة في الشؤون العامة التي ينبغي لمن يتولاها أن يكون على قدر عالٍ من الصدق والإخلاص والأمانة والقوة في الحق ، كما لابد ان يتحلى بالورع فلا يأخذ من مال المسلمين ما لا يحلّ له ، ولا يستخدم السلطة التي يملكها إلا في الحق ، ويرى أحد الباحثين أن إبعاد المنافقين عن العمل في الإدارة هو من الوسائل التي تعمل ضمن توجه تحسبي وفي إطار التحصن من مجموعة سلوكيات كان القرآن الكريم قد حذر منها مثل الخيانة [4] ، واستدل بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ

---

١ ـ رواه أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب لا يقول المملوك ربي وربتي ـ حديث رقم ٤٩٧٧ ، ص ٧٠١ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٧١ .

٢ ـ رواه البخاري في الأدب المفرد ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ باب ٣٢٥ ـ حديث ٧٦٠ .

٣ ـ انظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ شيخ الإسلام بن تيمية ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة ـ المغرب ـ ط ٢ ـ ١٤١١ ـ ١٩٩١ ـ ص ١٩ وما بعدها .

٤ ـ انظر الإدارة في الإسلام ـ فهمي خليفة الفهداوي ـ دار المسيرة ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ـ ٢٠٠١ ـ ص ٧٥ .

تَعۡلَمُونَ ﴾ [1] وقولـــــه تعــــالى﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ ﴾ [2] .

إذن الإقصاء الذي اتخذه ﷺ بحق المنافقين هو إجراء قيادي يهدف إلى تجنب مفسدة كبيرة إن هم تسلموا ولاية على المسلمين، لإن توكيل الأمر لا يكون إلا لمن يستحقه ويملك القدرة على أدائه على الوجه المطلوب منه ، وهذا لا يتوفر في المنافق الذي يفتقد المقومات الأساسية للولاية و لا يملك الصفات المهمة للقيادة ، كما أن توليه شؤون المسلمين يمهد الطريق له لتحقيق مآربه وأهدافه ويسمح له بإيذاء المؤمنين الصالحين ، ولابد للمسلمين من الاهتمام بهذا الأمر والامتثال إلى أمره ﷺ والإقتداء بفعله .

---

١ ـ سورة الأنفال (٢٧) .

٢ ـ سورة البقرة (٢٠٥) .

ثالثا : هدم مركز تجمعهم :

وهو مسجد الضرار فقد ورد في السيرة النبوية أن أصحاب هذا المسجد أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا : "يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه" ، فقال لهم النبي ﷺ (إني على جناح سفر وحال شغل ، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه) ، ولما أقبل رسول الله ﷺ من غزوه ، نزل بذي أوان وأتاه خبر المسجد فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي فقال (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه) ، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن " انظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي " فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل في أصحاب هذا المسجد قول الله سبحانه تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[١] ، وكان الذي بنوه اثني عشر رجلا [٢]، فالنبي ﷺ عندما علم بخبر هذا المسجد الذي لم يبنى إلا لحرب الله ورسوله اتخذ ﷺ إجراء حاسما وسريعا لقطع دابر هؤلاء المفسدين ، وفي فعله ﷺ دلالة على معاقبة المفسدين بما يتناسب مع الفساد الذي بدر منهم فبنائهم لمسجد الضرار كانت عقوبته هي هدم ذلك البناء . وقد اعتبر شيخ الإسلام أن هدمه ﷺ لمسجد الضرار هو من أنواع التعزير بالعقوبات المالية [٣] .

إن أصحاب الباطل يبحثون دوما عن غطاء لهم ولأعمالهم الخبيثة ، لذلك ينبغي عدم الاغترار بالمظاهر ؛ لأن هؤلاء الخبثاء تستروا بأعظم الأماكن وأقدسها عند المؤمنين وهو بيت الله تعالى وجعلوا منه مقرًا للمؤامرات ومركزًا لأذى المسلمين

---

١ ـ سورة التوبة (١٠٧) .

٢ ـ السيرة النبوية ٧٥٠/٤.

٣ ـ انظر الحسبة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار إيلاف ـ الكويت ط ١ ـ ١٤١٨ ، ١٩٩٧ ـ ص ١٢٠ وما بعدها .

فكشفهم الله تعالى وفضح أمرهم لنبيه الكريم ، وأنزل سبحانه فيهم قرآنا يتلى ليكون بيانا للمؤمنين وتحذيرا لهم .

كما أن هدم النبي ﷺ لمسجدهم كان إجراء حاسما يتفق وأهمية الموقف ، وردا سريعا لا يحتمل التأجيل ، ووسيلة فاعلة تحدّ من خطرهم وتساعد على إيقاف مؤامراتهم ، ولنا في ذلك عبرة بسرعة اتخاذ الإجراء اللازم والحاسم ، وعدم التهاون معهم والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه الإفساد في الأرض .

الفصل الرابع :

أثر المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين والدروس المستفادة من ذلك وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثره على المجتمع المدني في عهده ﷺ والدروس الاجتماعية المستفادة من ذلك .

المبحث الثاني : أثره على الدعوة الإسلامية والدروس الدعوية المستفادة من ذلك .

المبحث الأول : أثر منهجه ﷺ على المجتمع المدني في عهده والدروس الاجتماعية المستفادة من ذلك وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثره على المجتمع المدني في عهده ﷺ .

المطلب الثاني : الدروس الاجتماعية المستفادة من ذلك .

المطلب الأول :

أثر المنهج الدعوي في تعامل النبي ﷺ مع المنافقين على المجتمع

عندما هاجر النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة المنورة صار لأهل الإسلام جماعة ومدينة وبذلك تكون المجتمع الإسلامي الأول[1] ، وهذا المجتمع الناشئ احتضن أطيافا متعددة اختلفت مشاربهم وتنوعت أهدافهم ولذلك كان بحاجة إلى قيادة قوية تتقن إدارة الأمور وتحسن التعامل مع كافة الأفراد . وهذه القيادة كانت بيد النبي ﷺ الذي تولى إدارة شؤون المجتمع في جميع النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فكان ﷺ نبيا ورسولا وقائدا ومعلما ومربيا كما وصفه الله تعالى في قولـــــه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[2] .

وتعد قيادة النبي ﷺ للمجتمع المدني هي الإدارة الأولى في الإسلام والتي من خلالها ظهر المنهج الإداري الإسلامي المستنبط من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وكان لهذا المنهج عدة سمات جعلت منه منهجا لا يجاريه أي منهج أو فكر أو نظام وضعي مهما بلغ من التقدم والرقي[3] .

وكان لقيادته ﷺ لذلك المجتمع أثر واضح على كافة الأصعدة الإنسانية ، ويتضح ذلك من خلال منهجه ﷺ في تعامله مع المنافقين والذي يبرز معنا في جوانب أربعة هي :

الجانب الأول : وحدة الدولة الإسلامية .

الجانب الثاني : استقرار المجتمع المسلم .

الجانب الثالث : تماسك الأسرة المسلمة .

الجانب الرابع : التوجيه الأخلاقي والسلوكي للفرد المسلم .

---

١ ـ انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام / ١٨٠ .

٢ ـ سورة الأحزاب (٤٥ ، ٤٦) .

٣ ـ انظر مبادئ الجودة الإدارية في الإسلام ـ خليفة عبد الله الفواز ـ ط ١ ـ ١٤٢٧ ـ ص ٤٤.

الجانب الأول : وحدة الدولة الإسلامية :

احتضنت المدينة المنورة معسكر الإيمان ، وفيها نشأت دولة الإسلام ، وقد حرص ﷺ على أن تكون هذه الدولة الموحِّدة دولة موحَّدة أيضا ، ولذلك اهتم ﷺ ببنائها على أسس قوية وقواعد راسخة ، وقد بدء بذلك ﷺ منذ وصوله للمدينة إذ قام ببناء مسجده النبوي ، وهذا العمل يحمل دلالات عظيمة في نواحٍ عدة ؛ عقدياً وتشريعياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وتعليمياً أيضا ، والناحية التي تعنينا هنا هي الناحية السياسية إذ أن ذلك يعكس اهتمامه ﷺ بقيادة الدولة والتي كان مقرها هو المسجد النبوي ، يقول أحد الباحثين "واتخذ النبي ﷺ من مسجده الشريف مقرا للقيادة ، يُعدّ فيه الخطط العسكرية ويعقد في رحابه مجالس الجهاد ويهيئ فيه المجاهدين الصادقين ، ويصدر فيه القرارات والأوامر والوصايا"[١] .

ومن تلك الأسس والقواعد التي تدعم وحدة الدولة وتعزز قوتها وتحميها من التمزق والانشقاق نجد اهتمامه ﷺ بمواجهة أعداء هذه الدولة ؛ والذين كانوا على جبهتين :

الأولى : هم الأعداء خارج الدولة ، و حماية الدولة منهم تكون إما بدفع شرهم ومواجهتهم في ميادين القتال ، أو بالمعاهدات التي تكون بينهم وبين المسلمين لحفظ الحدود والحقوق .

الثانية : وهم الأعداء في داخل الدولة وهؤلاء هم اليهود والمنافقون الذين كانوا يعيشون في المدينة ويستظلون بظلها وينعمون بخيرها وأمنها ومع ذلك كانوا يعادون أهلها ويسعون للإضرار بها .

والمتأمل في دعوة النبي ﷺ للمنافقين وتعامله معهم يجد أنه ﷺ استخدم منهجية خاصة بهم اشتملت على محاور سبق ذكرها والتي كانت كفيلة بمواجهتهم ودفع شرهم لحماية الدولة المسلمة من التمزق الداخلي وانشقاق الصف والمحافظة على وحدتها

---

١ ـ قادة النبي ﷺ ـ محمود شيت خطاب ـ دار القلم ـ بيروت والدار الشامية ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م ـ ص ٥٧٩ .

وتماسكها ، كما أنه ﷺ عندما ترك قتلهم قام بسد منفذ قد يدخل منه الأعداء ؛ لأن الانقسام الداخلي يغري أعداء الدولة للهجوم عليها وقد يسعون للتحالف مع المنافقين للنيل منها .

كما أنه ﷺ استخدم منهجا يحد من خطرهم وهو جهادهم باللسان وهذا المنهج يهتم بمواجهتهم وعدم السكوت على أعمالهم الخبيثة وفي الوقت ذاته يدفع الاضطرابات التي قد يُحدثها أولئك المفسدون وذلك يساعد على حفظ أمن الدولة .

أيضا في عزلهم وإقصاءهم حماية للدولة منهم لأنهم لا يمكن الوثوق بهم في تولي قيادة الدولة أو إدارة شؤونها ، كما أنهم أصحاب أهواء وطلاب دنيا ولذلك لا يؤمن جانبهم ، وفي هدمه ﷺ لمسجد الضرار نجد أن ذلك تصديا لمحاولاتهم لتقويض بناء الدولة والتآمر عليه فكان هدمه حماية للبلاد والعباد من شرهم .

الجانب الثاني : استقرار المجتمع المسلم :

عندما تنشأ المجتمعات الإنسانية فإن من الأولويات التي يهتم بها قادتها هو استقرار هذا المجتمع ودعم تماسكه وقوة ترابطه ويظهر هذا الاهتمام عند النبي ﷺ ؛ فقد حرص على استقرار المجتمع المسلم في المدينة النبوية واتخذ ﷺ بعض الإجراءات التي ساعدت على ذلك ومنها :

أ ـ تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين بجعل الرابط الديني هو الأساس لها وكان ذلك عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكان ذلك في أول قدومه ﷺ للمدينة ؛ فالمهاجرين تركوا الدار والأهل والمال فرارا بدينهم ، والأنصار هم أهل الدار الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم لإخوانهم ، واكتمل ذلك التلاحم الاجتماعي بالمؤاخاة الدينية بينهم ، قال الله تعالى ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، وقد ذكر ﷺ تلاحم المؤمنين بقوله (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبّك ﷺ أصابعه[2] .

ب ـ البعد عن كل ما يثير الفتن والاضطرابات الاجتماعية التي تهوي بالمجتمع وتمزق أوصاله ، وهذه الفتن والاضطرابات الاجتماعية تنشأ من عدة طرق أهمها : إثارة التعصب القبلي وتحفيز الحميّة لقبيلة أو جماعة بعينها ، وقد نبذ ﷺ هذه العصبية فقال (دعوها فإنها منتنة[3])[1] .

---

١ ـ سورة الحشر (٨ ، ٩) .

٢ ـ رواه البخاري في كتاب الصلاة ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ـ حديث ٤٨١ ، ص ٩٩ ، كتاب المظالم ـ باب نصر المظلوم ـ حديث ٢٤٤٦ ، ص ٤٢٠ ـ وكتاب الأدب ـ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ـ حديث ٦٠٢٦ ، ص ١٠٨٦ ـ ورواه مسلم نحوه في كتاب البر والصلة ـ باب ١٧ ـ حديث ٦٥٨٥ .

٣ ـ منتنة : بضم الميم وسكون النون أي قبيحة وخبيثة .

أو أنها تنشأ بإشعال ما يثير البلبلة بين الناس مثل الأكاذيب و الشائعات التي تنتشر بين العامة .

وفي مواجهته ﷺ للمنافقين اهتم بهذا الجانب ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من أن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين تألفا لقومهم ودفعا لحميتهم وهذا الأمر له أهميته في دعم تماسك المجتمع لأن قتال المنافقين أو طردهم من المدينة قد يثير الحميّة القبلية الموجودة عند بعض المسلمين ويهب للدفاع عن بني قومه و قد تحدث فتنة بين المسلمين بسبب ذلك ، وقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك في حديثها عن حادثة الإفك وعن الحمية التي كانت عند سعد بن عباده رضي الله عنه فقالت "وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحميّة " ثم وصفت ما اعترى الصحابة من اختلاف فقالت " فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا "[2] .

كذلك عمل النبي ﷺ على إخماد الفتن ودفع الاضطراب كما فعل في غزوة بني المصطلق عندما تنازع بعض المسلمين وقال ابن أبّي مقالة الفتنة بين المهاجرين والأنصار فأمر ﷺ بالرحيل حتى ينشغل الناس عن ما هم فيه .

كما أن مواجهة الشائعات لها دور مهم في حماية المجتمع من البلبلة التي يثيرها المفسدون وينشرها الغوغاء من الناس وهذا ما حدث منه ﷺ في حادثة الإفك إذ خطب في الناس لدفع مقالة السوء وتوعد بأصحابها ، ثم نزلت براءتها رضي الله عنها في القرآن ، وبهذا انقطعت تلك الشائعة الخبيثة .

---

١ ـ رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم .... ﴾ حديث ٤٩٠٥ ، ص ٨٩٥ ، وباب قوله تعالى ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة .... ﴾ حديث ٤٩٠٧ ، ص ٨٩٦ ـ ورواه مسلم في كتاب البر والصلة ـ باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ـ حديث رقم ٦٥٨٤ ، ص ٩٧٣ .

٢ ـ رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب ٣٤ ـ حديث ٤١٤١ ، ص ٧٢٤ .

الجانب الثالث : تماسك الأسرة المسلمة :

إن لفظ الأسرة " يُطلق الأسرة على الرجل وزوجته وأبويه وأولاده " [1] ، وهي نواة المجتمع ومَحضِنُ أفراده يتلقّون فيها القيم ، وتُغرس في نفوسهم المبادئ والمُثل فيخرجون إلى المجتمع وفق ما أنشأتهم هذه الأسرة عليه ، وقد يختلف الأفراد الموجودون في الأسرة الواحدة ويتفاوتون فيما بينهم ، فيخرج منافق في أسرة مسلمة مؤمنة ، أو يظهر مؤمن في أسرة منافقة كما قال الله تعالى﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [2] ، وقد وقع مثل ذلك لبعض أصحاب الرسول ﷺ مثل ما حدث مع عبدالله ذلك الصحابي الجليل الذي يعد من فضلاء الصحابة وخيارهم فوالده عبدالله بن أُبيّ بن سلول الذي كان رأس النفاق وزعيم المنافقين ، وقد مرت قصته رضي الله عنه عندما جاء إلى النبي ﷺ فقال " يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أُبيّ فيما بلغني عنه فإن كنت لابد فاعلا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار " فقال له ﷺ (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) [3] .

وفي هذا التوجيه النبوي عبر عدة منها :

أن النبي ﷺ أمر عبدالله بالإحسان لوالده المنافق والترفق به وهذا من كمال عنايته ﷺ بأصحابه ، لأن بر الوالدين والإحسان لهما هو طاعة لله وامتثال لأمره سبحانه .

ومنها مراعاة النبي ﷺ للأحوال التي يمر بها أصحابه رضي الله عنهم لإن الابن المؤمن وقع في حرج بين ولائه لدينه وبين بره لأبيه فكان أمره ﷺ يحمل رفعا لذلك الحرج .

---

١ - انظر كتاب نحو ثقافة إسلامية أصيلة - عمر الأشقر ص ٢٨٧ .

٢- سورة الأنعام جزء من الآية (٩٥) .

٣- *انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥٩٦/٣ .*

ومنها ضرورة الإحسان إلى الوالدين وإن كانا على كفر أو معصية لأن ذلك طاعة لله ورسوله ، فالنبي ﷺ لم يأمر عبدالله بقتل أو هجر أو عقاب بل أمره بإكمال ما هو عليه في بره لأبيه .

ومنها أن الرابط الأسري من أعمق الروابط الإنسانية ولابد من الحرص على متانته وذلك بالمحافظة على استقرار الأسرة وتماسكها .

ومنها سرعة استجابة الصحابة ﵃ لأمر الرسول ﷺ إذ أن عبدالله حين سمع بما حدث وما قد يأمر به ﷺ أسرع ليبادر بالامتثال لأمره ﷺ .

ومنها ضرورة إنكار المنكر وعدم الرضا به ولو كان من أقرب الناس .

إن الأسرة المسلمة التي يظهر على فرد فيها علامة من علامات النفاق أو عمل من أعمال المنافقين فيها تعاني من صدع كبير وعميق وعلاج هذا الصدع في منهجه ﷺ الذي يرتكز على أمور هي :

أولا : التعامل معه بالرفق والإحسان امتثالا لقوله ﷺ لعبدالله بن عبدالله بن أبيّ (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا) والرفق والإحسان لا يقتصر على الوالدين فقط فمنهجه ﷺ يشمل كل من كانت هذه صفته .

ثانيا : دعوته وفق منهج النبي ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة وما فيها من الترغيب والترهيب و ضرب الأمثال ونحو ذلك .

ثالثا : ضرورة إنكار المنكر وعدم الرضا به وأن هذا لا يتعارض مع المعاملة بالحسنى والدعوة بالموعظة الحسنة ، لأن الرضا بالمنكر يعد منكرا أيضا ولا يصح ذلك من مؤمن .

رابعا : التوجيه الأخلاقي والسلوكي للفرد المسلم :

إن في منهجه ﷺ مع المنافقين وما ورد فيه من أقوال وأعمال تصرف الانتباه إلى بعض الأمور المهمة التي تدعم بناء شخصية المسلم وتمنحها التوازن والثبات ليس مع المنافقين وحسب بل في التعامل مع جميع الناس ومن هذه الأمور :

أ ـ التوجيه إلى الالتزام بمحاسن الأخلاق ونبذ السيئ منها لأنه ﷺ ربط الأخلاق السيئة والصفات القبيحة بالنفاق والمسلم الذي يروم البراءة لدينه سيسعى جاهدا أن لا يتصف بأخلاق المنافقين وصفاتهم ولا يشابههم بها ، كما أن في منهجه ﷺ دعوة للمسلمين أن يجتنبوا سلوك المنافقين ، وأن يهتم المسلم بتوجيه سلوكه وتهذيبه حتى لا يكون من زمرة المنافقين .

ب ـ التروي وضبط النفس : إن ضبط النفس في التعامل مع المشكلات والمصائب والمصاعب التي يواجهها المسلم هو تهذيب للنفس وتغيير للسلوك وتحسين للأخلاق ، وقد كان من أخلاقه ﷺ ومن عادته في كل أمره التروي وضبط النفس ، ولكن مع المنافقين برزت لنا هذه الصفة ، وبرزت بشكل واضح في غزواته ﷺ عندما كان المنافقون يثيرون الفتن والمشكلات ، وتأتي أهمية التروي وضبط النفس في مواجهة المنافقين لأنهم أهل فتنة يكيدون ويمكرون في الخفاء ، وإخماد الفتنة يستلزم التروي وضبط النفس كما أنهم يتلونون ويتغيرون ويستخدمون أساليب ووسائل ملتوية لتحقيق مرادهم ومجابهة هذا تحتاج إلى التمهل والتروي وضبط النفس ، أضف إلى ذلك أن الانفعال والتسرع في مواجهة المشكلات لا يقدم حلا لها بل يزيدها تعقيدا لذلك كان ﷺ يتعامل مع الفتن والمشكلات التي يشعلها المنافقون ويثيرونها بكل حكمة وروية .

ج ـ تعزيز مبدأ الرقابة : والرقابة كما يذكر أحد الباحثين ثلاثة أنواع ذكرها تعالى في سورة التوبة في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [1] وهذه الأنواع هي :

ـ رقابة ذاتية في قوله تعالى﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ .

ـ ورقابة إدارية في قوله تعالى ﴿ وَرَسُولُهُۥ ﴾ .

ـ ورقابة شعبية في قوله﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [2] .

وهذه الآية نزلت في خطاب الله سبحانه وتعالى للمنافقين ولكنها لا تختص بهم بل تتأكد على كل مسلم ، فالرقابة الذاتية تتحقق بمراقبة الله وخشيته في السر والعلن أما الرقابة الإدارية فقد كانت للنبي ﷺ ولمن تحته في المهام القيادية من الصحابة ﷺ وهي الآن للعلماء وولاة أمر المسلمين . والرقابة الشعبية هي ما يكون في عامة المسلمين من إنكار المنكر ورفع المخالفات التي تصدر المنافقين إلى ولاة الأمر والعلماء كما كان يعمل الصحابة ﷺ .

١ ـ سورة التوبة (١٠٥) .

٢ ـ انظر مقدمة في الإدارة الإسلامية ـ أحمد داود الأشعري ـ جدة ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ ـ ص ٣٥٦ وما بعدها .

المطلب الثاني :

الدروس الاجتماعية المستفادة من منهجه ﷺ في التعامل مع المنافقين

١- إن وجود المنافقين في المجتمع المسلم أمر واقع ولا جدال فيه ولا عبرة بقول من يقول إنهم كانوا في زمن النبي ﷺ فقط ، بل ثبت عنه ﷺ أنهم موجودون إلى قيام الساعة ، وعلى مر التاريخ تعرض المسلمون لمحن شتى كان للمنافقين فيها دور كبير في التعاون مع أعداء الإسلام .

٢- إن المنافقين أفراد في مجتمعنا وقد يكونون قريبون جدا منا لذلك لابد من معرفة أحوال المنافقين وصفاتهم وطريقتهم في التعامل مع المسلمين ومع غيرهم حتى يكون المسلم على بينة في ذلك ويتنبه للخطر الذي يأتي منهم .

٣- إن قوة الدولة وتماسك بنائها يكمن في وحدة الصف واجتماع الكلمة ، لأن الفرقة والانشقاق الداخلي يجعلها هدفا سهلا لأعدائها وقد يمكنهم من القضاء عليها ، لذلك لابد من توحيد الصفوف والكلمة حتى تتمكن البلاد من التصدي لما يواجهها من مكائد الأعداء .

٤- ضرورة التصدي للمتربصين بالدولة المسلمة سواء كانوا في داخلها أو في خارجها والعمل على إيقاف مخططاتهم وكشف أهدافهم وغاياتهم وفضح أساليبهم ووسائلهم وبيان خطرهم على الدين والمجتمع ولابد من استغلال وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة في ذلك .

٥- إن للمنافقين منافذ يدخلون للناس منها ويسعون من خلالها لإفساد العباد والبلاد ، فلابد من معرفة هذه المنافذ والحرص على التصدي لها وضرورة توعية المسلمين بذلك حتى لا يجد المنافقين آذانا صاغية لهم .

٦- نشر الوعي الفكري بين أفراد المجتمع حتى يعي كل فرد الدور المناط به والكيفية الصحيحة للقيام به ، لأن بعض الناس قد يجهل ما هي الواجبات التي هو ملزم بها أو

كيفية القيام بأدائها لذلك لابد من الحرص على نشر التوعية بين الناس بواجباتهم نحو المجتمع ومن فيه .

٧ـ أهمية وجود القيادة الحكيمة الحازمة التي تقدّر حجم المسؤولية وتتقن الإدارة وتحسن وضع الأمور في موضعها الصحيح ، كما أنها تجيد التعامل مع الأحداث والمواقف بالطريقة التي ترضي الله تعالى وتخدم أهدافها النبيلة ، وأعظم مثال في القيادة هو النبي ﷺ .

٨ـ الدور الكبير والمؤثر للمسجد وأهميته في حياة المسلمين من نواحٍ عدة وضرورة الاستفادة من ذلك في تذكير الناس بما يقوي من عزائمهم ويشحذ هممهم لما فيه صلاح لحياتهم في الدنيا والآخرة .

٩ـ إن اختياره ﷺ لحذيفة ﷺ ليكون صاحب سر رسول الله ﷺ ، فيه درس لكل قيادي وإداري بأن الإمكانات والمؤهلات عند الفرد لابد أن تتوافق مع العمل أو المهمة التي تُطلب منه إذ " كانت سياسة النبي ﷺ تقوم على اكتشاف مزايا أصحابه والإفادة من طاقاتهم الكامنة في ذواتهم وذلك بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب "[١] .

١٠ـ لابد من توعية أفراد المجتمع في كيفية العمل وفق المنهج الشرعي في حال وقوع الفتن أو إثارة الشبهات ، وهذا المنهج يقتضي الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم في ذلك .

١١ـ قوة الرابطة العقدية والأخوة الدينية واستعلائها على باقي الروابط البشرية فهي أوثقها وأوقرها ، لأن الإيمان الصادق يتعمق في داخل النفس الإنسانية ويتأصل في القلب بذلك يصبح هو المحرك الأساس لكل المشاعر والتصرفات .

١٢ـ أهمية حماية المجتمع من دعوى الجاهلية في التعصب القبلي أو التحيز الإقليمي أو غير ذلك من أنواع التعصب لأن ذلك يزرع بذور الخلاف والتناحر وينخر في

---

١ ـ صور من حياة الصحابة ـ عبد الرحمن رأفت الباشا ـ دار الأدب الإسلامي ـ القاهرة ـ ط ١٠ ـ ٢٠١٠ ـ ج ١ / ٢٩٢ .

وحدة المجتمع ، وضرورة التنبه إلى حقيقة شرعية هي أن التفاضل في الإسلام لا يكون إلا بالتقوى .

١٣ـ محاربة الشائعات واللجوء إلى الطرق الصحيحة في إيقافها وذلك تبعا لما ورد في الشريعة الإسلامية في التثبت من الخبر قبل الحديث فيه والتحقق من صحته ، وضرورة التوقف عن الحديث في الأخبار المشكوك فيها إلا لمن كانت له الصلاحية في التحقق منها .

١٤ـ إن الشريعة الإسلامية لا تلغي الروابط الأسرية لأنها روابط فطرية لا يمكن إلغاؤها أو تجاهلها ولكن تتعامل معها وفق ما أمر الله تعالى به في التعامل بالعدل والإحسان مع ضرورة إنكار المنكر وعدم السكوت عنه .

١٥ـ لابد لكل مسلم من معرفة المنهج الشرعي في كيفية التعامل مع المنافق خاصة إذا كان هذا المنافق فردا في الأسرة ، حتى لا يقع في إفراط أو تفريط بل يكون على بينة في أمره فلا يجامل في دينه وعقيدته ، ولا يقطع قرابته ورحمه .

١٦ـ أهمية وجود الرقابة بأنواعها الثلاثة وضرورة فهم الناس لها وكيفية الإتيان بها ، والعمل على نشرها كمبدأ شرعي واجتماعي وإنساني مهم لأنها تسهم في رفع مستوى الوعي والإصلاح عند الناس .

١٧ـ الاستفادة من كل حدث أو موقف وتحويله إلى درسا إيمانيا وتربويا والإقتداء بالنبي ﷺ في ذلك إذ كان يستثمر المواقف والأحداث في التربية و التوجيه المباشر وغير المباشر .

١٨ـ حاجة المجتمع إلى وجود متخصصين من أهل العلم يبرعون في جميع المجالات الإنسانية والاجتماعية ، حتى لا يجد المنافقون والعلمانيون مجالا لإفساد الناس بل يجدون من يقف لهم بالمرصاد .

١٩ـ أهمية الترغيب بالثواب والترهيب من العقاب واعتبار ذلك محفز كبير في توجيه السلوك الإنساني لأن الثواب والعقاب كما يرى أحد الباحثين من وسائل الضبط الاجتماعي في الإسلام[١] .

٢٠ـ إن السكوت على المفسدين هو اشتراك معهم في إفساد الأرض ، لأنه دعم لهم ورضا بما يفعلونه ولذلك يجب الإنكار عليهم بحسب القدرة التي تتوفر لمن رأى منكرهم .

٢١ـ تربية الناشئة المسلم على أن تكون له شخصية مستقلة ذات مبادئ وقيم صالحة فلا يكون إمعة جاهلا أو تابعا ذليلا ، وقدوته في ذلك صغار الصحابة مثل عمير بن سعد وزيد بن أرقم ﷺ .

٢٢ ـ عدم الاغترار بالمظاهر وضرورة التمهل قبل الحكم على الأشخاص أو المواقف لأن الله تعالى وصف المنافقين بقوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾[٢] .

٢٣ـ قد يرتدي الباطل لباس التقوى وقد يتحدث المنافق بلسان المؤمن ولكن لابد أن يكشف الله الخفاء و يرفع الغطاء ، كما فعل المنافقين عندما بنوا مسجد الضرار ، لذلك لابد أن يفطن المؤمن ويتنبه للعلامات الصاحبة لهم والأمارات الدالة عليهم .

٢٤ ـ بيان أهمية التقوى وإصلاح النية لأن صلاح القول والعمل عند المسلم يتعلق بصلاح باطنه وما تحمله نفسه في داخلها من معتقد ، ومن المعلوم أن سلوك الإنسان وتصرفاته هي مرآة تعكس ما في داخله من مبادئ وقيم .

---

١ ـ انظر علم الاجتماع الديني ـ إحسان محمد الحسن ـ دار وائل للنشر ـ عمان ـ ط ١ ـ ٢٠٠٥ ـ ص ١٧٦ .

٢ ـ سورة المنافقون جزء من الآية (٤) .

المبحث الثاني : أثر منهجه ﷺ على الدعوة إلى الله والدروس الدعوية المستفادة من ذلك :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر منهجه ﷺ على الدعوة إلى الله تعالى .

المطلب الثاني : الدروس الدعوية المستفادة من ذلك .

المطلب الأول : أثر منهجه ﷺ على الدعوة إلى الله تعالى

إن الدعوة إلى الله تعالى وتزكية النفوس هما الركيزة الأساسية في دعوة الرسل وهما مفتاح التغيير في كل مجتمع بشري يراد إخراجه من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام [1] ، قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2]، وقد كان لدعوة الرسول ﷺ أثرا عظيما في حياة البشرية جمعاء بدء بالصحابة ﷺ وقد ذكر ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه فقال :

نبي أتانا بعد يأس وفترةٍ

من الرسل والأوثان في الأرض تعبدُ

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا

يلوح كما لاح الصقيل المهندُ

وأنذرنا نارا وبشر جنةً

وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ [3]

والمنهجية الدعوية التي اتخذها النبي ﷺ في دعوته وتعامله مع المنافقين كان لها أبعادا إيجابية تظهر فيما يلي :

---

١ - انظر الثوابت والمتغيرات / ٣١٤ .

٢ - سورة الحديد (٩) .

٣ - ديوان حسان / ٥٤ .

أولا : أثر منهجه ﷺ على الدعوة ذاتها :

منذ أن صدع ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى في مجتمع الوثنية ظهرت عداوة المشركين لها وتربصهم بها واستمر هذا العداء حتى بعد الهجرة النبوية بل ازداد لوجود المنافقين واليهود في المدينة النبوية ، ولأن الدعوة إلى الله محفوظة بحفظ الله تعالى وهي مستمرة في ظل حمايته سبحانه وتعالى فقد سخر لها من الأسباب ما عزّز قوتها وزاد من حصانتها ؛ ومن تلك الأسباب النهج الذي اتخذه ﷺ في دعوته للناس على مختلف أصنافهم ومنهم المنافقون .

إن منهج النبي ﷺ في دعوة المنافقين كان له أثر واضح وكبير في بيان أحوال وأعمال وصفات هؤلاء المفسدين الذين هم عدو من أعداء الدعوة وهم في الوقت ذاته صنف من أصناف المدعوين توجه لهم الدعوة بمنهج خاص وأساليب ووسائل تتبع ذلك المنهج كما ورد في الكتاب والسنة .

كما ظهر أثر منهجه ﷺ في تنظيم الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى وترسيخ مبدأ الأهم فالمهم ، مثل تجاوزه ﷺ عن قتل المنافقين حتى لا يُفهم على غير حقيقته ويكون لذلك ضرر يقع على الدعوة كما هو واضح في قوله ﷺ (دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) .

ومن الأثر الذي كان لمنهجه ﷺ تنبه رجال الدعوة أن يأخذوا حذرهم من مكائد خصومهم إذ أنهم يتربصون بهم ويكيدون لهم ويرمون عليهم الأقاويل الباطلة وهم لا يقيمون وزنا لعالم أو داعية ، فكان في منهجه ﷺ حماية للدعوة ورجالها إذ حفظ لهم حق الدفاع عن أنفسهم وأعراضهم ودفع الأقاويل الباطلة عنهم ورد الشائعات التي تنال منهم وإعلان ذلك على الملأ ومعاقبة المتسبب في ذلك . ومع أن هذا حق مكفول لجميع الناس لكنه لرجال الدعوة ألزم .

لقد كان لمنهجه ﷺ أثر جميل إذ أنه أعطى صورة مشرقة في حمل الدعوة عند الناشئة الصغار وجرأتهم في قول الحق وأن لا يخافوا في الله لومة لائم ، وهو ما كان من زيد بن أرقم وعمير بن سعد رضي الله عنهما وهما بذلك قدوة رائعة لشباب المسلمين وناشئتهم .

ومن آثاره أيضا أن فيه دعما لكل مؤمن ابتلي بمنافق يخرج في أسرته وأهله فقد حدث ذلك مع الصحابة ﷺ ، وقد بيّن ﷺ الطريقة المناسبة والصحيحة في التعامل مع هذا الوضع .

وفي منهجه ﷺ أثرا عظيما فيما يتعلق بحياة المسلمين عموما وفي ميدان الدعوة إلى الله بشكل خاص وهو عدم الاغترار بمظاهر الناس والتنبه لذلك لأن عبدالله بن أُبيّ رأس النفاق كان يتظاهر بالصلاح وحب الخير ويخفي كفره وخبثه وذلك ينطبق عليه قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [1] .

لقد واجه ﷺ أعداء الدعوة وخصومها وأحبط مخططاتهم ومؤامراتهم ومحاولاتهم لإيقافها ولم يتساهل في ذلك ، ولم يحابِ أو يجامل أحدا في دين الله فعندما كان يصل إليه خبر عن المنافقين كان ﷺ يسألهم عنه وهذا أمر مهم ينبغي التنبه له وهو أن الخطأ لا تتغير حقيقته ولا يُنظر له باعتبار صاحبه بل هو خطأ يعاقب مرتكبه بغض النظر عمن هو .

كما كان لمنهجه ﷺ أثر في وحدة جميع المسلمين تحت مظلة الدعوة الإسلامية وخضوعهم كلهم لحكم الله تعالى حتى المنافقين يدخلون في ذلك .

---

١ ـ سورة البقرة (٢٠٤) .

ثانيا : أثر منهجه ﷺ على موضوعات الدعوة :

إن الدعوة الإسلامية ترتكز على موضوعات ثلاث هي : العقيدة والشريعة والأخلاق ، وقد كان للمنهج النبوي في دعوة المنافقين أثرا في كل موضوع منها .

أولا : العقيدة :

لقد كان لهذا المنهج أثرا كبيرا في جانب العقيدة من ناحيتين :

الأولى : بيان حقيقة النفاق والتركيز على أهمية سلامة المعتقد ، لأن النفاق هو إسلام ظاهري ولم يتوفر فيه الاستسلام الباطني لله ، وذلك مناقض للإيمان الذي هو اعتقاد القلب و إقرار اللسان وعمل الجوارح فصار المنافق بذلك كافرا لأن الكفر لا تتغير حقيقته بالتلبس بالإسلام . ولهذا أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ أن أعمال المنافق لن تُقبل منه لأنه لم يأت بالشرط الذي تُقبل به الأعمال وهو الإيمان ، فأي قول أو عمل لا يتصل بحقيقة الإيمان هو باطل ومردود ، وبعض المنافقين يتحقق عنده هذا بشكل جزئي بحسب حاله في النفاق .

و أهمية القلب تظهر بوضوح في هذا الجانب لأن سلامة القلب من الكفر والنفاق يتبعه سلامة القول والعمل منهما أيضا ، وهذا ما ذكره تعالى في قوله﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1] وقوله ﷺ (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب)[2].

والثانية : توضيح الضوابط الشرعية في التعامل مع المنافقين :

لقد وضع هذا المنهج ضابطا شرعيا في حفظ الحقوق لمن دخل في الإسلام وقام بأركانه الخمسة فهو مسلم له ما للمسلمين من حقوق وعليه مثل ما عليهم من الواجبات

١ ـ سورة الشعراء (٨٨ ، ٨٩) .

٢ ـ سبق تخريجه ص ٦١ .

وإن قام بما يُوجب حدا شرعيا وثبت ذلك عليه ببينة أو إقرار فيقام عليه الحد ، وبذلك تكون له عصمة الدم والمال إلا إن أتى بناقض للإسلام .

كما لابد من مراعاة الدقة في الألفاظ وإصدار الأحكام [1] وهذا من أثر هذا المنهج أيضا إذ لابد من الابتعاد عن رمي التهم وإطلاق الأوصاف إلا ببينة واضحة وجلية ، كما يجب على المسلم إذا رأى أو سمع تعديا على حدود الله أو تجاوزا شرعيا فعليه أن يرفع ذلك للعلماء وولاة الأمر لينظروا فيه ويتعاملوا معه وفق المنهج الشرعي في ذلك .

ثانيا : الشريعة : إن قبول العمل عند الله تعالى يرتبط ارتباطا وثيقا بصحة المعتقد وسلامته من الكفر والنفاق ، وقد أخبر تعالى عن ذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [2] وقال ﷺ (آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم) [3] .

والمتأمل في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحدثت عن عبادة المنافقين يجد أنها عيّنت عبادات دون غيرها كالصلاة والصدقة وقراءة القرآن؛ والسبب في ذلك والله أعلم أن هذه العبادات ظاهرة للناس يرون تعبده بها فيحاول الإتيان بها كالمؤمن ولكن شتان ما بينهما ، قال تعالى﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ

---

١ ـ انظر النفاق والمنافقون في ضوء السنة / ٢٦٠ .

٢ ـ سورة التوبة (٥٤) .

٣ ـ سبق تخريجه ص ٤٨ .

نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [1] وقال ﷺ (أكثر منافقي أمتي قراءها) [2].

ومن أثره أيضا بيانه ﷺ لأعمال تبرئ من النفاق مثل المحافظة على صلاة الجماعة في قوله ﷺ (من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار) [3] . والالتزام بالجماعة في المسجد هو التزام لا يستطيعه المنافق ولا يقوى عليه .

ثالثا : الأخلاق :

إن الإسلام هو دين الأخلاق وقد دعا للتحلي بالصفات الحسنة والحميدة لأنها أخلاق المؤمنين الصالحين ، وصاحب الخلق الحسن تُحمد سيرته في الدنيا وينال أجره في الآخرة ، وأهمية الأخلاق تأتي في أنها انعكاس لصلاح النفس وإيمانها ؛ ولذلك نجد أن النبي ﷺ عندما ذكر صفات المنافقين ونسب تلك الصفات لهم كان في ذلك دعوة لنبذها والبعد عنها كليا حتى يسلم المرء من النفاق لأن بعض المسلمين قد يتهاونون في التخلق بالأخلاق السيئة ولكنه إن علم أنها من صفات المنافقين وأن الاستمرار بالعمل بها هو نفاق فعندها قد يتراجع عن ذلك ، فقوله ﷺ (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) [4] ، فهذا الحديث ينسب الكذب للمنافق وفيه تحذير للكاذب لأن الكذب خلق المنافق ، وكذلك قوله ﷺ (أربع من كن فيه كان منافق خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر) [5] وقوله ﷺ

---

١ ـ سورة التوبة (٥٤) .

٢ ـ سبق تخريجه ص ٤٥ .

٣ ـ سبق تخريجه ص ١٨٩ .

٤ ـ سبق تخريجه ص ٤٨

٥ ـ سبق تخريجه ص ٣٩ .

(خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت والتفقه في الدين) [1] فجميع تلك الصفات نُسبت للنفاق وأهله وفي هذا حث على تركها .

إن النبي ﷺ اهتم بالتوجيه الأخلاقي ودعم ذلك بتطبيق عملي منه ، لأنه ﷺ كان القدوة المثلى في التحلي بمحاسن الأخلاق وكريم الشمائل ، وقد امتدحه الله تعالى بذلك فقال تعالى﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] ، كما بيّن تعالى أنه ﷺ قدوة للمؤمنين وأسوة لهم ، قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [3] .

---

١ ـ سبق تخريجه ص ١٨٨ .

٢ ـ سورة القلم (٤) .

٣ ـ سورة الأحزاب (٢١) .

ثالثا : أثره على الداعية إلى الله :

قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1]، وقال تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2] ، لقد كان النبي ﷺ أنموذجا فريدا في التعامل مع الناس بمختلف أنواعهم ، وكانت سيرته ﷺ منهج حياة يستنير بها الدعاة إلى الله تعالى ويتعلمون منها ويستخرجون منها الدروس والتوجيهات التي تفيدهم في حياتهم العامة والخاصة . وقد كان لمنهجه ﷺ في دعوة المنافقين والكيفية التي تعامل بها معهم كان لذلك أثرا على الدعاة إلى الله تعالى من الحيثيات التالية :

أولا : من حيث التهيئة والإعداد المسبق للداعية .

ثانيا : من حيث الآداب والصفات التي يتخلق بها الداعية .

ثالثا : من حيث تنوع وتجدد الأساليب والوسائل الدعوية .

---

١ ـ سورة الأحزاب (٢١) .

٢ ـ سورة يوسف (١٠٨) .

أولا : من حيث التهيئة والإعداد المسبق للداعية :

إن من الأهمية بمكان أن يكون لدى الإنسان فكرة أو لمحة ولو صغيرة عن ما هو مقبل عليه ؛ لأن هذا الإعداد المسبق يعطيه المعرفة التي يحتاجها ويساعده على فهم المتطلبات اللازمة لذلك ، كما أنه يعينه في التعامل مع ما يصادفه من مشكلات وعوائق ، وقد تطرق القرآن الكريم والسنة الشريفة لذلك إذ ورد فيهما ذكرا لوصف المنافقين وأعمالهم وأخلاقهم وأساليبهم وكل ما يتعلق بهم وهذا إعداد معرفي مسبق يفيد الداعية في دعوته ويعينه على فهم جميع الجوانب المتعلقة بالمنافقين ، ومعرفة ما يؤثر فيهم وما يثير اهتماماتهم وبالتالي تتكون لديه فكرة عن المداخل التي يستثمرها في دعوتهم .

كما تعين التهيئة والإعداد الجيد على توخي الحذر ، فالداعية إذا علم بعلامات النفاق وأنواعه وكان على دراية بصفات المنافقين وأهدافهم وأساليبهم ، كان على بينة من أمره فيتنبه لمن تبدو عليه صفة من تلك الصفات أو تظهر عليه علامة من تلك العلامات ، ويكون تعامله وفق ما يتلاءم مع تلك الحالة . ولابد أن يتنبه الداعية إلى أن بعض المنافقين قد يكون ممن يُظن به الخير ويُرى أنه من أهل الصلاح إلى أن يخرج منه ما يكشف نفاقه لأن الأقوال والأعمال تعكس حقيقة الإنسان وتكشف ما بداخله ، وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [2] وهذا لا يعني أن يسير المسلم في دائرة من الشك ويسيء الظن بمن حوله ولكنّ المقصود أن يكون على حذر ويحتاط لأمره .

---

١ ـ سورة محمد (٢٩) .

٢ ـ سورة التوبة (٦٤) .

ثانيا : من حيث الآداب والصفات التي يتخلق بها الداعية :

إن كريم الشمائل ومحاسن الأخلاق كالصدق والمحبة والصبر والأمانة والعفو وغيرها من الخصال الكريمة هي صفات عامة ينبغي لكل مسلم التخلق بها ولكنها تتأكد أكثر عند الدعاة إلى الله تعالى لأنهم أصحاب دعوة ورسالة وهم قدوة لغيرهم في ذلك ، كما أن هذه الصفات والأخلاق تؤهل الداعية للقيام بهذه المهمة وتعينه بعد توفيق الله تعالى على أدائها .

وفي دعوته ﷺ تعززت تلك الصفات وتأكدت وقد برزت أهمية بعضها في حال دعوة المنافقين ؛ كالحلم والتروي وضبط النفس ، وتأتي أهمية هذه الصفات في أنها دعامة قوية وثابتة في مواجهة المنافقين فأحوالهم تستدعي وجود تلك الصفات حتى تُمكّن الداعية من التعامل معهم ، لإن ردود الأفعال التي تمليها انفعالات سريعة هي في الغالب غير محكمة وغير مثمرة وهذا يظهر واضحا في دعوته ﷺ للمنافقين . كما برز في هذا المنهج أهمية الرفق في الدعوة إلى الله والأثر الجميل الذي يَخلُفه على المدعوين ، كيف لا ؛ وقد امتدح الرسول ﷺ الرفق في قوله (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه) [1] . وهذا المنهج النبوي يُظهر التأثير الايجابي في العفو عن المسيئين وهذا أمر ينبغي للداعية أن لا يغفل عنه ، فقد ظهر لنا أثر ذلك في دعوته ﷺ ، والعفو مما أمر الله تعالى به نبينا الكريم في دعوته فقال تعالى ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [2] .

كما ينبغي للداعية التنبه لما أمر الله به نبينا ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [3] فالأمر الأول هو

١ ـ رواه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب فضل الرفق ـ حديث ٦٦٠٢ ، ص ٩٧٥ .

٢ ـ *سورة الأعراف (١٩٩) .*

٣ ـ سورة الأحزاب (٤٨) .

مخالفتهم في ما يدعون له ، والثاني هو الإعراض عنهم ، وختم الله عز وجل الآية بالأمر الثالث وهو التوكل عليه سبحانه فهو الذي يحمي المؤمنين من شرهم .

ثالثا : من حيث الأساليب والوسائل والمادة الدعوية الملائمة لهم :

إن إمام الدعاة ﷺ كان يدعو الناس في مكة المكرمة بأساليب ووسائل تتناسب مع حالهم ، ولما انتقل ﷺ إلى المدينة المنورة استخدم أيضا ما يتناسب مع حال المدعوين فيها ، فالأساليب والوسائل لم تتغير كثيرا لكنها اختلفت في المادة الدعوية التي تتضمنها فضرب المثل استخدم مع المشركين ومع المؤمنين ومع المنافقين ولكن كان لكل منهم محتوى يخصه ويؤثر فيه . ولهذا لابد أن يكون الداعية على معرفة عميقة ودراية كبيرة بأحوال المنافقين وما يتعلق بهم حتى يصل إلى المادة الدعوية التي تناسبهم وتعين على إرشادهم إلى الصراط المستقيم .

كما ينبغي للداعية الحكيم أن يفرق بين المنافق نفاقا اعتقاديا ومن هو على النفاق العملي لأن لكل واحد منهما أسلوب وطريقة تختلف عن الآخر[1]، وكذلك لابد من أن يكون التنوع في أساليب عرض الدعوة بما يتناسب مع الحال التي يكون عليها المدعو له شأن كبير في جذب المدعو ولفت انتباهه والتأثير عليه بما يسهم في إصلاح معتقده وعمله ، ولابد أن يحرص الداعية على استخدام وسائل تكون أعلى في مستوى الفعالية وقوة التأثير من الوسائل التي يستخدمها المنافقون أو على الأقل أن تساويها فيه ولا تكون أقل منها أو متأخرة عنها ، وهذا يدل على أهمية الاستفادة من الوسائل الحديثة والتطورات التقنية والمخترعات الجديدة ، وكل ما هو مباح ومتاح ومؤثر في الناس لأن المنافقين لا يتورعون في استغلال كل جديد وحديث بما يخدم مصالحهم ويحقق مطالبهم ويمكّنهم من الوصول إلى ما يريدون ، كما لابد من التنبيه إلى ضرورة استخدام وسائل وقائية تعين الدعاة إلى الله تعالى في مواجهتهم مع المنافقين

---

١ ـ انظر أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة ـ محمد عبد الرحمن العمر ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الدعوة والإعلام ـ قسم الدعوة والاحتساب ـ ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ـ ص ٤٥٢ .

والتصدي لهم ؛ مثل التحذير من النفاق وأخلاق المنافقين وأعمالهم ، وبيان خطرهم على المجتمع ومكافحة الشائعات وغير ذلك من الوسائل .

رابعا : أثره على المدعو :

إن الأصل في الإنسان اتباع الحق وهو الاستجابة لله ورسوله ، ولكن هناك عوائق وأسباب تصد الإنسان عن ذلك وتحول بينه وبين هذا الاتباع [1] . والحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله ﷺ ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [2] فأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، فإن كل ما دعا إليه فيه الحياة ، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة ، ويكون فيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ [3] .

وقد وصف النبي ﷺ استجابة الناس لما جاء به فقال ﷺ (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) [4] ، فهذا الحديث تضمن بيانا لمعظم أحوال الناس وأقسامهم بالنسبة إلى ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى إلى الصراط المستقيم والعلم بأصول الدين وأحكام الشريعة ، وذلك في صورة تشبيهية بالغة الروعة [5] . فالنفوس المؤمنة الصالحة تقبل ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى وتصدّق ما جاء عن رسوله ﷺ وهي سريعة الاستجابة لأمر الله ورسوله ، وقد كان

---

١ ـ انظر الاتباع أنواعه وآثاره (الاتباع المحمود) ١ /٢٨٣ .

٢ ـ سورة الأنفال (٢٤) .

٣ ـ انظر فوائد الفوائد ـ ابن قيم الجوزية ـ تعليق علي الأثري ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ١٤١٧ ـ ١٩٩٦ ـ ص ٢٤ .

٤ ـ رواه البخاري ـ كتاب العلم ـ باب فضل من علم وعلم ـ حديث ٧٩ ، ص ٣٤ ، ورواه مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب بيان مَثل ما بُعث النبي ﷺ من الهدى والعلم ، حديث ٥٩٥٣ ، ص ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، واللفظ للبخاري .

٥ ـ انظر روائع من أقوال الرسول ﷺ / ٨٢ .

الصحابة ﷺ يفخرون بسرعة استجابتهم لأمر الله ورسوله ﷺ ومن ذلك قول كعب بن مالك[1] رضي الله عنه :

ونطيع أمر نبينا ونجيبه

وإذا دعا لكريهة لم نُسبقِ [2]

لقد كان لمنهجه ﷺ أثرا كبيرا على المدعوين سواء المنافقين منهم أوالمؤمنين ، وذلك فيما يلي :

١ ـ كان لهذا المنهج وقعا عميقا في نفوس بعض المنافقين ؛ لأنه ﷺ لم يعجل لهم العقوبة بل أمهلهم وترك لهم الباب مفتوحا للرجوع والتوبة وهذا حمل بعضهم على الاستجابة لله ولرسوله ﷺ فتاب وأخلص وأصلح عمله ، ولئن كان هذا مع المنافقين فالمؤمنين أولى بذلك فيما بينهم .

٢ ـ إن هذا المنهج اشتمل على بعض الأساليب والوسائل التي تقرع القلوب وتهز النفوس وتخوفها بالله تعالى وتتوعد المنافقين بالعذاب الشديد وهذا لابد وأن يترك أثرا في النفس .

٣ ـ فيه بيان للمنافقين بأن الله تعالى كاشف لأمرهم ومخزٍ لعملهم ، وأن من يتعدى حدود الله تعالى فلن يفلت من عقابه في الدنيا والآخرة ، وهذا الوعيد الشديد يجعلهم في دوامة من الخوف والوجل .

٤ ـ في هذا المنهج تبرز فضيلة التسامح والعفو والتغاضي عن الخطأ في المواطن التي يُقبل فيها ذلك ، وأن لذلك أثر في نفوس المدعوين ؛ إذ أنه يترك خلفه امتنانا يجعلها متهيئة لقبول الدعوة .

---

١ ـ كعب بن مالك رضي الله عنه : هو أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري من بني سلمة من الخزرج ، شهد العقبة الثانية وجميع المشاهد إلا تبوك فقد كان أحد الثلاثة الذين خُلّفوا واُختلف في شهوده بدرا ، آخى الرسول ﷺ بينه وبين طلحة بن عبيد الله ، وكان أحد شعراء النبي ﷺ وقد روى عنه جماعة من التابعين ، توفي في زمن معاوية وهو في السبعين من عمره . انظر الاستيعاب ٣ / ٣٨١ .

٢ ـ ديوان كعب بن مالك ـ تحقيق سامي مكي العاني ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ـ ط ١ ـ ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ ـ ص ٢٤٧ .

٥ ـ إن المؤمن حينما يستمع إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحدثت عن النفاق والمنافقين ويطلع على أحوالهم وصفاتهم وعلامتهم ليشعر بالنعمة التي أسبغها الله تعالى عليه إذ فضله على غيره ورفعه عنهم بالإيمان ، كما أن في ذلك دافع قوي له حتى يحذر من الوقوع في النفاق ويُحذّر غيره منه . وأيضا يحمل هذا المنهج الكيفية الصحيحة في التعامل مع المنافقين في كل زمان ومكان .

المطلب الثاني : الدروس الدعوية المستفادة من منهجه ﷺ .

١ ـ إن النفاق بنوعيه موجود في المجتمع المسلم وقد كان الصحابة والتابعين وهم خيار الناس يخشون من الوقوع فيه ، كما كانوا حذرين في أنفسهم ويحذرون غيرهم منه ، لذلك لابد للمسلم من التنبه له فلا يغتر بنفسه ويأمن من النفاق بل لابد من تعلمه وفهمه ومعرفة أنواعه وعلاماته ، كما لابد من الإلمام بصفات المنافقين وأعمالهم وأحوالهم حتى يتجنبها المسلم وخاصة الداعية إلى الله .

٢ ـ إن العمل لابد له من علم ومعرفة ينطلق منها ويُبنى عليها وتُوضع له الخطط على أساسها خاصة في الدعوة إلى الله إذ يتأكد على الداعية إلى الله معرفة المدعو وجميع الجوانب المتعلقة به لأن ذلك مهم في مجال دعوته إذ يساعده على معرفة الكيفية التي تكون بها هذه الدعوة وما هي المنهجية الدعوية الملائمة لهذا المدعو والأساليب والوسائل المناسبة في ذلك .

٣ ـ إن التعامل مع المنافقين يخضع لضوابط شرعية لابد من الالتزام بها ، وهذه الضوابط مستنبطة من المصادر الشرعية وهي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية وهذه المصادر كانت كفيلة بإيضاح وبيان كل ما يتعلق بالمنهج الدعوي مع المنافقين .

٤ ـ أن هذه المنهجية الدعوية تشمل جميع المنافقين ولكن الأساليب والوسائل التي يكون التعامل بها معهم تختلف بحسب نوع النفاق وحال المنافق فالمنافق الخالص لا يتساوى مع من اجتمع في قلبه إيمان ونفاق وهذا أمر مهم ينبغي للداعية التنبه له .

٥ ـ إن وجود المنافقين بين المسلمين لا يعني الرضا بهم أو بما يصدر منهم من قول أو عمل بل لابد من رفض كل التجاوزات والمخالفات الشرعية التي تخرج منهم ولابد من بيان أخطائهم التي وقعوا فيها وأن تنزل بهم العقوبة الشرعية كما فرضها الله تعالى .

٦ ـ ضرورة التفقه في الدين والحرص على تعلم وفهم ما ينفع المسلم في أمر دينه لأن الاهتمام بالعلم الشرعي مهم في جميع نواحي الحياة ؛ في العقيدة والعبادة والأخلاق وفي التعامل مع الآخرين وفي كل ما يتعلق بنا ، ومن المؤكد أن تحصيل العلم الشرعي لا يتعارض مع تحصيل أي من العلوم الأخرى أو التخصصات المختلفة التي تنفع المسلم ومجتمعه .

٧ ـ الاهتمام بتعزيز عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين عموما ، وتخصيص اهتمام أكبر بالناشئة ؛ لأن الانتماء العقدي القوي يعني الولاء الصادق لله ولدينه وهذا هو أساس القوة التي حملها المسلمون الأولون .

٨ ـ العمل على تعليم الناس كيفية التصرف وفق المنهج الشرعي في حال أثيرت فتنة أو شبهة أو حصل اضطراب في المجتمع ، وهذا المنهج يعتمد على الرجوع لأهل العلم الراسخين فيه وسؤالهم وفهم الجوانب المتعلقة بتلك الفتنة أو الشبهة المثارة كما ينبغي التثبت وعدم إثارة البلبلة أو نشر الشائعات .

٩ ـ ضرورة فهم الأولويات وترتيبها بدء بالأهم ثم المهم لأن حياة المسلم فيها أسس وضروريات لا ينبغي التنازل عنها أو تأخيرها بل لها الأولوية ودائما ما تكون في مقدمة اهتماماته .

١٠ ـ ضرورة الاهتمام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليمها للصغار على أصولها الصحيحة ، لأن إعداد جيل بنّاء يكون صالحا في نفسه ومصلحا لغيره يقوم على أسس منها الإنكار على المفسدين والمخربين وعدم السكوت عنهم أو عن فسادهم في المجتمع .

١١ ـ أهمية المحافظة على الصلاة بالصفة التي وضعها الله تعالى ، والقيام بأركانها وواجباتها وسننها كما ثبتت عن الرسول ﷺ والمحافظة على أوقاتها والالتزام بأدائها في جماعة المسجد حتى يبرأ المسلم من النفاق .

١٢ ـ من صفات المؤمن أن يقول كلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ، كما أن المؤمن صادق الإيمان لا يطلب رضا الناس بسخط الله ولا يحابي أحدا في دين الله ولو كان أقرب قريب ، وقدوتنا في ذلك المصطفى وصحابته الكرام .

١٣ ـ أن من هديه ﷺ استبعاد المنافقين عن ولاية أمر المسلمين وعن القيادة والإدارة في الدولة ؛ لأنهم ليسوا أهلا لذلك ، فكل من يظهر منه ما يدل على نفاقه لابد من الاحتراز منه وعدم تسويده حتى لا يُفسد المجتمع ويؤذي المسلمين .

١٤ ـ أهمية الرفق في الدعوة إلى الله تعالى لأن التعامل مع المدعوين برفق ومحبة وتسامح يترك أثرا كبيرا في نفس المدعو ، ولكن لابد من مراعاة وضع الرفق في موضعه الصحيح .

١٥ ـ قد تكون الشدة والغلظة هي الحل الأمثل في التعامل مع بعض الناس أو في بعض المواقف ؛ لأن ترك التعامل بها في وقتها الصحيح والمناسب له عواقب غير محمودة .

١٦ ـ يجب على الداعية التعامل مع المدعوين بحلمٍ وتأنٍ وأن يمهلهم الوقت الكافي في دعوتهم ولا يستعجل قبولهم للدعوة ؛ لأن الناس يختلفون في قبول ما يعرض عليهم ، فمنهم المبادر ومنهم المتأخر .

١٧ ـ لابد من الاعتدال في استخدام الرفق واللين والحلم والتسامح لأن الإفراط في استخدامها له مغبة كبيرة ؛ إذ يؤدي إلى استهتار المدعوين واستخفافهم بما يُعرض عليهم .

١٨ ـ لابد للمسلم من التمهل قبل أن يطلق حكما أو وصفا على أحدٍ من المسلمين حتى لا يتهمه بشيء هو بريء منه ، لأن المتهم قد يكون جاهلا لحكم ما بدر منه أو هو متساهل فيه ، لذلك لابد من أن يتوقى المسلم قبل الحكم على غيره .

١٩ ـ كما يجب على المسلم إذا رأى من أخيه منكرا أن ينكر عليه بهدوء ويدعم قوله بالأدلة النقلية والعقلية الصحيحة ، ولابد من تجنب التشهير به أو فضحه أمام الناس لأن ستر ذلك أولى ، إلا إن كان منكرا فيه حد شرعي فلابد من رفع ذلك إلى ولاة الأمر .

٢٠ ـ هناك أخطاء وتجاوزات لا يمكن قبول العذر فيها ولا يصح التهاون مع فاعلها بل لابد من معاقبته وإعلام الناس بفعله والعقوبة التي وقعت عليه حتى يحذر الناس منه ومن فعله ويكون ذلك درسا له ولغيره في ضرورة الالتزام بحدود الله وعدم تجاوزها .

٢١ ـ أهمية الصبر والتحمل في الدعوة إلى الله تعالى ولابد للداعية أن يوطن نفسه مع ذلك لأن الصبر على المدعوين أمرا ليس بالسهل ويتطلب وقتا وجهدا كبيرين فالأنبياء والرسل عليهم السلام صبروا وتحملوا من أقوامهم الشيء الكثير ولذلك جعل الله الصبر من صفات أولي العزم من الرسل عليهم السلام .

٢٢ ـ أهمية مراعاة الفروق الفردية والاختلافات في الشخصية بين المدعوين ؛ لأن الناس في طبيعتهم مختلفون وفي سجاياهم لا يتفقون إلا في ما ندر بينهم ، ولهذا لابد للداعية أن يكون على وعي وفهم لأحوال المدعوين وجوانب شخصياتهم المختلفة .

٢٣ ـ أهمية مراعاة ما يطرأ على المدعو من تغيرات نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك ، لأن هذه التغيرات تؤثر في قبول المدعو للدعوة ، فلابد للداعية من الإطلاع على الأوضاع التي يمر بها من توجه له الدعوة .

٢٤ ـ أهمية الدعاء والاستعاذة بالله من كل شر وبلاء وفتنة ومن الكفر والنفاق والرياء وكل ما من شأنه أن يؤثر على عقيدة المؤمن أو ينافيها أو ينقص من كمالها ولابد من الإكثار من هذا الدعاء وتعليمه للناس .

٢٥ ـ أن التوكل على الله تعالى لا يتعارض مع البحث في معرفة العدو وفهم أساليبه ووسائله وكيفية التعامل معه والتصدي له ، لأن الله تعالى أمر بجهادهم ومن جهادهم الكشف عنهم وعن أعمالهم ومخططاتهم التي يؤذون بها الأمة .

الخاتمة

الحمد لله على عظيم نعمه وواسع فضله ، والصلاة والسلام على خير البرية وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فإن الباحث في العلوم الإسلامية ليجد فيما سطره السابقون من علمائنا خيرا كثيرا وعلما كبيرا ؛ إذ أنهم حفظوا وفهموا ، وكتبوا وشرحوا ، واستنبطوا وصنفوا وكانت لهم تصانيف جامعة ومؤلفات نافعة ، وهم بذلك قدوة لنا في بحث ودراسة النصوص الشرعية التي وردت في كتاب الله وسنة نبينا ﷺ وفهم ما ورد فيها واستخراج ما اشتملت عليه من فقه وعلم .

وإني بفضل من الله تعالى قد وصلت إلى ختام هذه الدراسة التي تنقلت فيها بين الكتب من مختلف الفنون والعصور ؛ فمن مصنفات السلف الصالح في تراثنا الإسلامي إلى ما سطره علماء عصرنا الحاضر، إضافة إلى الدراسات العلمية والرسائل الجامعية التي تتعلق بالموضوع .

وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها :

١ ـ أن النفاق والمنافقين موجودون منذ ظهور الدولة الإسلامية الأولى ووجودهم مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وقد ثبت هذا بالنصوص الشرعية التي اشتملت على بيان معنى النفاق وذكرت علامات المنافقين وصفاتهم وبعض أعمالهم وأحوالهم .

٢ ـ أن النفاق له مخاطر جسيمة ووجود المنافقين تتبعه أضرار عظيمة وقد مرت الأمة الإسلامية بمصائب ومحن تزامن ظهورها مع قوة شوكة المنافقين وتطاول نفوذهم ومازالوا مستمرين في محاولاتهم الخبيثة لإيقاف الدعوة الإسلامية أو إضعافها ، ولكن الله تعالى يسخّر من عباده الصالحين من يتصدى لهم .

٣ ـ اقترن الكفر بالنفاق وعُطف اسم المنافقين على الكافرين في آيات كثيرة وذلك لاجتماعهما في أصل الكفر ؛ فحقيقة النفاق تتمثل في إخفاء الكفر والتلبس بالإسلام ظاهرا وشكلا لا حقيقة ومضمونا .

٤ ـ أن المنافقين هم صنف من أصناف المدعوين وقد اشتملت دعوة النبي ﷺ لهم على منهجية خاصة بهم ولها من الأساليب والوسائل الدعوية ما يتناسب معها ، كما كان ﷺ يتعامل معهم بالكيفية التي تتفق وظاهر إسلامهم .

٥ ـ أمر الله تعالى بجهاد المنافقين ودلت السنة النبوية على أن جهادهم يكون باللسان أي بالقول والبيان ، وهم يُعاملون مثل معاملة المسلمين ويجري عليهم مثل ما يجري على المسلمين من الحقوق والواجبات والعقوبات .

٦ ـ إن التصدي للمنافقين يعتمد على قواعد مهمة هي :

ـ الاعتصام بالكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما من نصوص تخص النفاق والمنافقين وفهم تلك النصوص والعمل بها .

ـ فهم أساليب المنافقين ومعرفة دوافعهم ووسائلهم حتى يتسنى للمسلمين مواجهتها .

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعاقبة المفسدين في الأرض ، وكل من يتعدى حدود الله تعالى ويتجاوزها .

٧ ـ ضرورة مواكبة التطورات التقنية والاستفادة من المخترعات الحديثة التي تساهم في إيصال الدعوة إلى أكبر قدر من المدعوين وتؤثر فيهم ، والمنافقون اليوم ليسوا بمنأى عن هذه التقنية بل هم يستغلونها أسوأ استغلال حتى يصلوا إلى أهدافهم .

٨ ـ أهمية تحصين الناشئة بالعلم الشرعي الصحيح ، وتعليمهم العقيدة الإسلامية كما شرعها الله تعالى ، والاهتمام ببيان حقيقة الإيمان وما يتعلق به من العقائد والعبادات كما وردت في الكتاب والسنة ، وتفنيد الشبه التي قد تلتبس على بعضهم والرد عليها بالأدلة النقلية والعقلية حتى يكونوا على بينة .

٩ ـ أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقف سدا منيعا في وجه فساد المنافقين وأعمالهم الخبيثة ، ولذلك هم يهاجمونها ويحاربون وجودها بتشويه الحقائق ونثر الشبهات ، ودائما تتعالى أصواتهم في أذى الدعاة والغيورين الذين يقومون بها ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

١٠ ـ أن المنافقين يحتالون على الناس ويتظاهرون بمظهر المصلحين الحريصين على مصالح البلاد والعباد ، وهم بذلك يحاولون تزييف الواقع ، وقد كذّب الله تعالى ما يدّعونه من الصلاح والإصلاح .

١١ ـ يسعى المنافقون إلى إغراق المجتمع بالشهوات والانغماس في الرذيلة وفتح باب الانحلال العقدي والأخلاقي بين المسلمين ولذلك هم بؤرة فساد في المجتمع الذي يعيشون فيه .

١٢ ـ من صفات المنافقين العداء الشديد لأولياء الله والصالحين والعلماء والدعاة وطلبة العلم ، وقد سخّروا ألسنتهم وأقلامهم للنيل منهم فتراهم مرة يسخرون ومرة أخرى يتهجمون ، وقد يصفونهم بأوصاف سيئة أو ينعتونهم بنعوت قبيحة ، وكل ذلك لا ينقص من قدر المؤمنين بل يزيدهم إيمانا ويقينا .

١٣ ـ أن النفاق من الأمراض القلبية التي تفسد على المرء دينه وتترك أثرا سيئا على سلوكه وأخلاقه ثم تنتهي بهلاكه والعياذ بالله ، وعلاج ذلك يكون بالتوبة الصادقة وإصلاح المعتقد والقول والعمل .

كما أني قد توصلت إلى بعض التوصيات هي :

١ ـ ضرورة التأليف والكتابة عن خطر المنافقين وفسادهم وبيان دورهم الخبيث في تغريب المسلمين وسعيهم لنشر الانحلال الأخلاقي في المجتمع المسلم ، فالمنافقون لهم أصوات تنادي بالفتنة وأقلام تثير الشبهة ولابد من مواجهتها ، كما ينبغي التحذير من خطرهم في إثارة النعرات والعصبيات القبلية أو الإقليمية بين المسلمين كما فعل أسلافهم .

٢ ـ الاهتمام بنشر الوعي في المجتمع المسلم وبذل سبل الوقاية فيه عن طريق التحذير المستمر والتنبيه المتكرر من أخلاق المنافقين وأعمالهم ولابد من ربط ذلك بواقعنا الذي نعيشه وحياتنا التي تحيط بها المشكلات والمصاعب ، كما لابد من الاهتمام بنشر رسائل دعوية تتعلق بهذا الموضوع تصدرها جهات شرعية موثوقة وتُبث في وسائل الإعلام والاتصال حتى تصل لأكبر عدد من المسلمين .

٣ ـ نشر رسالة إعلامية واضحة تخاطب العامة وتبيّن لهم أهمية القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوضح الكيفية الصحيحة في القيام بها ، ولابد من الحرص على توجيه هذه الرسالة عبر وسائل الإعلام والاتصال بكافة أشكالها حتى تنتشر بين الناس ؛ وذلك لمواجهة الحملات البغيضة التي يشنها المنافقون على شعيرة الاحتساب ورجالها .

٤ ـ تكثيف العناية بالجانب الإعلامي والفكري والأدبي والاستفادة من التطور التقني في وسائل الإعلام والاتصال والمشاركة فيها بصورة فاعلة ؛ لأن هذه الجوانب هي المداخل التي يسعى المنافقون من خلالها على التأثير على الشباب المسلم .

هذا وأسأل الله تعالى أن يتقبل منا ويجعلنا من أهل الإخلاص والإيمان ، وأعوذ به سبحانه وتعالى من النفاق والرياء ، إن أصبت فمن الله تعالى وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية[1]

سورة البقرة

سورة آل عمران

---

١ ـ حسب ترتيب سور القرآن الكريم وآياتها .

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة هود

سورة يوسف

سورة إبراهيم

سورة الأحزاب

سورة الزمر

سورة محمد

ثانيا : فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأعلام :

فهرس الأبيات الشعرية:

فهرس غريب الألفاظ:

فهرس المصادر والمراجع

ـ القران الكريم طبعة مجمع الملك فهد .

ـ الإدارة في الإسلام ـ فهمي الفهداوي ـ دار المسيرة ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ، ٢٠٠١ .

ـ الأدب المفرد ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ـ الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن ـ محمد مصطفى السيد ـ كتاب المنتدى الإسلامي ـ ط ١ ـ ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .

ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ـ ضبط نصوصه كمال الحوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

ـ أحكام القرآن ـ أبو بكر بن العربي ـ تحقيق عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

ـ أحوال المدعو في ضوء الكتاب والسنة ـ محمد عبد الرحمن العمر ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ كلية الدعوة والإعلام ـ قسم الدعوة والاحتساب ـ ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ .

ـ إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ وبذيله المغني عن الأسفار ـ تحقيق سيد عمران ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٥ ، ٢٠٠٤ .

ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود محمد الحنفي ـ تحقيق عبد القادر عطا ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ ١٤٠٢ ، ١٩٨٢ .

ـ أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ـ حمد العمار ـ دار اشبيليا ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤١٦ ، ١٩٩٦ .

ـ أسباب النفاق وأساليب المنافقين في ضوء سورة التوبة ـ محمد بن سريع السريع ـ ط ١ ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ .

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ـ تحقيق علي معوض وآخرون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام - محمد سيد طنطاوي - دار الشروق - القاهرة - ط ١ - ١٤٢١ ، ٢٠٠١ .
- الإشاعة وسلبياتها في المجتمع - علي الدرورة - دار الأصداف - أبو ظبي - طبعة عام ١٤٢٥هـ .
- الأصول الثلاثة وأدلتها وشروط الصلاة والقواعد الأربعة - محمد بن عبد الوهاب - الدار السلفية - الكويت - ط ١ - ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ .
- أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٧ - ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .
أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - محمد الطاهر عاشور - الشركة التونسية - طبعة عام ١٩٧٩م .
- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم - بيروت - ط ١٥ - ٢٠٠٢ .
- الأمثال في الحديث النبوي - محمد العلواني - مكتبة المؤيد - الرياض - ط ١ - ١٤١٤ ، ١٩٩٣.
- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير وبهامشه نهر الخير - أبو بكر الجزائري - مؤسسة راسم - ط ٣ - ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .
- البداية
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - محمد بن علي الشوكاني - دار المعرفة - بيروت .
- بذل المجهود في حل أبي داود - خليل بن أحمد السهارنفوري - دار الريان - ط ١ - ١٤٠٨ - ١٩٨٨ .
- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل - دار المعرفة - بيروت .
- بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - نبيل السمالوطي - دار الشروق - ط ٢ - ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .

ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ محمد عبدالرحمن المباركفوري ـ تحقيق علي معوض وآخرون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٤٢٢ ـ ٢٠٠١ .

ـ تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين محمد الذهبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ـ التعريفات ـ الشريف الجرجاني ـ تحقيق محمد باسل عيون السود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ٢٠٠٩ .

ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـ تحقيق حسن زهران ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .

ـ تفسير القرآن العظيم ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

تفسير القرآن الكريم (سورة الفاتحة وسورة البقرة) ـ محمد بن عثيمين ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام .

ـ تهذيب التهذيب ـ أحمد بن حجر العسقلاني ـ دار صادر ـ بيروت .

ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ـ عبد الرحمن السعدي ـ تحقيق عبد الرحمن اللويحق ـ مكتبة العبيكان ـ ط ١ ـ ١٤٢٢ ، ٢٠٠١ .

ـ الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ـ صلاح الصاوي ـ المنتدى الإسلامي .

ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .

ـ جامع الترمذي ـ أبو عيسى محمد الترمذي ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ دار السلام ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .

ـ جامع العلوم والحكم ـ ابن رجب الحنبلي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

ـ الجامع لأحكام القرآن ـ محمد الأنصاري القرطبي ـ تحقيق محمد الحفناوي وآخرون دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .

ـ الحسبة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار إيلاف ـ الكويت ـ ط ١ ـ ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

- الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله - أحمد المورعي - دار الأندلس الخضراء - جدة .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق عبدالوارث محمد علي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - أحمد غلوش - دار الكتب المصرية - القاهرة ودار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٧ ، ١٩٨٧.
- الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية - محمد العمري - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب - عام ١٤٢٠ ، ١٤٢١ .
- الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم - سليمان مرزوق - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب - ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .
- الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن والسنة - حامد العامري - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب - ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ .
- الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة - عمر أبو المجد النعيمي - رسالة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب - ١٤١٨ .
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .
- ديوان حسان بن ثابت - تحقيق عبد الله سنده - دار المعرفة - بيروت - ط ١ - ١٤٢٧ ، ٢٠٠٦ .
- ديوان الشافعي - جمع وشرح محمد عبد الرحيم - دار الفكر - بيروت - ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

- ديوان عنترة بن شداد - شرح حمدو طماس - دار المعرفة - بيروت - ط ٢ - ١٤٢٥ ، ٢٠٠٤ .

- ديوان كعب بن مالك - تحقيق سامي مكي العاني - مكتبة النهضة - بغداد - ط ١ - ١٣٨٦، ١٩٦٦ .

- ديوان المتنبي بشرح أبو البقاء العكبري - تحقيق كمال طالب - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

- ديوان يا أمة الإسلام - عبد الرحمن العشماوي - مكتبة العبيكان - الرياض - ط ٢ - ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .

- الدين والدولة - محمد البهي - مكتبة وهبه - القاهرة - ط ٢ - ١٤٠٠ ، ١٩٨٠ .

- الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - مكتبة الباز - مكة المكرمة .

- روائع من أقوال الرسول ﷺ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - ط ٥ - ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

- زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم الجوزية - تحقيق شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢٣ - ١٤٠٩ ، ١٩٨٩ .

- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - محمد الصنعاني - تحقيق خليل شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط ١ - ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد بن ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - ط ٤ - ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد بن ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط ٢ - ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

- سنن ابن ماجه - أبو عبد الله بن ماجه القزويني - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - دار السلام - الرياض - ط ١ - ١٤٢٠ ،١٩٩٩ .

- سنن أبي داود - أبو داود السجستاني - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - دار السلام - الرياض - ط ١ - ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .

ـ سنن الترمذي بتعليق العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني ـ دار المعارف الرياض ـ ط ١ .

ـ السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .

ـ سنن النسائي الصغرى ـ أبو عبد الرحمن النسائي ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ دار السلام ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .

ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ـ المغرب ـ ط ٢ ـ ١٤١١ ، ١٩٩١ .

ـ سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تحقيق محمد الشبراوي ـ دار الحديث القاهرة ـ ١٤٢٧ ، ٢٠٠٦ .

ـ السيرة النبوية ـ عبد الملك بن هشام ـ تحقيق محمد القطب وآخرون ـ المكتبة العصرية ـ ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ .

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ تحقيق مصطفى عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ هبة الله بن الحسن اللالكائي ـ تحقيق احمد سعد الغامدي ـ مؤسسة الحرمين ـ ط ٨ ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

ـ شرح رياض الصالحين ـ محمد بن عثيمين ـ تحقيق عبد الرحمن الهاشمي ـ دار الأفاق العربية ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ .

ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق جماعة من العلماء ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ٩ ـ ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .

ـ الصحاح ـ إسماعيل الجوهري ـ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ـ دار العلم ـ بيروت .

ـ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ راجعه محمد القطب وآخرون ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٣٠ ، ٢٠٠٩ .

ـ صحيح ابن خزيمة ـ محمد بن إسحاق بن خزيمة .

ـ صحيح سنن ابن ماجه ـ محمد بن ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .
ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجاج ـ راجعه هيثم الطعيمي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٤٢٨ ، ٢٠٠٨ .
ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ دار الريان ـ القاهرة .
ـ صفة النفاق وذم المنافقين ـ أبو بكر الفريابي ـ تحقيق محمد عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .
ـ صور من حياة الصحابة ـ عبد الرحمن رأفت الباشا ـ طبعة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ـ ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .
ـ ضعيف سنن أبي داود ـ محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٢ ، ١٩٩١ .
ـ ضعيف سنن النسائي ـ محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٢ ، ١٩٩١ .
ـ ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ـ عبد الله القرني ـ دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة ـ ط ٢ ـ ١٤٢٠ .
ـ ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ ـ عبد الرحمن حسن الميداني ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤١٤ ، ١٩٩٣ .
ـ عقيدة التوحيد ـ صالح الفوزان ـ دار العاصمة الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ .
ـ علم الاجتماع الديني ـ إحسان محمد الحسن ـ دار وائل للنشر ـ عمان ـ ط ١ـ ٢٠٠٥
ـ غريب الحديث ـ عبد الله بن قتيبة الدينوري ـ فهرسه نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٨ ، ١٩٩٨ .
ـ غريب الحديث ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي العسقلاني ـ تحقيق عبد القادر شيبة الحمد ـ ١٤٢١ ، ٢٠٠١ .

ـ فتح القدير ـ محمد بن علي الشوكاني ـ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ ١٤٢٤ .

ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ عبد الرحمن حسن آل الشيخ ـ تحقيق عبد العزيز بن باز ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٩ .

ـ فقه السيرة ـ محمد الغزالي ـ دار الريان ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ .

ـ فقه السيرة النبوية ـ منير غضبان ـ جامعة أم القرى ـ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ ط ٤ ـ ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

ـ فوائد الفوائد ـ ابن القيم الجوزية ـ تعليق علي الأثري ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ١٤١٧ ، ١٩٩٦ .

ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق .

ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار إحياء الكتب العربية ـ ط ٣ .

ـ قادة النبي ﷺ ـ محمود شيت خطاب ـ دار القلم ـ بيروت ـ والدار الشامية ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ شيخ الإسلام بن تيمية ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ دار القاسم ـ ط ١ ـ ١٤٢١ ، ٢٠٠٠ .

ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروزآبادي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

ـ القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان ـ سيد محمد ساداتي الشنقيطي ـ دار اشبيليا ـ ط ٤ ـ ١٤١٧ ، ١٩٩٧ .

ـ القول المفيد على كتاب التوحيد ـ محمد بن صالح بن عثيمين ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ط ٤ ـ ١٤٢١ .

ـ كتابة البحث العلمي ـ عبد الوهاب أبو سليمان ـ دار الشروق ـ جدة ـ ط ٣ ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٦ .

ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق عبد الرزاق مهدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٢٨ ، ٢٠٠٧ .

ـ لسان العرب ـ أبو الفضل جمال الدين بن منظور دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

ـ مباحث في إعجاز القرآن ـ مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط ٤ ـ ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

ـ مبادئ الجودة الإدارية في الإسلام ـ خليفة الفواز ـ ط ١ ـ ١٤٢٧ .

ـ المجتمع المدني في عهد النبوة ـ أكرم ضياء العمري ـ المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي ـ الجامعة العربية ـ المدينة المنورة ـ ط ١ ـ ١٤٠٣ ، ١٩٨٣ .

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

ـ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية ـ ترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه ـ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ ١٤١٦ ، ١٩٩٥ .

ـ مدارج السالكين ـ ابن القيم الجوزية ـ تحقيق عماد عامر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ .

ـ المدخل إلى علم الدعوة ـ محمد أبو الفتح البيانوني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٣ ـ ١٤٢٢ ، ٢٠٠١ .

ـ المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد الحاكم وبذيله تلخيص المستدرك لأبي عبد الله محمد الذهبي ـ مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض .

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ بيت الأفكار الدولية ـ الرياض ـ ١٤١٩ ، ١٩٩٨ .

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ـ حافظ الحكمي ـ تحقيق عمر محمد أبو عمر ـ دار ابن القيم ـ الدمام ـ ط ٣ ـ ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .

ـ معجم ألفاظ العقيدة ـ عامر عبد الله فالح ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٤٢٠ ، ٢٠٠٠ .

ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ .

ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ـ عمر رضا كحّالة ـ دار العلم ـ بيروت ـ ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ .

ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ تحقيق نديم مرعشلي ـ دار الفكر

ـ المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ـ المكتبة الإسلامية ـ اسطنبول .

ـ مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق أنس الشامي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨ .

ـ المنافقون في القرآن الكريم ـ عبد العزيز الحميدي ـ دار المجتمع ـ جدة ـ ط ١ ـ ١٤٠٩ ، ١٩٨٩ .

ـ مناهج الدعوة وأساليبها ـ علي جريشة ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ط ١ ـ ١٤٠٧ ، ١٩٨٦ .

ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد الزرقاني ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤١٢ ، ١٩٩١ .

ـ المنجد في اللغة ـ دار المشرق ـ بيروت ـ ط ٤٠ .

ـ النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية ـ عبد الرحمن قصاص ـ رسالة ماجستير ـ جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم الكتاب والسنة ـ ١٤١٦ .

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ـ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير ـ تحقيق محمود الطناجي .

ـ هذا الحبيب يا محب ـ أبو بكر الجزائري ـ طبعة مؤسسة راسم ـ ط ٥ ـ ١٤١٢ ، ١٩٩٢ .

ـ الولاء والبراء في الإسلام ـ صالح الفوزان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١١ .

فهرس الموضوعات